شرح مختصر

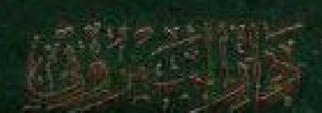
الشمائل المحمدية

للترمذي



اختصره وشرحه
الشيخ عبد المجيد الشرنوبي

ضبطه وعلّق عليه
محمود البيروتي



شرح مختصر

الشمائل المحمدية



شرح مختصر

الشمائل المحمدية

للترمذي

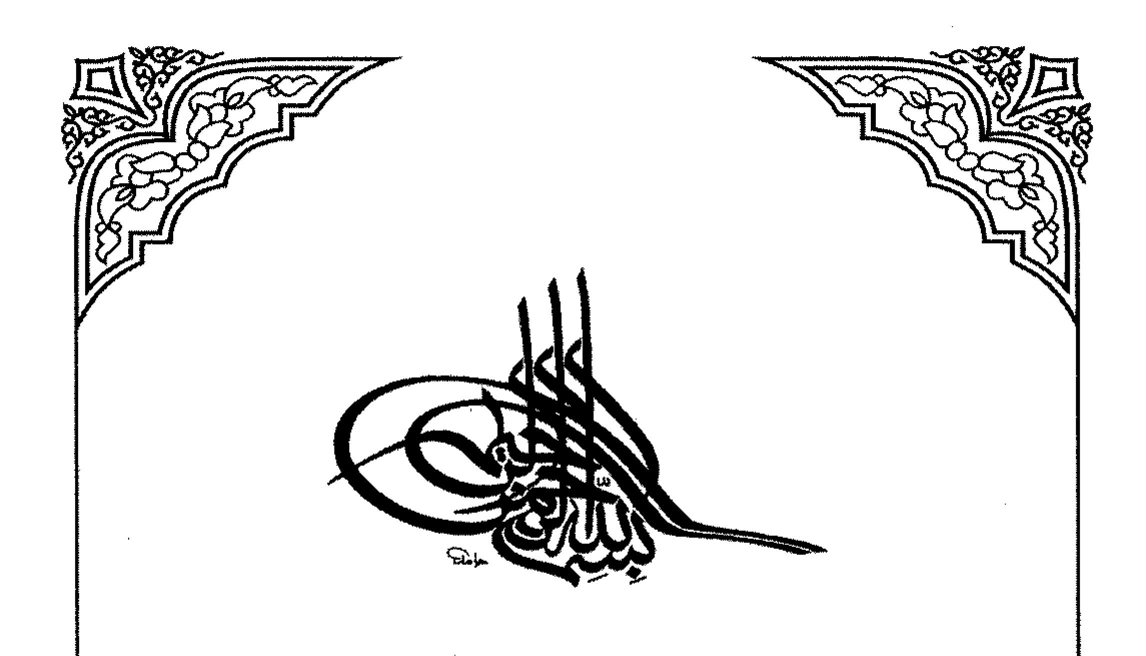
اختصره وشرحه

الشيخ عبد المجيد الشرنوبي

ضبطه وعلّق عليه

محمود بيروتي

دار البيروتي



الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



دمشق - حلبوني - بناء الخجا هاتف : ٢٤٥١٥٧٤ - ٢٢١٣٩٦٦

س . ت : ٦١٥٠٠ فاكس : ٢٢٤٣٨٤٨ ص . ب : ٢٥٤١٤

E.mail: albyrouty@hotmail.com





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على حَبيبِ ربِّ العالمين، مَن بعثهُ الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد: فهذه الطبعة الثانية لكتاب «العرف الشذي شرح شمائل الترمذي»، أقدِّمها للقراء الكرام بعد أن نفذت الطبعة الأولى، ولم يمض على صدورها سوى مدةٍ قصيرة من الزمن، وقد أُعيدت طباعتها مرات عديدة خلال السنوات الثلاث الماضية.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة انتشارُ الكتب التي تُعرِّفُ بشمائل النبي ﷺ، وإقبال المسلمين على قراءتها واهتمامهم بمعرفة شخصية النبي ﷺ الخَلقيةِ والخُلقية.

لذلك فإنني أحث الناشرين والمؤلفين، وأهل الخير جميعاً، بذلَ المزيد من الجهد لنشر كتب الشمائل، حتى تظفر كل مكتبة في كل بيت مسلم ببركة رسول الله ﷺ؛ وليتصور المسلم من خلال ذلك شخصية النبي ﷺ وصفات أعماله اليومية.

وكما قيل: لو فَتَّشَ مُفَتِّشٌ وبحثَ باحثٌ في تاريخ الأولين والآخرين، فلن يجد شخصية نُقلتْ أخبارها الداخلية والخارجية كما نُقلتْ أخبار وصفات النبي ﷺ.

وقد امتازت هذه الطبعة بمراجعة أصولٍ لكتاب الشمائل، وزيادة بعض الفوائد ومزيد عناية في التصحيح والضبط.

واللهَ عزَّ وجلَّ أسأل النفع والقبول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإن من الواجب على كل مؤمن، ذي عقل وفهم معرفةَ رسول الله ﷺ وشمائله وخصائصه وذلك لقوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ [المؤمنون: ٦٩] وأن يعرف فضل هذا الرسول الكريم، ورفعة قدره، وعلو منزلته وخصائصه التي اختصه الله بها من جميع الكمالات، لا سيما وأننا مأمورون بالإيمان بهذا النبي الكريم، والاهتداء بهديه، وبمحبته أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، بل أكثر من أنفسنا، ومأمورون باتباعه حق الاتباع الموصل إلى محبة الله للعبد، وكفى بها من رُتبَة قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

سمع الصحابة رضي الله عنهم هذا الخطاب الإلهي فأطاعوه، وعرفوا قدر النبي ﷺ فعظموه، وعلموا مكانته عند ربه فسارعوا إلى محبته، حتى قال سيدنا عمر رضي الله عنه «**لأنت أحبّ إليّ من نفسي**» فشهد له النبي ﷺ بشهادة عظيمة وهي كمال الإيمان.

وصارت محبة النبي ﷺ فائقة على محبتهم لأهليهم وأنفسهم وكل غالٍ وثمين مما دعا أبا سفيان قبل إسلامه أن يقول: (ما رأيت من

الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً) أحبوه محبةً فاقت محبتهم لأنفسهم وأهليهم، وأحبهم رسول الله ﷺ وفرح بهم ومدحهم، واشتاق إلى أناسٍ يأتون بعده آمنوا برسالته واتبعوا سنته، ولكنهم لم يظفروا برؤيته، اشتاق إليهم وأحبهم ومدحهم فقال: «**مِن أَشَدِّ أُمتي لي حباً، ناسٌ يكونون بعدي يودُّ أحدهم لو رآني، بأهله وماله**» [رواه مسلم (٢٨٣٢)].

هؤلاء الذين لم يروه كانوا يسألون الصحابة رضي الله عنهم عن وصفه ﷺ؟ فيصفونه لهم، فرويت أحاديث كثيرة في أوصاف رسول الله ﷺ الخَلقِيَّة والخُلُقِيَّة فتعلق هؤلاء ومن بعدهم إلى وقتنا الحاضر من خلال هذه الأحاديث بسيدنا رسول الله ﷺ.

وكان الشيخ محمد بدر الدين الحسني شيخ شيوخ الشام يكرر في درسه، تحت قبة النسر في الجامع الأموي:

(من اعتقد أنه ينقطع نور النبي ﷺ عنه في حالة من الأحوال، فإنه يخشى عليه أن يسلب منه الإيمان! فما من مؤمن ولا مؤمنة من المؤمنين إلا وبينه وبين النبي ﷺ رابطة بمثابة الخيط الممدود)[١].

ولعل هذه الرابطة تحتاج إلى تقوية، ومما يقويها قراءة كتب الشمائل والسيرة النبوية، ولعلي وُفِّقْتُ بخدمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا ومن المفيد القول أن أصل هذا الكتاب كان على يد الإمام الترمذي رحمه الله ثم اختصره وشرحه الشيخ عبد المجيد الشرنوبي.

---

(١) من دروس الشيخ محمد بدر الدين الحسني التي كتبها الشيخ محمد سهيل الخطيب رحمهما الله تعالى. الدرس / ١٠/ بتاريخ ١٩/ رمضان / ١٣٤٤هـ.

وكان عملي في الكتاب:

١ـ اعتمدت النسخة المطبوعة في مصر بمطبعة بولاق سنة ١٣٢٨هـ بتصحيح المؤلف، ورجعت في بعض الأحيان إلى نسخ كثيرة من كتاب الشمائل.

٢ـ قمت بتخريج الأحاديث، وأثبتُّ التخريج في متن الكتاب، أما الأحاديث الواردة في الشرح فأثبتُّ تخريجها في الحاشية.

٣ـ انتقيتُ من شروح الشمائل الكثير من الفوائد وأكثرها كان من شرح الشيخ محمد بن قاسم جسوس ووضعتها في الحاشية مع إثبات نسبة كل فائدة إلى مصدرها.

دمشق ٩/ ذي الحجة/ ١٤٢٦.

محمود بيروتي

ترجمة مصنف كتاب الشمائل المحمدية الإمام الترمذي

هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الضحاك، أبو عيسى السُّلمي الضرير البوغي الترمذي اشتهر بالترمذي نسبة إلى ترمذ التي نشأ فيها، وهي تقع على الضفة الشمالية لنهر جيحون شمالي إيران.

ولد على الراجح عند المؤرخين سنة /٢٠٩هـ/ اجتهد في طلب العلم وأخذ عن شيوخ عصره، ورجل إلى بلاد كثيرة منها العراق والحجاز، وسمع من شيوخها وأجازوه، وأخذ عن البخاري وشاركه في كثير من شيوخه، حتى أصبح واحداً من أصحاب الكتب الستة المشهورين.

وكان الترمذي معترفاً بالفضل لشيخه الإمام البخاري وكان البخاري يبادل الترمذي هذا الاعتراف بالتقدير والإكبار؛ لذا ألحقته بشيوخه ومفيديه.

وقد وقع للترمذي في جامعه حديث واحد ثلاثي أي أنّ بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة وهو ما رواه في أواخر الفتن قال: حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري ابن ابنة السّدي الكوفي أخبرنا عمر بن شاكر عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض، على الجمر**» قال الترمذي: (هذا حديث غريب من هذا الوجه)، وليس في جامع الترمذي حديث ثلاثي غير حديث أنس هذا.

كان الإمام الترمذي من الصفات والأخلاق ما كان له الأثر الأكبر في إمامته وتقدمه فقد كان قوي الحافظة، حاضر الذهن، يضرب به المثل في الحفظ والضبط.

وقد حدَّثَ عن نفسهِ قصةً قال: كنت في طريق مكة، وكنت قد كتبت جزأين من أحاديث شيخ فمرّ بنا ذلك الشيخُ فسألت عنه؟ فقالوا: فلان، فذهبت إليه وأنا أظن أن الجزأين معي، وحملت معي في محملي جزأين كنت أظن أنهما الجزآن اللذان له، فلما ظفرت به وسألته السماع أجابني إلى ذلك.

أخذت الجزأين فإذا هما بياض فتحيرت، فجعل الشيخ يقرأ عليَّ من حفظه، ثم ينظر إليَّ، فرأى البياض في يدي! فقال: أما تستحي مني؟ قلت: لا، وقصصت عليه القصة، وقلت احفظه كلَّهُ، فقال: اقرأ، فقرأت جميع ما قرأ عليَّ على الولاء، فلم يصدقني، وقال: استظهرت قبل تجيء!؟ فقلت: حدثني بغيره، فقرأ عليَّ أربعين حديثاً من غرائب حديثه، ثم قال: هاتِ اقرأ، فقرأت عليه من أوله إلى آخره كما قرأ، فما أخطأت في حرف! فقال لي: ما رأيت مثلك![1].

---

(١) من كتاب الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين (بتصرف) للدكتور نور الدين العتر حفظه الله.

ترجمة الشارح العلامة عبد المجيد الشرنوبي

عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبي، فقيه مالكي مصري أزهري، عالم همام، مؤلف محقق.

ولد في بلدة شُرنوب التابعة لمركز دمنهور بمديرية البحيرة بمصر.

التحق الشرنوبي بالأزهر الشريف، فأخذ عن علمائه.

عمل مصححاً لدار الطباعة المصرية الأميرية ثم عُيِّنَ بدار الكتب الأزهرية.

كان رحمه الله مشغولاً بالتدريس بالأزهر، وتأليف الكتب ونشرها، مشاركاً في الفقه والحديث والتصوف واللغة والنحو وغيرها.

آثاره العلمية:

أَلَّفَ رحمه الله، واختصر وشرح، فلاقَت كتبه القبول، منها:

- إرشاد السالك شرح ألفية ابن مالك.
- دلالة السالك إلى أقرب المسالك.
- شرح الأربعين النووية في الحديث.
- شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة، المسمى: جامع النهاية في بدء الخير وغاية.
- شرح حكم ابن عطاء الله السكندري، طبع طبعة جديدة بتحقيق الشيخ الدكتور عبد الفتاح البزم.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٨هـ عن سنٍّ عالية[1].

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمخلوف ص (٤١٢).
الأعلام للزركلي: (٤/١٤٩) وفيه مصادر ترجمته.



مقدمة
في بيان فوائد معرفة شمائله ﷺ(١)

إنَّ معرفةَ شمائِله ﷺ وحسنِه الظاهرِ والباطنِ مما يتأكَّد، بل يتعين على كلِّ مؤمنٍ لوجوهٍ:

الوجه الأول: إنَّ معرفةَ صفاتِه السنيَّة ونعوتِهِ البهيَّة السميَّة ﷺ وسيلةٌ إلى امتلاء القلب بتعظيمه، وتعظيمُه وسيلةٌ إلى تعظيم شريعته، لأن حُرمةَ الكلام على قدر حُرمةِ المتكلم به، وتعظيمَ الشريعةِ واحترامَها وسيلةٌ إلى العملِ بها، والوقوفِ عند حدودها، والارتباطِ لأمرها ونهيها، وإيثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها، وذلك هو معنى الانقطاع إلى الله الذي لأجله خُلِق الإنسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهو وسيلة إلى السعادة الأبدية، والسيادة السرمدية، والفوز برضوان الله تعالى الذي هو غاية رغبة الراغبين، ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين، وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدْره ﷺ وتعظيم شأنه وأمره في غير ما آية من كتابه العزيز؛ كآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١] وآية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وآية: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

(١) منقولة بتصرف من مقدمة شرح الشمائل المحمدية للشيخ العلامة محمد بن قاسم جسوس.

﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وآية القسم بمُدَّة حياته: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وبعصره: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وببلده: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، وعلى صدقه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢]، وعلى إكرامه والإنعام عليه: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]، أقسم تعالى أن صفاءَ المحبة باقٍ كما كان، وخلوصَ المودَّة لم يَزُل ولم يتبدل.

الوجه الثاني: إن معرفتها تتضمن معرفة حسنه وإحسانه ﷺ، وذلك وسيلة إلى محبته، لأن أسباب المحبة وإن تكاثرت فمدارها على أمرين: الحُسْن والإحسان، فإن النفوس مجبولة على حب الحُسْن كما إنها مجبولة على حب المُحسِن إليها، ولا حسْنَ يماثل حسْنَه ﷺ، كما لا إحسان يماثل إحسانه ﷺ إلينا، إذ كل خير وبركة قَلَّت أو جَلَّت منه حصلت وبطلعته ظهرت، ومحبته ﷺ هي روح الإيمان الذي هو أصل كل سعادة وسيادة، وفي محبتِنا له ﷺ مِنَنٌ عظيمةٌ علينا، لأنها موجبة لمعيَّته ومجاورته وصحبته لحديث: «**أنت مع من أحببت**»[1] «**والمرء مع من أحبَّ**»[2]، وروى الحافظ أبو نعيم عن مسعر بن كدام عن عطية قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنه جالساً، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن وددت أني رأيت رسول الله ﷺ، فقال له ابن عمر: فكنت تصنع ماذا؟ فقال: كنت والله أومِنُ به وأقبِّل بين عينيه، فقال له ابن عمر: ألا أبشرك، قال: بلى، يا أبا عبد الرحمن، قال: سمعت

(١) أخرجه البخاري (٦١٧١) ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤٠).

رسول الله ﷺ يقول: «**ما اختلط حبي بقلب أحد فأحبني إلا حرَّم الله جسده على النار**».

الوجه الثالث: إن السعي في معرفتها خدمةٌ لجانبه ﷺ، وثناء عليه، وتعلق به، وتعظيم لقدره، وتقرب وتودد واستعطاف وانتساب، وتعرض لنفحات فضل الممدوح، واستمطار لسحائب إحسانه، واستنزال لغزير بِرّه وامتنانه، ومَدٌّ ليَدِ الفاقة والاضطرار، وبَسطٌ لبساط الإلحاح والإكثار، وفتحٌ لأبواب خزائن ما يأتي من قبله، فإن الكرام إذا مدحوا أجزلوا المواهب والعطايا، وقد أعطى العباسَ بنَ مرداس لما مدحه ﷺ مائة من الإبل، وخلَعَ حلته على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

إن الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ به ... مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

وفي ذلك أيضاً تعرض لنفحات الرحمة الإلهية، لأنه إذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيِّدهم وسندهم وممدِّهم ﷺ، وبالجملة فأدنى انتسابٍ إليه ﷺ يحصِّل غاية النفع والشرف، إذ لم يخلق الله تعالى خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يخلق جاهاً أعظم من جاهه ﷺ، فيحصل لخادمه من الجاه بحسب مالَه ﷺ من العز والشرف، قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: ما في الوجود من جَعَلَ الله تعالى له الحلَّ والربط دنيا وآخرة مثل النبي ﷺ، فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة، وأكرمه جميع المؤمنين، كما ترى ذلك فيمن كان مقرباً عند ملوك الدنيا، ومن خدم السيد خدمَتْه العبيد.

الوجه الرابع: إن معرفةَ صفاتِهِ معينةٌ على شهود ذاكره لذاته، وفي رؤيته ﷺ يقظةً أو نوماً فوائد عظيمة، ومزايا كبيرة فخيمة.

الوجه الخامس: إن في ذكرها وسماعها تنعماً وتلذذاً بحبيب القلوب وقرة العيون ﷺ، وهو ضرب من الوصال به ﷺ، ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به، لما فيه من إمتاع حاسة السمع واللسان بأوصاف المحبوب الذي هو وسيلة إلى حضوره بالقلب، فإن فات النظر إليه بالبصر لم يَفُتِ التمتع به بالسَّمع والنظر إليه بالبصيرة، كما قال بعضهم:

يا وارداً من أُهيلِ الحيِّ يُخبِرني
عن جِيرَتي شَنِّفِ الأسماعَ بالخَبرِ
ناشدتُّكَ اللهَ يا راوي حديثِهِمِ
حدِّثْ فقد نابَ سمعِي اليومَ عن بصَرِي

وقال سيدي أبو مدين رحمه الله تعالى ونفعنا به:

ونحيّا بذِكراكُم إذا لم نراكم
ألا إن تذكار الأحبَّةِ ينعِشُنَا
فلولا معانِيكم تراها قلوبُنا
إذا نحن أيقاظ وفي النوم إن غِبْنَا
لَمِتْنا أسىً من بعدِكم وصبابةً
ولكنَّ في المعنى معانيكمُ معْنَا
يحرِّكنا ذكرُ الأحاديثِ عنكمُ
ولولا هواكُم في الحشَا ما تحرَّكنَا

وقال ابن الجزيري في مدح الشمائل مشيراً إلى المعنى:

أخلايَ إن شطَّ الحبيبُ وربعهُ وعزَّ تلاقيه ونائتْ منازلُهْ
وفاتكُم أن تنظرُوه بعينِكُم فما فاتكُمْ بالسَّمعِ هذي شمائلُهْ

ولبعضهم في المعنى:

يا عَينُ إن بعُدَ الحبيبُ ودارُه ونأت مرابعُه وشطَّ مزارُهُ
فلقَد ظفِرتَ من الحبيبِ بطائلٍ إن لمْ تراهُ فهذِه آثارُهُ

ولا شكَّ أن كتاب الشمائل من أحسنِ ما صُنِّفَ في شمائله وأخلاقه ﷺ بحيث إن مُطالِع هذا الكتاب كأنه يطالع طلعة ذلك الجناب ويرى محاسنهَ الشريفة في كل باب.

الوجه السادس: إن ذكر محاسنه ﷺ يحرك ما في القلوب من الحُبِّ الساكنِ والشوقِ الكامن، ويحصل من انشراح الصدر وتفريح القلب ما يناسب إجلاء تلك المحاسن، وقد يغيبُ المُحِبُّ عند ذكر أوصاف المحبوب ﷺ، ولا سيما إن كان القارئ حسنَ الصوت، وكانت قراءته على وجهٍ يثيرُ الخشوع ويُرقِّقُ القلوبَ، كما هو المطلوب عند قراءة القرآن، ويرحمُ اللهُ الشيخَ عبد الرحيم البرعي إذ قال:

وتأخذُ قلبِي نشوةً عندَ ذِكرِكُم
كما ارتاحَ صبٌّ خامرتْهُ خمُورُ
أصومُ عن الأغيارِ قطعاً وذِكرُكُم
سحُورٌ لصومِي في الهَوى وفُطورُ
ومدحُ رسولِ اللهِ أصلُ سعادتِي
أفوزُ به يومَ السماءُ تمُورُ

نـبـيٌّ تـقـيٌّ أريَـحـيٌّ مـهـذبُ
بـشـيـرٌ لـكـلِّ الـعـالَـمـيـن نـذِيـرُ
إذا ذُكِـرَ ارتـاحـتْ قـلـوبٌ لـذكـرِه
وطـابـتْ نـفـوسٌ وانـشـرحْـنَ صـدُورُ

وبالغيبة فيه ﷺ يتضاعف ويتجدد من الإقبال على الخير والتجلِّي بأنواع البرِّ أمرٌ غيرُ متعارَف.

مقدمة للمؤلف

هذا مختصر كتاب الشمائل المحمدية للحافظ الترمذي وبهامشه الشرح المسمى بالعطر الشَّذي لمؤلفهما الفقير إلى مولاه الغني عبد المجيد الشرنوبي الأزهري حفظه الله.

يقول مؤلفهما عفا الله عنه: اعلموا أيها الإخوان، أصلح الله لي ولكم الحال والشأن، أني ضبطت هذا المختصر الشريف، واقتطفت له من الثمرات الشهية هذا الشرح اللطيف.

فإذا بدا لا تستقلوا حجمه، وحياتِكم فيه الكثير الطيب، فإن من يطالعه، كأنه يشاهد سيد الأحباب، ويرى محاسنه الشريفة في كل باب، كما قلت:

إذا رمتَ الوصولَ إلى المعالي ... وبدرُ عُلاك فيها غيرُ آفِلْ

وأن تحظى وتبصرَ نورَ طه ... وحليتَه كما حظيَ الأوائلْ

فبادِرْ واجمعِ الأفكارَ وانظر ... بعين الحبِّ في هذي الشمائلْ

هناك تهيم بالمختارِ وجداً ... كغُصنٍ حرَّكته يدُ الشمائلْ

وتأتي مخبِراً بكمالِ وصفٍ ... وآدابٍ وللآثارِ ناقلْ

فلا زلنا جميعاً في حِماهُ ... فإنَّ حماهُ من أبهى الوسائلْ[1]

(١) جاء في الأصل في نهاية هذه المقدمة: هذه طبعة أولى بمطبعة بولاق الأميرية، في ظل الحضرة الخديوية العباسية، مشمولة بنظر وكيلها حضرة محمد بك حسني ذي الأخلاق المرضية في سنة ١٣١٨هجرية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية، بتصحيح مؤلفه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي خَصَّ حَبِيبَه المصطفَى بأعظمِ الشَّمائل، والصلاةُ والسلامُ على من جعَله اللهُ إليه أقْرَبَ الوسائل سيدِنا محمدٍ المَنعُوتِ في الكتاب الكريم، بقولِه سبحانَه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وعلى آلِه الأعْلام، وأصحابِه بُدُورِ التَّمام.

(وبعدُ).........

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي: باسم الإله الملك المعبود الواسع الكرمِ والجود أصنِّفُ هذا الكتاب، في أوصاف سيد الأحباب، ولما كان شكر المنعم واجباً قال:

(الحمد لله) أي: الوصف بكلِّ كمالٍ ثابتٌ لله على سبيل الاستحقاق.

(المصطفى) أي: المختار من جميع المخلوقات.

(الشَّمائل) بالهمز كما في كتب اللغة والصرف: جمع شِمال بكسر الشين المعجمة؛ بمعنى الطبع.

(الوسائل) جمع وسيلة، مما يُتوسَّل به إلى المقصود.

(المنعوت) أي: الموصوف.

(في الكتاب الكريم) أي: القرآن.

(خُلُق) بمعنى الطبع والسجية.

(الأعلام) جمع عَلَم، يطلق على الجبل وعلى سيد القوم.

فيقولُ الفقير إلى مولاهُ الغني عبدُ المجيدِ الشَّرنوبي الأزْهري:

لمَّا كانت معرِفَةُ شمائِل الحَبيبِ المَحْبوب مِن أعظمِ ما يُتَقرَّبُ به إلى عَلَّام الغُيوبِ، وكانَ كِتابُ الشمائِلِ المحمَّديَّةِ للحافِظِ التِّرْمِذي مِن أَجْمَلِ ما أُلِّفَ فيها، وقد شَمِلَ الأنامَ بِضَوعِ عِطْرِهِ الشَّذِي، أردتُ اخْتِصَارَه بِحَذْفِ السَّنَد، ما عَدا راوِيَ الحديثِ فإنَّ عليه المُعتَمد، وتركتُ الحديثَ الذي قال فيه: نَحْوَه أو مِثْلَه؛ لِدَلالةِ السَّابِقِ عليه، وما تكرَّرَ أيضاً، لِتَقْرُبَ أحاديثُ الشمائِلِ للطالبِ، ويَسْهُلَ تحصِيلُها لَدَيه، وأتيتُ بتَعْديلٍ لطيفٍ في بعضِ الأبواب، واللهُ تعالى يوفِّقُنا لسُلوكِ سبيلِ الصَّواب، بجاه النبيّ الأعظم ﷺ.

(الشرنوبي) نسبةً إلى شرنوب، بلدةٌ من أعمال البَحيرة.

(الأزهري) نسبة إلى الأزهر الشريف لتلقيه العلوم فيه، وهو أول مسجد أُسِّس بالقاهرة، ابتدأ إنشاءه جوهرُ القائد، بأمر المعزّ لدين الله سنة (٣٥٩) من الهجرة، وتم في رمضان سنة (٣٦١).

(للحافظ) هو عند المحدّثين من يحفظ مائة ألف حديث.

(التِّرمذي) نسبةً إلى تِرمِذ بكسر الفوقية والميم، وضمهما، وفتح الفوقية مع كسر الميم، قرية على نهر جيحون، الفاصل بين عراق العرب والعجم، مات بها سنة (٢٧٩) هـ، وله سبعون سنة، واسمه محمد، وكتابه السنن أحدُ الكتب الستة المشهورة.

(بِضَوع) أي: رائحة.

(الشَّذي) أي: شديد الرائحة.

(السَّند) أي: الرواة.

(سبيل) أي: طريق.

باب ما جاء في خَلْقِ رسول الله ﷺ(*)

(١) عن أَنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ ليسَ بالطَّويلِ البائِنِ، ولا بالقَصيرِ، ولا بالأبْيَضِ الأمْهَقِ، ولا بالآدَمِ، ولا بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبْطِ، ....

(*) **(باب ما جاء في خَلْق رسول الله)** أي: هذا بابُ الأحاديث التي وردت في بيان خَلْق ـ بفتح فسكون، أي: صورة ـ رسول الله الظاهرةِ، وإنما قدَّمه على بيان الخُلُق ـ بضمتين، أي: الأوصاف الباطنة ـ مع أشْرفِيَّتها ـ ولذا سَمَّى كتابَه بالشمائل، تسميةً للكل بأشرف أجزائه ـ إما لأنه أولُ ما يُدرك من أوصاف الكمال، وإما لأنَّ الظاهر عنوان الباطن فقُدِّم ليكون كالدليل عليه.

واعلم أن ما ورد في صفة النبي ﷺ يُعدُّ من قسم المرفوع، لأنه: ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة.

(١) **(أنس بن مالك)** هو خادمُ رسولِ الله.

(البائن) بالهمز، أي: الظاهر.

(الأمْهَق) أي: الشديد البياض الخالي عن الحمرة.

(ولا بالآدَمِ) بالمدّ، أي: شديد السُّمرة، والمراد بها الحمرة.

(ولا بالجَعد) أي: إن شعره ليس بالجعد، أي: الملتوي.

(القَطَطِ) بفتحتين، أو بفتح فكسر، أي: شديد الجعودة.

(ولا بالسَبْطِ) بفتح فكسر، أو بفتح فسكون، أو بفتحتين، أي: المسترسل، والمراد أنه لم يكن شديدَ الجعودة كشعر السودان، ولا شديد السبوطة كشعر الروم، وإنما كان بين ذلك قَواماً.

بَعَثَهُ الله تُعالى على رأسِ أربعين سَنَةً، فأقامَ بِمَكَّةَ عشْرَ سِنينَ، وبالمدينةِ عشرَ سنين، وتَوفَّاهُ الله على رأسِ سِتينَ سَنةً، وليس في رأسِهِ وَلحْيَتِهِ عِشرونَ شعرةً بَيضاءَ. [أخرجه البخاري (٣٣٥٥) ومسلم (٢٣٤٧)].

(٢) وعنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ رَبْعَةً ليس بالطَّويلِ ولا بالقَصِيرِ، حَسَنَ الجِسْمِ، وكان شعرُهُ ليس بجَعْدٍ ولا سَبْطٍ، أَسْمرَ اللَّوْنِ إذا مَشَى

(بعثه الله) أي: أرسلَه إلى كافة الخلقِ بشيراً ونذيراً.

(على رأس) أي: عند استكمال.

(أربعين سنة) وهو سِنُّ الكمالِ.

(عشر سنين) وفي رواية: ثلاثة عشر سنة، ويجمع بينهما بأن الراوي هنا ألغى الكسر وهو ما زاد على العقد، كما ألغاه في قوله: **(ستين سنة)**، فإن الصحيح أنّ سِنَّه ثلاثٌ وستون سنة.

(وليس في رأسِهِ وَلحْيَتِهِ عِشرونَ شعرةً بَيضاءَ) وهذا يدل على قلة الشعر الذي شاب عند رسول الله ﷺ، والعدد لا يراد به التحديد، فقد اختلفت الروايات في ذلك، والشيب وإن كان وقاراً، إلا أنه ﷺ كان غنياً بالبهاء الذي أعطاه الله له، وبالتوقير الذي أمر الله به له عن كل وقار آخر، وقد ورد في أسباب شيب رسول الله ﷺ قوله: «شيبتني هود وأخواتها» رواه الترمذي.

(٢) **(ربعة)** أي: مربوعَ القدِّ، وفسَّره بقوله: **(ليس بالطويل... إلخ)**، والمنْفيُّ الطول البائن، فلا ينافي أنه إلى الطول أقرب، وكونُه ربعةً أمرٌ تقريبي.

(حسَنَ الجسم) أي: معتدل الخَلْق، متناسب الأعضاء.

(أسمَرَ اللون) خبر آخر لكانَ الأُولى، وقد علمتَ أن المراد بالسمرة الحمرة لأن العرب قد تطلق على المشرب بالحمرة أسمر، وهذه اللفظة انفرد بها حُميد عن أنس، ورواية غيره عنه: **(أزهر اللون)**.

يتّكفّأ. [أخرجه المصنف في السنن (١٧٥٤)، وروى البخاري شطره الأول (٣٣٥٤)، وأخرج مسلم بعضه (٢٣٣٠)].

(٣) عن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ[1] قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ رجُلاً مَرْبُوعاً؛ بعيدَ ما بين المَنْكِبَيْنِ، عظيمَ الجُمَّةِ إلى شَحْمةِ أُذُنَيهِ، عليه حُلَّةٌ حمراءُ ما رأيت شيئاً قَطُّ أَحْسنَ منه. [أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٣٧)].

(يتكفأ) أي: يميل إلى قُدَّام، لأنها مشْيَةُ أولي العزم.

(٣) **(رجلاً)** أي: كامل الرجولية.

(بعيدَ ما بين المنكبين) تثنية منكِب كمجلس، مجمعُ عظم العضد والكتفِ، أي: عريض أعلى الظهر.

(عظيمَ الجُمَّة) وهي ما وصل إلى المنكبين من شعر الرأس، والوَفرة ما وصل إلى شحمة الأذن، واللِّمَّة ـ بكسر اللام ـ ما نزل عن الأذنين ولم يصل إلى المنكبين، وعليه قول بعضهم:

الوفرةُ الشعرُ لشحمةِ الأُذُنْ ... وجُمَّةٌ إنْ هِيْ لمَنْكِبٍ تَكُنْ

وَسَمِّ ما بينَهُما باللِّمَّةِ ... قدْ قَالَ ذَا جُمهورُ أهلِ اللُّغَةِ

وأما غير الجمهور فقد اختلفوا في تفسير هذه الثلاث، فقال الزمخشري: الجمَّة ما تدلَّى من الشعر إلى شحمة الأُذن، وهو الذي يناسب قولَ المصنف: **(إلى شحمة أذنيه)**، أي: ما لَانَ من أسفَلِهما.

(حلَّة) هي ثوبٌ له بطانة، أو إزارٌ ورداء.

(حمراء) أي: لها خطوط حمْرٌ كالبُرودِ اليمانية.

(قَطُّ) ظرف زمان مبني على الضم.

(أَحسَنَ منه) أي: ذاتاً وصفةً، بل هو الأحسن، كما قيل فيه:

---

(١) صحابي جليل كنيته: أبو عمارة وكان ممن شهد الخندق مع رسول الله ﷺ مات سنة ٧٢هـ بالكوفة وعازب أبو البراء وهو صحابي جليل، وهو أنصاري من الاوس.

(٤) وعنه قال: ما رأيتُ مِن ذِي لِمَّةٍ في حُلَّةٍ حَمراءَ، أحسن من رسول الله ﷺ له شعرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيهِ، بَعيدُ ما بين المَنْكِبينِ، لم يكن بالقَصيرِ ولا بالطَّويلِ. [أخرجه مسلم (٢٣٣٧)، والمصنف في السنن (١٧٢٤)].

(٥) عن عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: لم يكن النبيُّ ﷺ بالطَّويلِ ولا بالقَصيرِ، شَثْنُ الكفَّيْنِ والقدمَيْنِ، ضَخْمُ الرأسِ، ضخمُ الكَرادِيسِ، طَويلُ المَسْرُبَةِ إذا مشى تَكَفَّأَ تكفُّؤاً كأنما يَنْحَطُّ مِن صَبَبٍ،

وأجمَلُ مِنْكَ لم تَرَ قَطُّ عَينيْ ... وأكمَلُ منكَ لم تَلدِ النِّسَاءُ

خُلِقْتَ مُبرَّأً مِن كُلِّ عَيبٍ ... كَأنَّكَ قَدْ خُلقْتَ كما تَشَاءُ

(٤) **(من ذِي لِمَّةٍ)** مفعول رأيتُ، و**(من)** زائدة للتنصيص على استغراق جميع الأفراد، واللِّمَّة تطلق عند غير الجمهور على الشعر الواصل للمنكبين، فيكون قوله: **(له شعر... إلخ)** تفسيراً لها.

(٥) **(شَثْنُ)** بالرفع خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أي: هو شَثْن الكفين، أي: غليظُهما مع لينٍ، وسُمِّيَت الراحة مع الأصابع كَفّاً لأنها تكُفُّ الأذى عن البدن، وهي مؤنثةٌ كالقدم.

(ضخمُ الرأس) أي: عظيمُه، وذلك يدل على النجابة.

(الكَرَاديس) جمع كُرْدُوس بوزن عُصْفُور، وهو كلُّ عظمين التقيا في مفصل، نحو: المنكبين والرُّكبتين والوَرِكَين.

(المَسْرُبة) بفتح الميم وسكون المهملة وضم الراء وقد تفتح، أي: الشَّعر الدقيق من اللَّبَّة إلى السرة.

(تكفَّأ تكفُّؤاً) أي: مال إلى قدَّام.

(كأنَّما ينحَطُّ) أي: ينزل.

(من صَبَبٍ) أي: فيه، فإن الصَّبَبَ ما انحدَر من الأرض، وفي بعض النسخ: **(في صبب)**.

لم أرَ قَبْلهُ ولا بعدَهُ مِثْلَه. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٨٩ ـ ٩٦ـ ١٠١ـ ١١٦ـ ١١٧ـ ١٢٧ـ ١٣٤) والمصنف في السنن (٣٦٣٧)].

(٦) عن إبراهيمَ بنِ محمدٍ من وَلَدِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ قال: كان عليّ إذا وَصَفَ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (لم يكن رسولُ اللهِ ﷺ بالطَّويلِ المُمَّغِطِ، ولا بالقَصيرِ المُتَرَدِّدِ، كان رَبْعَةً ....

(لم أرَ قبلَه... إلخ) كنايةً عن نفي كون أحدٍ يماثلُه، فهو كما قال فيه البوصيري:

منزَّهٌ عن شريكٍ في محاسنِه ... فجوهرُ الحُسْنِ فيه غيرُ منقسِمِ

(٦) (ابن محمد) أي: ابن الحنفية[1]، وهي خولةُ بنتُ جعفر، أخذها عليٌّ من سبي بني حنيفة.

(من وَلَد) بفتحتين ـ كما هو الرواية ـ اسم جنس، ويصِحُّ أن يُقرأ بضم فسكون اسم جَمْعٍ.

(قال) أي: إبراهيم، وفي هذا السند انقطاع؛ لأن إبراهيم لم يسمع من جدِّه علي.

(الممَّغِط) بشدِّ الميم الثانية وكسْر الغين المعجمة اسم فاعل من الانغماط، أي: التناهي في الطول، وقيل: بتخفيف الميم وشدِّ المعجمة اسم مفعول من التَّمغُّطِ.

(المتردِّد) أي: المتناهي في القِصَر.

(كان) وفي نسخة: (وكان) (ربعَةً) أي: متوسِّطاً.

(١) أبو القاسم، محمد بن علي بن أبي طالب، من زوجه خولة الحنفية، ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه، كان ورعاً، كثير العلم، توفي رحمه الله سنة (٨٠) هـ. سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠).

مِنَ القوْمِ، لم يكن بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبطِ، كان جَعْداً رَجِلاً، ولم يكن بالمُطَهَّمِ ولا بالمُكَلْثَمِ، وكان في وجهِهِ تَدْوِيرٌ، أبيضُ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ العَيْنينِ، أهدَبُ الأَشْفارِ، جليلُ المُشاشِ والكَتَدِ، أجْرَدُ ذُو مَسْرُبَةٍ، شَثْنُ الكَفْينِ والقدَمينِ، إذا مشى تَقَلَّعَ كَأنَّما يَنْحَطُّ مِن صَبَبٍ،

(من القوم) أي: في قومِهِ غيرَ أنه كان إلى الطولِ أقرب.

(كانَ جعداً رَجِلاً) بفتح الراء وكسر الجيم، وتُفتح وتسكَّن، أي: كان شَعره فيه تكسُّر قليل بين الجعودة والسُّبوطة، فهو إثباتٌ لصفة الكمال بعد نفي غيرها.

(بالمطَهَّم) بصيغة اسم المفعول، وكذا **(بالمكلثم)** والمطَهَّم: هو كثير اللحم، والمكلثم: المدوَّر الوجهِ تدويراً مفرِطاً، فيُحمَل قوله: **(وكان في وجهِه تدويرٌ)** على التدوير اللطيف مع الإسالة.

(أبيضُ) خبر مبتدأ محذوف.

(مشْربٌ) أي: مخلوطٌ بحمرة، وهو بتخفيف الراء وتشديدِها.

(أدعَجُ) أي: شديد سواد **(العينين)** مع سعتهما.

(أَهْدَبُ الأشفار) أي: طويلُ شعرِها، فإنَّ الأشفارَ هي حروف الأجفان التي تنبت عليها الأهداب.

(جليل) أي: عظيمَ، **(المُشاش)** جمعُ مُشَاشَة بضم الميم، وهي رؤوسُ العِظام، فهي مرادفة للكَرَادِيس.

(والكَتَدِ) بفتح الفوقية وكسرِها، مجتمع الكتفين.

(أَجْرَدُ) أي: خالي الشعرِ من أغلب المواضعِ مِن بدنه.

(تَقَلَّع) أي: مشى بقوة كأنه يقلع رجلَه من الأرض.

وإذا التَفَتَ التفت مَعاً، بين كَتِفَيْهِ خاتَمُ النُّبُوَّةِ، وهو خاتَمُ النَّبِيينَ، أَجْوَدُ الناسِ صَدْرَاً وأصدَقُ الناسِ لَهْجَةً، وأَلْيَنُهُمْ عَرِيكةً، وأكرمُهُم عِشْرةً، من رَآه بَدِيهَةً هابَهُ، . . . .

(التَفَتَ مَعاً) أي: بجميع أجزائِه، لا بعنقه لما في ذلك من الخِفَّة، وهذا إذا التفت وراءه، وأما إذا التفتَ يمنةً أو يسرةً فيكون بعُنقِه الشريفِ فقط.

(خاتِمُ النبوَّة) بكسر التاء وفتحها، وهو قطعة لحم بارزة.

(خاتِمُ النبيين) بفتح التاء وكسرها، فلا نبيَّ بعده تُبْتَدَأُ نُبوَّتُه، فلا يَرِدُ عيسى عليه الصلاة والسلام[(١)].

(أجودُ الناسِ صدراً) أي: إن جُودَه كان عن انشراحِ صدرٍ وطِيبِ قلبٍ[(٢)].

(لهْجَةً) بسكون الهاء وفتحها، أي: كلاماً.

(عريكةً) أي: طبيعةً، فقوله: **(وأكرمُهم عِشْرَة)** من عَطف أحدِ المتلازِمَين على الآخر، وفي نسخ: **(عشيرةً)** كقبيلةً وزناً ومعنى.

(من رآهُ بديهةً) أي: مفاجأة قبل معرفتِه؛ يقال: بَدَهَهُ أمرٌ وبادهَهُ؛ فاجأه، والاسمُ البداهةُ والبديهةُ. **(هابه)** أي: خافه وأجَلَّه[(٣)]، كما قال البوصيري:

---

(١) فإنه ينزل تابعاً لشريعة نبينا محمد ﷺ، وفي كونه ﷺ خاتم النبيين مزايا كثيرة؛ منها: دوام شريعته وعدم نسخها، ووراثته لما تفرق في الأنبياء قبله ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والستر على أمته حتى لا يطلع على مساويهم غيرهم من الأمم، كما اطلعت هذه الأمة على مساوي غيرها، فكانت متَّعِظة بغيرها، لا متَّعَظاً بها (ابن قاسم).

(٢) ويمكن أن تكون (أجود) من الجودة، أي: أحسنهم قلباً لسلامته وطهارته من كل رذيلة (ابن قاسم).

(٣) قال العلماء: والمهابة: أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله تعالى وجلاله ومحبته، فإن القلب إذا امتلأ بذلك حله النور، ونزلت عليه السكينة، وألبس رداء الهيبة، واكتسى ثوب المحبة، فأخذ بمجامع القلوب هيبة ومحبة، وخنعت له الأفئدة، =

ومَن خالَطَهُ معْرِفةً أَحَبَّهُ، يقولُ ناعِتُهُ: لم أر قبلَهُ ولا بعدَهُ مِثلَهُ. [أخرجه المصنف في السنن (٣٦٣٨)].

(٧) عن الحَسنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما قال: سألتُ خالِيَ هِنْدَ بنَ أبي هَالَةَ ـ وكان وَصَّافاً ـ عن حِلْيَةِ النبيِّ ﷺ وأنا أشْتَهِي أن يَصِفَ لي منها شيئاً أتعَلَّقُ به، ....

كـأنَّـه وهْـو فَـرْدٌ مِـن جَـلالَـتِـه ... في عَسْكَرٍ حينَ تلقاهُ وفي حَشَمِ

(**ومَنْ خالطَهُ مَعرفة**) أي: مخالطةَ معرفةٍ.

(**أحبَّه**) لما يتحققه من كمال صفاته الظاهرة والباطنة.

(**يقول ناعته**) أي: واصفه بالجميل.

قال ابن الفارض:

كَمُلَتْ مَحَاسِنُه فلو أهدَى السَّنَا ... لـلبَـدْرِ عِـنْدَ تَـمَامِـهِ لـم يُـخْسَـفِ

وَعَلَـى تَـفَـنُّـنِ واصِـفِـيْـهِ بـحُـسْـنِـهِ ... يَفْنَى الزَّمَانُ وفيهِ مَا لـم يُوصَفِ

(٧) (**عن الحسَن**) أي: السِّبط.

(**خالي**) يعني: أخا أمِّه فاطمةَ من أمها خديجة.

(**وصَّافاً**) أي: كثيرَ الوصفِ للمصطفى لأنه كان ربيبَه وتربَّى في حِجْره.

(**عن حليةِ**) متعلِّق بسألتُ، أي: عن صفة.

(**وأنا أشتهي**) جملة حاليَّة.

(**أتعلق به**) أي: تعلُّقَ علم ومعرفة، لأنَّ النبيَّ ﷺ مات وهو [أي الحسن] في سِنٍّ لا يقتضي التأمُّلَ في الأشياء، لأنه ولِدَ سنةَ ثلاثٍ من

= وقرت به العيون، وأنست به القلوب، إن سكت علاه الوقار، وإن نطق أخذ بالقلوب والأسماع (ابن قاسم).

قال: كان رسولُ الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأ وجهُهُ تَلأْلُؤَ القَمرِ ليلَةَ البدْر، أَطْوَلَ مِنَ المرْبوعِ وأقْصَرَ مِنَ المُشَذَّبِ، عظيمَ الهامَةِ، رَجْلَ الشّعرِ، إن انْفرَقَتْ عَقيقَتُهُ فَرَقَها، . . . .

الهجرة، على أنَّ مَن تأمَّله ووصفه ـ كهِند وعليّ ـ فإنَّما وصفَه على سبيل التمثيل، وأما حقيقتُه فلا يعلمُها إلَّا من خلَقَه على أكملِ وصفٍ وأحسن تعديل، كما قال البوصيري:

إنّما مثَّلوا صِفَاتِكَ للنَّا ... سِ كما مَثَّلَ النجومَ الماءُ[1]

(فخْماً) أي: عظيماً في نفسه.

(مفخَّماً) أي: معظَّماً في عَينِ من رآه بحيث لا يقدِرُ أن يتركَ تعظيمَه مكابرةً وإن حَرِصَ على ذلك.

(يتلألأُ) أي: يضيء.

(تلْأَلُؤَ القَمرِ) أي: مثل إضاءَته عندَ كمالهِ.

(لَيلةَ البدرِ) أي: ليلةَ أربعةَ عشر.

(أطول من المربوع) لما علمت من أن كونَه ربعةً أمرٌ تقريبيٌّ.

(المشَذَّب) اسم مفعول، أي: المتناهي في الطُّول.

(الهامَة) بتخفيف الميم، أي: الرأس، وذلك يدلُّ على قوَّةِ الإدراك.

(إنِ انفرَقَتْ عقيقَتُه) أي: شعر رأسه، أي: إنْ قَبِلتِ الفرق بسهولةٍ بأن كان حديثَ عهْدٍ بغُسْلٍ.

(فَرَقَها) أي: جعلها فَرقتين، فَرقة عن يمينه، وفَرقة عن يساره.

---

(١) نص العلماء على أن حقيقة رسول الله ﷺ سر لطيف من أسرار الحق تعالى، لا يطلع عليه في هذه الدار نبي مرسل ولا ملك مقرب، وإنما أدرك المؤمنون منه ظاهر صورته المحمدية، فالخلق عاجزون عن إدراك جماله وعقله، وجاهه وعلومه، وعبوديته وخوفه، ورجائه وزهده، وتواضعه وشفقته، ورحمته وجوده. ا.هـ (ابن قاسم).

وإلا فلا يُجاوِزُ شَعرُهُ شَحْمةَ أُذُنَيْه إذا هو وفَّرَهُ، أزْهرَ اللَّوْنِ واسِعَ الجَبين، أزَجَّ الحَواجِبِ سَوابغَ مِن غير قَرَنٍ، بينهُما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضب، أَقْنَى العِرْنينِ، له نُورٌ يَعْلوهُ، . . . .

(وإلا فلا) يحتمل أن يكون كلاماً تامّاً، أي: وإن لم تقبل الفرقَ بنفسِها فلا يفرقُها، ويكونُ قوله: **(يجاوز شعره. . .إلخ)** مستأنفاً، ويحتمل أن يكون قوله: **(وإلا فلا يجاوزُ شعرُه. . .إلخ)** كلاماً واحداً، بمعنى أنَّ عقيقتَه إذا بقيت بدونِ فَرْقٍ لم يجاوز شعرُه شحمةَ أذُنيه إذا هو وفَّره؛ أي: جعلَهَ وَفْرَةً، بل يكون محاذياً لهما، فإن انفرقَت جاوزَت ذلك.

(أزهرَ اللون) أي: أبيضَه بياضاً نَيِّراً.

(واسعَ الجبين) «ال» فيه للجنس، فيشمل الجبينين؛ وهما ما اكتنفا الجبهة من يمينٍ وشمالٍ، وسَعةُ ذلك محمودةٌ[(١)].

(أزجَّ) أي: مُقوَّس، **(الحواجب)** أي: الحاجِبين مع طول.

(سوابغ) حالٌ من الحواجب، أي: كوامل **(من غير قَرَن)** بفتح الراء حال متداخلة، أي: إن حواجِبَه لم تكن مقرونةً، فهو أبلَجُ.

(بينهما) أي: الحاجبين.

(عِرْق) بكسر المهملة، **(يدرُّه)** أي: يُحرِّكُهُ، **(الغضَبُ)** حتى يجعله ممتلئاً بالدم كما يمتلِئُ الضَّرعُ باللبن، وإنما كان يغضب لله.

(أقنى) بالقاف والنون، أي: طويل.

(العِرْنِين) بكسر المهملة، أي: الأنف، مع دقةِ أرنبته وارتفاعٍ قليل في وَسَطِه، والضميران في: **(له نورٌ يعلوه)** يعودان على العِرْنِين لكونه أقرب

---

(١) قيل: سعة جبينه ﷺ كناية عن طلاقة وجهه (ابن قاسم).

يحسَبُهُ مَن لم يَتأمَّلْهُ أشَمَّ، كَثَّ اللِّحْيةِ، سهلَ الخَدَّيْنِ، ضَلِيعَ الفَمِ، مُفلّجَ الأسْنانِ، دَقيقَ المَسْرُبة، كأنَّ عنقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ في صَفَاءِ الفِضَّةِ، مُعتَدِل الخَلْقِ، بادِنٌ مُتَماسِكٌ سَواءٌ البطْنُ والصَّدرُ، . . . .

مذكور، وقيل: على النبيّ، كالضمير في: **(يَحسِبُه)** بفتح السين وكسرها، أي: يظنُّ النبي **(من لم يتأمَّلْهُ أشمَّ)** والشَّمَمُ: ارتفاع قصَبَةِ الأنف مع استواءِ أعلاه وإشرافِ الأرنبةِ قليلاً، أي إنه لِلنُّور الذي عَلاه يخفى على الناظر من غير تأمُّلٍ حَدْبُ وسَطه، ويظنُّ استواءَ القصبة.

(كثَّ) بتشديد المثلثة، أي: عظيم.

(سهل) وفي رواية أسْيَل.

(الخَدَّين) أي: غيرَ مُرتَفِعهما.

(ضليعَ الفَمِ) أي: واسِعَه، وذلك يدلُّ على الفصاحةِ.

(مفَلَّج) أي: منفرِجَ ما بين، **(الأسنَان)** والمراد بها الثنايا العُليا، لأن انفراج جميع الأسنان غيرُ محمود.

(جِيدُ) بكسر الجيم، أي: عُنُق **(دُمْيَة)** أي: صورة من عاجٍ ونحوه بُولغ في تحسينها، والتشبيهُ بها من حيث الاستواءُ والاعتدالُ، وبصفاءِ الفضَّة من حيثُ الإشراقُ والجمالُ.

(معتدلَ الخَلْقِ) أي: متناسبَ الأعضاء.

(بادنٌ) بالرفع في هذا وما بعده إلى آخر الحديث، أي: سمين البدن، والمراد السِّمَن المتوسِّط.

(متماسِك) أي: غير مسترخي اللحم.

(سواءٌ) بالرفع منوناً، والبطنُ والصدرُ مرفوعان، وروي برفع **(سواءُ)** بدون تنوين وإضافتِه إلى البطنِ والصدر، أي: إن بطنَه كان ضامراً مساوياً لصدرِه.

عريضُ الصَّدْرِ بَعيدُ ما بين المَنْكَبينِ، ضخم الكَرادِيسِ، أَنْورُ المُتَجرِّدِ، مَوصولُ ما بين اللَّبَّةِ والسُّرَّةِ بِشَعرٍ يَجري كالخَطِّ، عارِي الثَّدْيَين والبطْنِ ممَّا سِوى ذلك، أشعَرُ الذِّراعَينِ والمَنكِبَينِ وأعالِي الصَّدرِ، طويلُ الزَّنْدَيْنِ ....

(**عريض الصدر**) وهو ممدوح في الرجال لأنه علامة النجابَة والقوة.

(**بعيدُ ما بين المنكِبين**) لازمٌ ما قبله.

(**أنورُ المتجَرِّد**) بكسر الراء اسم فاعل، أو بفتحها اسم مكان، أي: مُشرِقُ العضوِ المتجرد، أو موضعِ التجرُّد عن الثوب. (**موصولُ ما**) أي: الموضع الذي (**بين اللَّبَّة**) بفتح اللام وشدِّ الموحدة، وهي النقرة التي فوق الصدر.

(**والسُّرة**) موضع القطع.

(**بشَعرٍ يجري**) أي: يمتدُّ (**كالخطِّ**) وفي رواية: (**كالخيطِ**) وعلى كلٍّ فهو معنى دقيق المسْرُبة.

(**عاري**) أي: خالي.

(**مما سوى ذلك**) أي: الشعر المذكور، وفي نسخ: (**ما سوى ذلك**)، أي: محل الشعر، والصحيح أنه كان تحت إبطيه شعرٌ خفيفٌ، لما صح أنه كان ينتِفُه[١].

(**الزَّندين**) تثنيةُ زَند بفتح الزاي، وهو ما انحسر عنه اللحم من الذراع، وطرفُ الزَّند الذي يلي الإبهام هو الكوع، وطرفه الآخر الذي يلي الخنصر هو الكرسوع، والمراد طويل الذراعين.

---

(١) قال ابن حجر: الذي نعتقده أنه لم يكن لإبطه رائحة كريهة كما ثبت في الصحيح (ابن قاسم).

رحْبُ الرَّاحَةِ، شَثْنُ الكفَّين والقدَمين، سائلُ الأطرافِ، أو قال: شائِلُ الأطْرافِ، خَمْصانُ الأخْمَصَينِ، مَسيحُ القَدمينِ يَنْبو عَنهُما الماءُ، إذا زالَ زالَ قَلْعاً، يَخْطُو تَكفّياً ويَمشي هَوْناً، ذَرِيعُ المِشْيةِ، إذا مشى كأَنَّما ينْحطُّ مِن صَبَبٍ، وإذا التَفَتَ التفتَ جميعاً، . . . .

(رحْبُ الراحَة) أي: واسع الكفِّ حسَّاً ومعنى، [فكان أجود من الريح المرسلة] كما قال شاعره حسان بن ثابت:

له راحَةٌ لو أنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا ... على البَرِّ كان البَرُّ أندَى مِنَ البَحْرِ

لهُ هِمَمٌ لا منْتَهَى لِكَبارِهَا ... وَهِمَّتُه الصُّغرَى أجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ

(سائلُ الأطراف) أي: ممتد الأصابع طويلُها طولاً معتدِلاً.

(أو قال: شائِلُ) بالمعجمة، شكٌّ من الراوي، ومعناه مرتفع.

(الأطراف) من غير انقباضٍ.

(خَمْصَان) بفتح فسكون، وبضمتين، وكعثمان، أي: ضامر.

(الأخمصَين) تثنيةُ أَخْمَصَ بفتح الهمزة والميم، وهو الموضع الذي لا يَمَسُّ الأرض عند المشي من وسط القدم، والمراد أنه كان معتدل الأخمصين لا مُرتفعَهما جدّاً، ولا منخفضَهما جدّاً، وأما قوله: **(مسيح القدمين)** فمعناه: ليس فيهما تشقق بدليل قوله: **(ينبو)** أي: يتباعد **(عنهما الماء)** لملاسَتِهما.

(إذا زَال) أي: مشى.

(زال **قَلْعاً**) بالنصب على الحال، أي: بقوة، وأكَّد ذلك بقوله: **(يخطُو تَكفِّياً)** مصدر تكفَّا بلا همز، كتسمَّى تسمِّياً، وهو بيان لكيفية رفع رِجله ونقلِها.

وأما قوله: **(ويمشي هوناً)** فبيان لكيفية وضعها بالأرض، **(ذريعُ)** أي: واسع **(المِشية)** بكسرِ الميم، أي: الخُطْوة خِلقةً لا تكلّفاً، وسَعَة الخطوة محمودة للرِّجال. **(جميعاً)** أي: بجميع أجزائِه.

خافِضُ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إلى الأرض أطولُ مِن نظرِه إلى السَّماءِ، جُلُّ نَظرِه المُلاحَظةُ، يَسوقُ أصحابَهُ، ويَبْدُرُ مَن لَقِيَ بالسَّلام. [أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ١٥٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٨٦)].

(٨) عن جابرِ بن سَمُرة قال: كان رسولُ الله ﷺ ضَلِيعَ الفَم، . . .

(الطرْف) بسكون الراء، أي: العين. [وهذا شأن المشغول بربه المعرض عن زهرة الدنيا، ولذلك كان ينظر إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء].

(نظرُه إلى الأرض أطول) تأكيدٌ لما قبله، وهذا محمول على حال السكون، فلا ينافي أنه في حال انتظار الوحي لأمرٍ ينزل كان يُكثِر النظر إلى السماء، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البَقَرَة: ١٤٤].

(جُلُّ) أي: أكثرُ **(نظره المُلاحظةُ)** أي: النَّظر باللَّحاظ بفتح اللام، أي: شِقُّ العين مما يلي الصدغ، والمراد أنه لا ينظرُ إلى الأشياء كنظرِ أهل الشَّرَه، بل بقدرِ الحاجة امتثالاً لقول ربه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحِجر: ٨٨].

(يسُوق أصحابَه) أي: يقدِّمهم أمامه فِي المشي[١]، ويقولُ: **«خلُّو ظَهرِي للملائكة»**[٢].

(ويَبْدُرُ) بضمِ الدال، أي: يبادر، وفي نسخة: **(ويبدَأُ من لقيه بالسَّلام)** أي: حتى الصِّبيان، ومعلوم أن البَدءَ بالسلامِ سنةٌ لكنْ ثوابه أكثرُ من ثواب الردِّ الذي هو فرض.

---

(١) تواضعاً، أو إشارة إلى أنه كالمربي فينظر في أحوالهم وفي هيئتهم، كمن يقدم دابته ليتفقد أحوالها، أو رعاية للفقراء، أو تشريعاً أو تعليماً؛ لأنه خفق النعال وراء الأحمق قلما يبقي من دينه (ابن قاسم).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٩٨)، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح خلا نُبيح العنَزي وهو ثقة. ا هـ.

أَشْكَلَ العَينِ، مَنْهوسَ العَقِبِ [أخرجه مسلم (٢٣٣٩)].

(٩) وعنه قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في ليلةٍ إِضْحِيانٍ، وعليه حُلَّةٌ حمراءُ فجعلتُ أنظرُ إليه وإلى القَمرِ، فَلَهُوَ عِنْدي أحسنُ مِن القمرِ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٨١١)].

(١٠) عن أبي إسحاقَ قال: سألَ رجلٌ البَرَاءَ بنَ عازِبٍ: أكان وجهُ رسولِ الله ﷺ مِثلَ السَّيفِ؟ ....

---

(٨) (**أشكَلَ العين**) المراد بها الجنس، وفي بعض النسخ: (**العينين**)، والشُكلة بضم الشين حُمرةٌ في بياضِ العين، وهي إحدى علامات النبوّة.

(**منهوس**) بالسين المهملة، ورُوي بالمعجمة، أي: قليل لحم (**العقب**) وهو مؤخر القدم.

(٩) (**إِضْحِيَان**) أي: مُقمرة. (**لَهُوَ**) أي: فوالله لَوجهُه (**عندي**[1]) والتقييد ليس للاحتراز إلا عن الذين هم في طغيانِهم يعمهون، فإن الله أخبر عنهم بقوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، وما ألطف ما قيل فيه:

بَهَرْتَ بالحُسْنِ أهلَ الحُسْنِ فَانبهَرُوا   حتى كأنَّهُم في الحَيِّ مَا ظَهَرُوا
وصِرْتَ قُطْبَ جَمَالٍ فاسْتَمَدَّ سَنَا   مِنْ وَجْهِكَ النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ والقَمَرُ

(١٠) (**مثلَ السيف**) أي: في البريق واللَّمَعان.

---

(١) أي ينتقل بنظره من القمر إلى النبي ﷺ ومن النبي ﷺ إلى القمر، وبعد أن نظر وتأمل أرسل قسمه المؤكد: فهو عندي أوفي عيني أحسن من القمر والتقييد بكلمة عندي ليست للتخصيص، فلو رآه أي إنسان لحكم ما حكم به جابر. وتتابعت الروايات على ذلك، فقد جاء في رواية لابن المبارك وابن الجوزي أنه ﷺ (لم يكن له ظل ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه على ضوء الشمس؛ ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه ضوء السراج.

قال: لا، بَلْ مثلَ القمرِ. [أخرجه البخاري (٣٣٥٩)، والمصنف في السنن (٣٦٣٦)].

(١١) عن أبي هريرة قال: كان رسولُ الله ﷺ أبيضَ كأنَّما صِيغَ مِنِ فضَّةٍ، رَجِلَ الشَّعرِ. [أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٨٨)].

(١٢) عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ**، ....

(**مثلَ القمر**) أي: في الإضاءة لا في الاستدارة[1]، فإنه كان بين الاستِدارَة والاستِطالة.

(١١) (**أبي هريرة**) هو عبد الرَّحمن بن صخر على الأصح، وكناه النبي ﷺ بذلك لمّا رآهُ حاملاً هِرَّةً صغيرةً في كُمِّه[2].

(**صِيغ**) يقال: صاغه الله؛ حَسَّن خَلْقَه.

(**من فضَّة**) هذا باعتبار ما كان يعلو بياضه من النور واللمعان، فلا ينافي أنه كان مشرباً بحُمرة.

(١٢) (**الأنبياء**) المراد بهم ما يشمل الرُّسل، فإن المذكورين في الحديث كلهم رُسل، وهذا العَرْض كان في المنام بأمثلَةِ صُوَرهم، أو ليلةَ الإسراء بصُوَرهم الحقيقية أو المثالية التي تشكلت بها أرواحُهم على الخلافِ في ذلك، ولما كان هو قطب دائرة الوجود والسبب في كل موجود قال: (**عُرِضَ عليَّ**) فهو كالسلطان تُعرض عليه الأُمراءُ.

---

(١) هذا من التمثيل بأحسن ما يعرف في الوجود، وليس على حقيقة التشبيه الذي يكون وجه الشبه في المشبه به أتمّ، فإن نوره ﷺ أبهى وأبهر من نور الشمس والقمر، ويحتمل أن يكون المعنى لم يكن مثل السيف، بل لم يكن مثل القمر، بل كان أحسن (ابن قاسم).

(٢) أسلم أبو هريرة عام خيبر سنة تسع من الهجرة، وكان أحفظ الصحابة، روي له سبع وأربعون وثلاثمئة وخمسة آلاف حديث، وروى عنه أكثر من ثمانمئة رجل صحابي وتابعي، والسبب في كثرة حفظه وروايته كثرة ملازمته للنبي ﷺ.

فإذا مُوسى عليه السلامُ ضَرْبٌ مِن الرِّجال كَأنّه من رِجالِ شَنُوءة، ورأيتُ عيسَى بنَ مريمَ عليه السلامُ، فإذا أقرَبُ مَن رأيتُ به شَبَهاً عُروةُ بنُ مسعودٍ، ورأيتُ إبراهيمَ عليه السلامُ، فإذا أقربُ مَن رأيتُ به شَبهاً صاحِبُكُمْ ـ يعني نفسَه ـ ورأيت جِبريلَ عليه السلامُ فإذا أقربُ مَن رأيتُ به شَبهاً دحْيَةُ» [أخرجه مسلم (١٦٧)، والمصنف في السنن (٣٦٤٩)].

(ضَرْبٌ) بسكون الراء؛ أي: نوع **(من الرجال)** وهو الخفيفُ اللحم.

(شنوءة) قبيلة باليمن [رجالها متوسطون بين الخفة والسمن].

(به) متعلّق بـ**(شَبَهاً)** الذي هو تمييز للنسبة المبهَمة بين **(أقرب)** وما أضيف إليه، ومفعول **(رأيت)** ـ بمعنى أبصرْتُ ـ محذوف، وهو ضمير يعود على الموصول.

(عُروة) خبر أقرب الواقع مبتدأ، وقد كان جميلَ الصورة جِدّاً[1].

(يعني نفسه) مِن كلام جابر.

(ورأيتُ جبريلَ) هذا من عطف القِصَّة على القِصَّة.

(دِحْية) بكسر الدال وفتحها، صحابي جليلٌ جميل[2].

ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة دلالته على أن نبينا كان أشبه الناس بأبيه إبراهيم.

---

(١) عروة بن مسعود هو أحد الرجلين اللذين قيل فيهما: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وكان بالطائف، شهد صلح الحديبية كافراً، ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه ﷺ من الطائف، واستأذنه في الرجوع، فرجع فدعا قومه إلى الإسلام، فأبَوا ورماه واحد منهم بسهم فمات، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه خبره: «مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى الله فقتلوه» (ابن قاسم).

(٢) دحية بن خليفة الكلبي، من كبار الصحابة، لم يشهد بدراً، وشهد ما بعدها من المشاهد، وبايع تحت الشجرة، وهو ممن يضرب به المثل في الحسن والجمال، نزل الشام، وبقي إلى أيام معاوية، وفي الصحيحين: كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورته، أي: غالباً (ابن قاسم).

(١٣) عن سعيدٍ الجُرَيْرِي قال: سَمِعتُ أبا الطُّفَيْلِ يقولُ: رأيتُ النبيَّ ﷺ، وما بَقِيَ على وَجهِ الأرضِ أحدٌ رَآهُ غَيري، قلتُ: صِفْهُ لِي، قال: كان أبيضَ مَليحاً مُقَصَّداً. [أخرجه مسلم (٢٣٤٠)].

(١٤) عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ أفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ، إذا تَكَلَّمَ رُؤِي كالنُّورِ يخرُجُ مِن بينَ ثَناياهُ. [أخرجه الدارمي (١/ ٥٨)].

---

(١٣) **(الجُريري)** نسبةً لجدِّه جُرَيْر بالتصغير.

(أبا الطُّفيل) واسمه عامر بن واثِلة، بكسر المثلثة.

(وما بقي) عطف على **(رأيتُ)** لا حال، فيكون هو آخر الصحابة موتاً[1].

(مليحاً) أي: حَسَناً.

(مُقَصَّداً) على صيغة اسم المفعول، أي: متوسطاً في جميع أحوالِه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩] أي: توسَّطْ فيه.

(١٤) **(أفلَجَ الثَّنِيتَين)** أي: اللتين في مقدم الفَم من فوق. **(رُؤِي)** بالبناء للمجهول، أي: أبصَر الرائي شيئاً **(كالنور)** في اللمعان.

---

(١) أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، وتأخرت وفاته إلى سنة مائة واثنتين، ولم يبق على وجه الأرض صحابي غيره. (انظر الإصابة).

(خاتمة) بعد عرض هذه الأحاديث التي تقدمت في الأوصاف الخَلقية لرسول الله ﷺ يتمكن المحب لرسول الله ﷺ أن يرسم في قلبه ومخيلته صورة تقريبية لشخصية النبي ﷺ وكل تلك الأوصاف تجمع تمام خَلقه، وسلامة بدنه ﷺ.

باب ما جاء في خاتَم النبوّة(*)

(١٥) عن السَّائِبِ بن يَزيدَ قال: ذَهَبتْ بي خالَتي إلى النبيّ ﷺ فقالتْ: يا رسول اللهِ إنَّ ابنَ أُختِي وَجِعٌ، فَمَسَحَ ﷺ رَأسي وَدَعا لي بالبرَكَةِ، وتَوضَّأَ فَشرِبْتُ مِن وَضُوئِهِ، وَقُمْتُ خَلفَ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إلى الخاتَمِ بين كَتِفَيْهِ، فإذا هو مِثْلُ زِرِّ الحَجَلَةِ. [أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٣٤٥)، والمصنف في السنن (٣٦٤٣)].

(*) **(في خاتِم النبوّة)** بكسر التاء وفتحها، أي: في صفته، وإنَّما أُضيف إلى النبوَّة لكونه من علاماتها، وقد نُعِتَ به في الكتب القديمة.

(١٥) **(وَجِعٌ)** بفتح الواو وكسر الجيم، أي: به وَجَعٌ بفتحهما.

[**(ودعا لي بالبركة)** فاستجيب الدعاء، وبرئ المريض، بل رُزق العافية حتى آخر حياته، فقد أخرج ابن سعد من طريق عطاء مولى السائب أنه ﷺ قال في حقه: **(بارك الله فيك)** قال السائب: قد علمتُ أني ما تمتعتُ بسمعي وبصري إلا ببركة دعاء النبي ﷺ].

(وَضوئه) بفتح الواو، أي: الماء الذي بقي بعدَ وضوئِه في الإناء، أو المنفصل من أعضائِه تبركاً به(١).

(فنظرتُ إلى الخاتم) أي: بعد أن كشَفه له لمّا علم تَشوُّفَه لرؤيته.

(بينَ كتِفيه) وكان إلى اليسار أقرب.

(زِرّ) واحِد الأزرار التي توضع في العُرى.

(الحَجَلة) بفتحتين، وقيل: بضم الحاء، وقيل: بكسرِها مع سكون الجيم فيهما: قبة لها أزرار وعُرَى.

---

(١) قال ابن مخلص: وفيه أنهم كانوا يقصدون بركة النبي ﷺ فيما يصيبهم من الأمراض، ويستشفون ببركة لمس يده المباركة، وبالشرب من بقية وضوئه فيجدون الشفاء في ذلك (ابن قاسم).

(١٦) عن جابِرِ بنِ سَمُرَةَ قال: رأيتُ الخاتَمَ بين كَتِفَيْ رسولِ الله ﷺ غُدَّةً حَمْرَاء مِثلَ بيضَةِ الحَمامَةِ. [أخرجه مسلم (٢٣٤٤)، والمصنف في السنن (٣٦٤٤)].

(١٧) عن رُمَيْثَةَ قالتْ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ ـ ولو أشاءُ أنْ أُقَبِّلَ الخاتَمَ الذي بين كَتِفَيْهِ مِنْ قُرْبِهِ لَفَعلْتُ ـ يقولُ لِسعدِ بنِ مُعاذٍ يومَ ماتَ: «**اهْتَزَّ له عَرْشُ الرَّحْمنِ**». [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣٢٩) وأخرجه البخاري (٣٥٩٢)، ومسلم (٢٤٦٦) عن جابر بن عبد الله].

(١٨) عن عِلْباءَ بنِ أَحْمَرَ اليَشْكُرِي قال: حدّثني أَبُو زَيدٍ عَمْرُو ابنُ أَخطَبَ الأَنْصارِيُّ قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا أبا زَيدٍ أُدْنُ مِنِّي فامْسَحْ ظَهْرِي**»، فَمَسَحْتُ ظَهرَهُ، فَوَقَعتْ أصابِعِي على الخاتَمِ، . . . .

---

(١٦) (**غُدَّة**) أي: قطعة لحم مرتفعة تتحرك بالتحريك.

(**حَمراء**) أي: مائلة إلى الحُمرة، وقد قالوا: إنه كان يلوَّن بألوان مختلِفة كما أنه كان يكبرُ ويصغرُ، وبذا يُجمع بين ما اختلف من الروايات، والصحيح أنه لم يكن عليه كِتابة.

(١٧) (**ولو أشاءُ**) أي: لو شئت، والمراد أنها كانت قريبةً من الخاتم حين سَمِعَتْ رسول الله يقول، فهذه الجملة[1] معترضةٌ بين الحال التي هي جملة (**يقول**) وبين صاحبها الذي هو (**رسول**).

(**لِسَعدِ**) أي: في شأنه، لأنه قال ذلك يوم مات، فقولها: (**يوم مات**) ظرف لـ (**يقول**)، فيكون من كلامها، ويحتمل أنه من كلام النبيّ ﷺ فيكون ظرفاً (**لاهْتز**)، واهتزاز العرش كنايةٌ عن الاستبشار بقدوم رُوحه.

(١٨) (**اُدْنُ**) بهمزة وصل مضمومة عند الابتداء بها، أي: اقرُب وقصد تشريفه بمَسِّ جسدِه الشريف لكمال العناية به، فيالَه من فخرٍ عظيم!

---

(١) أي قولها: ولو أشاء. . . لفعلتُ.

قلتُ: وما الخاتَمُ؟ قال: شَعَراتٌ مُجْتمِعَاتٌ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٧٧)].

(١٩) عن بُرَيْدَةَ قال: جاءَ سَلْمَانُ الفارِسيُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ حِينَ قدم المَدِينَةَ بِمائِدَةٍ عليها رُطَبٌ فَوَضَعَهَا بين يَدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «**يا سلمانُ ما هذا؟**» فقال: صَدَقَةٌ علَيْكَ وعلى أصْحابِكَ، فقال: «**ارْفَعْها فإنَّا لا نأكُلُ الصَّدَقة**»، فرفَعَها، . . . .

(قلت) القائل عِلْبَاء، والذي قال: **(شعراتٌ)** هو أبو زيد؛ أي: ذو شعرات، لأن الروايات الصحيحة أنه لحم ناتِئ، أي: بارز[1].

(١٩) (الفارسي) نسبةً إلى فارس لكونِه منها، وكان أخبره بعضُ الرهبان بظهور النبيّ في الحجاز، وأنَّ علامته أن يقبل الهدية دون الصدقة، وبين كتفيه خاتمُ النبوة، فقصدَ الحجاز مع أعرابٍ فغدروا به وباعوه لبعض اليهود، فأقام معهم بالمدينة إلى أن قدم النبي ﷺ فجاءَه **(بمائدة)** وهي ما يُمَدُّ ليؤكلَ عليه، ولا يقالُ له: مائدة؛ إلا إذا كان عليه الطعام **(فوضعها)** وفي نسخة: **(فوُضِعت)** بالبناء للمجهولِ.

(ما هذا) أي: الرطب أهو صدقة أو هدية؟ **(ارفعها)** أي: المائدة عني.

(فإنَّا) معشرَ الأنبياء **(لا نأكل الصدقة، فرفعها)** ووضعَها بين يدي أصحابه فأكلوا[2].

---

(١) هذا وصف آخر في الباب لخاتم النبوة يقدمه لنا أبو زيد ﷺ بعد بعد أن أمره رسول الله ﷺ بالدنو منه إما لحاجة في ظهره، وإما لأنه رأى تطلعه إلى رؤية الخاتم فأراه إياه بهذه الطريقة المحمدية الرحيمة. وجواب أبي زيد ﷺ لعلباء بأن الخاتم شعرات مجتمعات يدل على أنه لم يره بعينه، وإنما حكى ما لمسه من الشعر بيده، ولعله الشعر الذي حول الخاتم.

قال القسطلاني: ظاهره أنه لم ير الخاتم بعينيه، فأخبر عما وصلت إليه يده وهو الشعر.

(٢) كما جاء في رواية الإمام أحمد.

فَجَاءَ الغَدَ بِمِثْلِهِ فَوَضَعهُ بين يَدَيْ رسولِ ﷺ فقال: «**ما هذا يا سَلْمانُ؟**» فقال: هَدِيَّةٌ لكْ، فقال رسول الله ﷺ لأصْحابه: «**ابْسُطُوا**» ثم نَظَرَ إلى الخاتَمِ على ظَهْرِ رسولِ الله ﷺ فآمَنَ به، وكانَ لِليَهُودِ، فاشتَراهُ رسولُ الله ﷺ بِكَذا وكذا دِرْهماً على أن يَغْرِسَ لهم نَخْلاً فَيَعْمَلَ سَلْمانُ فيه حتى يُطْعِمَ، فَغَرَسَ رسولُ الله ﷺ النَّخْلَ إلَّا نَخلَةً واحِدةً غَرَسَها عُمَرُ، فَحَمَلَتِ النَّخْلُ مِنْ عامِها ولم تَحْمِلِ النَّخْلَةُ، فقال رسولُ الله ﷺ:

(**فجاءَ الغَدَ**) بالنصب، أي: فجاء سلمان في الغد، أي: في يوم آخر.

(**أبسُطوا**) أي: أيديكم للأكل، وأكل معهم، واعلم أن من خصوصياتِ النبي ﷺ التصرُّف في مال الغير بدون إذنه، فلِذا لم يحتَج لسؤال سلمان: هل أَذِن له سيِّده في ذلك أم لا؟ (**ثم نظر... إلخ**) أي: بعد مدة يسِيرة حين جاء إلى النبي فألقى له الرداء عن ظهره الشريف.

(**فآمن به**) أي: لتحقق العلامات.

(**فاشتراه**) أي: تَسبَّب في كتابة اليهود له بأن أمره أن يكاتبهم.

(**بكذا وكذا درهماً**) أي: أربعين أوقية مِن الفضة، وقيل: من الذهب، بدليل أن النبيَّ أتى بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ فَدُعي له، فقال: (**خذها فأدِّها مما عليك**)، فبورك فيها حتى وزن منها أربعينَ أوقيّة وعَتق.

(**على أن يغرسَ**) أي: مع أن يغرِسَ (**لهم نخلاً**) وقدرُه ثلاثُمائةِ نخلة بشرطِ أن يعمل سلمان، أي: يكون عاملاً (**فيه**) وفي نسخة: (**فيها**) لأن النخلَ والنخيلَ يذكّران ويؤنّثان.

(**حتى يُطعِم**) بالتحتية والفوقية، أي: يُثمر.

(**فغرسَ رسول الله**) أي: بعد أن أمر الأصحاب أن يجمعوا ثَلاثمائة

«**ما شَأنُ هذه النَّخلةِ؟**» فقال عُمَرُ: يا رسولَ اللهِ أَنَا غَرَسْتُها، فَنَزَعَها رسولُ الله ﷺ فَغَرَسها فَحَملتْ مِن عامِها[1]. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤)، المصنف في السنن (٣٧٩٨)].

(٢٠) عن أبي نَضْرَةَ قال: سَأَلْتُ أبا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ عن خَاتِم رسولِ الله ﷺ ـ يعني خَاتَمَ النُّبُوَةِ ـ فقال: كان في ظَهْرِهِ بَضْعَةً ناشِزَةً. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٦٩)].

(٢١) عن عبدِ اللهِ بنِ سَرْجِسَ قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو في ناسٍ من أصْحابه فَدُرْتُ هكذا مِن خَلْفِهِ فَعَرَفَ الذي أريدُ، فألْقى الرِّداءَ عن ظَهْرِهِ، فرأيتُ مَوْضِعَ الخاتَمِ ....

ودِيّة[2]، كلٌّ منهم على حَسَب قدرته، ثم حفر لها سلمان في أرض عيَّنها له أصحابه.

(٢٠) **(كان)** أي: الخاتم **(في ظهره)** أي: أعلاه.

(بَضْعة) بفتح الموحدة وقد تكسر، أي: قطعة لحم.

(ناشزة) أي: مرتفعة.

(٢١) **(سَرْجِسْ)** كنَرجِس، أو كجَعفَر، ممنوع من الصرف للعلمية والعُجمة.

(في ناسٍ) وفي بعض النسخ: **(في أناس)**، والإشارة في **(هكذا)** لكيفيَّة دورانِه من خلفه.

(موضِعَ الخاتم) أي: الطابع الذي أتى به جبريل من الجنة وختَمَه به بعد

---

(١) وهذا من معجزات رسول الله ﷺ حيث قلع النخلة التي غرسها عمر ثم غرسها بعد أوانها فحملت في نفس العام.

(٢) الوَدِيّ: صغار الفسيل، واحده: وَدِيَّة، (مختار الصحاح).

على كَتِفَيْهِ مِثْلَ الجُمْعِ حَوْلَها خِيلان كَأَنَّها ثآلِيلُ، فَرجَعْتُ حتى استَقْبَلْتُهُ، فقلتُ: غَفرَ اللهُ لَك يا رسولَ اللهِ. فقال: «**وَلَكَ**» فقال القَوْمُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقال: نَعَمْ، ولَكُمْ، ثم تَلا هذه الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] [أخرجه مسلم (٢٣٤٦)].

أن شق صدره فظهر خاتم النبوة، فصحَّ أنه موضع الخاتم، أو أن الإضافة بيانية، أي: موضعٌ هو الخاتم.

(على كتفيه) أي: بينهما.

(مثل الجُمْع) بضم الجيم وسكون الميم، أي: جُمع الكفّ، وهو هيئتُه بعد ضم الأصابع.

(حولها) أي: الخاتم، وأُنِّث باعتبار كونه قطعة لحم.

(خِيلان) جمع خال، وهو الشامة في الجسد.

(كأنَّها) أي: الخِيلان **(ثآليل)** بمثلثة على وزن قناديل، جمع ثُؤْلُول كعصفور، وهو الحَبَّة التي تظهر في البدن نحو الحِمصة.

(فقلت): أي: شكراً لهذه النِّعمة التي متَّعني بها.

(غفر الله لك) وهو إنشاء بدليل قوله: **(ولك)** أي: وغفر لك حيث استغفرتَ لي، فهو من مقابلة الإحسان بالإحسان.

(فقال القوم) أي: الذين حدَّثهم عبدُ الله على سبيل الاستفهام **(أستَغفَرَ لك رسول الله)**؟ وفي رواية: هل استغفر؟ **(فقال)** فيه التفات، إذ مقتضى السياق فقلت: **(نعم ولكم، ثم تلا)** أي: عبد الله، ففيه التفات أيضاً، وقصْدُه الاستدلال بالآية على أن النبيَّ ﷺ يستغفرُ لكل مؤمنٍ ومؤمنةٍ.

واعلم أنَّ النبي معصوم من وقوع الذنب، فقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ

. . . .

لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩] من باب: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين، فهو لترقِّيه دائماً في درجاتِ الكمال يرى أن الحالة الأولى دون التي انتقل إليها فيستغفر منها.

(فائدة) أخرج البخاري(١) [٥٩٩٣]. عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وعليّ قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: «**سَنَه سَنَه**»(٢) قال عبد الله(٣): وهي بالحبشة: حَسَنة قالت: فذهبتُ ألعب بخاتم النبوة فزبرني(٤) أبي، قال رسول الله ﷺ: «**دعها**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي**».

(١) بوَّب البخاري على هذا الحديث في مواضع من كتابه منها: باب من تكلم بالفارسية والرطانة، ومنها باب من ترك صبية غيره تلعب معه، وفيه الرحمة بالصغار ومداعبتهم وفيه إدخال السرور على الضيف وإكرامه.

(٢) كلمةٌ قالها رسول الله ﷺ بلغة أهل الحبشة، ومعناها حسنة، يشير إلى الثياب الصفر كما في تتمة الحديث.

(٣) أي: عبد الله بن خالد بن سعيد.

(٤) زبرني: زجرني ونهاني احتراماً لرسول الله ﷺ.

(خاتمة) قال المناوي: سُئل الحافظ أبو زرعة العراقي: هل خاتم النبوة من خصائص المصطفى ﷺ، وهل ولد به، وهل دفن معه؟ فأجاب بأنه من خصائصه دون بقية الأنبياء، ولم ينقل أنه ولد به، وورد أن جبريل عليه السلام ختمه به، وأما دفنه معه فلا شك فيه، فإنه قطعة من جسده، والإشارة به إلى أنه خاتم الأنبياء. والله أعلم.

باب ما جاء في شَعْرِ رسولِ الله ﷺ(*)

(٢٢) عن أنسِ بنِ مالِكٍ قال: كان شَعْرُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى نِصْفِ أُذُنَيْهِ. [أخرجه مسلم (٢٣٣٨)].

(٢٣) عن عائِشة قالتْ: كنتُ أغْتَسِلُ أنا ورسولُ اللهِ ﷺ مِن إناءٍ واحدٍ، وكان له شَعْرٌ فَوْقَ الجُمَّةِ وَدُونَ الوَفْرَةِ. [أخرجه أبو داود في السنن (٤١٨٧)].

(*) **(في شعْر)** بسكون العين وفتحها، وجمع الأول: شعور، والثاني: أشعار، أي: في صِفته طولاً وقصراً، وفَرْقاً وإرسالاً، وضَفراً، وغيره.

(٢٢) **(إلى نصف أذنيه)** أي: إلى نصفِ كلٍّ منهما، ولم يقل إلى نصفي أذنيه كراهةَ اجتماع تثنيتين.

(٢٣) **(عن عائشة)** أي: أم المؤمنين.

(أنا ورسول الله) بإبراز الضمير ليصحَّ العطفُ، على حَدِّ ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البَقَرَة: ٣٥]، ومع اغتسالهما من إناءٍ واحد ورد عنها أنها قالت: **(ما رأيتُ منه ولا رأى منّي)**[١] تعني: العورة.

(فوق الجُمَّة) أي: أرفع منها في المحلِّ **(ودون الوَفرةِ)** أي: أَنزلُ منها، فيكون بين ذلك، وهو المسمَّى باللَّمَّة.

---

(١) أخرج الترمذي في الشمائل، باب ما جاء في حياء رسول الله ﷺ عن مولى لعائشة عن عائشة رضي الله عنها: «ما نظرت إلى فرج رسول الله، أو قالت ما رأيت فرج رسول الله»، قال البوصيري في الزوائد: (١/ ٢٣٨) هذا إسناده ضعيف، مولى عائشة لم يسمَّ ا.هـ.

(٢٤) عن أُمِّ هانِئ بِنْتِ أبي طالبٍ قالت: قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ قدْمَةً، وله أَرْبَعُ غَدائِرَ. [أخرجه أبو داود في السنن(٤١٩١)].

(٢٥) عن ابنِ عباسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَسْدِلُ شَعْرَهُ، وكان المُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُؤُوسَهُمْ، وكان أَهْلُ الكِتابِ يَسْدِلُونَ رُؤوسهمُ وكان يُحِبُّ مُوافَقَةَ أَهْلِ الكِتابِ ....

(٢٤) (أم هانِئ) بالهمز، ويُسهَّل، وهي شقيقة علي كرَّم اللهُ وجهه، أسلمتْ يوم الفتح، وقال لها النبي ﷺ يوم ذلك: «**قد أجَرْنا من أجَرْتِ يا أمَّ هانِئ**»[1].

(قَدْمَة) أي: مرَّةً من القُدوم، وهي مرَّة الفتحِ.

(غَدَائِر) أي: ضفائر، كما في رواية أخرى، وكان يُخرج كلَّ أُذُن من بين غَدِيرتين، فتكون كالكوكب الدُّرِّيِّ في غسق الليل، كما قال بعضهم في همزيته:

أُذُنُه والغدائِرُ البَدرُ والليـ ـلُ فهي مستنيرةٌ سوداءُ

ولا يخفى جمال التفريع، وحسن التنويع.

(٢٥) (يَسدِل) بكسر الدال وضمها، أي: يُرسِل شعره حول ناصِيته من غير أن يفرِقه.

(وكان المشركون) أي: كفار مكة **(يفرُقون)** بضم الراء وكسرها، أي: يقسِمون شعرَ رؤوسهم قسمين، قسم على اليمين، وقسم على اليسار.

(وكان يحب. .إلخ) أي: في أول الأمر قبل انتشار الإسلام؛ ليتألَّفهم حتى يكونوا عوناً له على الوثنيين، الذين لم ينفع فيهم التألّف، فلما غلبت عليهم الشقوة أيضاً خالفهم وفَرَق، لأن الفَرْق أنظفُ وأبعَدُ عن الإسراف في

(١) أخرجه مسلم (٣٣٦).

فيما لم يُؤمرْ فيه بشيءٍ[١]، ثم فرَقَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَهُ. [أخرجه البخاري (٣٣٦٥)، ومسلم (٢٣٣٦)].

الغَسْل، ثم اعلم أن النبيَّ ﷺ لم يحلق رأسه في سِنِي الهجرة إلا عامَ الحُديبية، ثم عامَ عُمرة القضاء، ثم عامَ حجةِ الوداع، فإن كان قريباً من الحَلق كان شعره إلى أنصاف أُذُنيهِ ثمّ يطول إلى أن يبلُغَ شحمةَ أذنيه فيكون وَفْرَة، ثم ينزِل عن ذلك فيكون لِمَّة، ثم يضرب منكبيه فيكون جُمَّة، وهو غاية ما يكون في الطول، وبهذا يُجمع بين ما تقدّم من النقول.

---

(١) قوله: (وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء) أي: فيما لم يطلب فيه منه شيء على جهة الوجوب أو الندب. قال القرطبي: وحبه موافقتهم، كان في أول الأمر عند قدومه المدينة، في الوقت الذي كان يستقبل قبلتهم فيه لتأليفهم، فلما لم ينفع فيهم ذلك، وغلبت عليهم الشقوة أُمر بمخالفتهم في أمور كثيرة، وإنما آثر محبة موافقة أهل الكتاب دون المشركين لتمسك أولئك ببقايا شرائع الرسل، وهؤلاء وثنيون لا مستند لهم إلا ما وجدوا عليه آباءهم، أو كان لاستئلافهم كما تألفهم باستقبال قبلتهم ذكره النووي وغيره ا.هـ من حاشية البيجوري على الشمائل.

باب ما جاء في تَرَجُّل رسول الله ﷺ وَتَقَنُّعِه(*)

(٢٦) عن عائِشةَ قالت: كنتُ أُرَجِّلُ رأسَ رسولِ اللهِ ﷺ وأنا حائِضٌ. [أخرجه البخاري (٢٩١)، ومسلم (٢٩٧)].

(٢٧) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ دَهْنَ رأسِهِ، وتَسْريحَ لِحْيَتِهِ، . . . .

(*) (في ترَجُّل) هو والترجيل بمعنى تسريح الشعر وتحسينه.

و(تَقَنُّعِه) أي: لبسِه القناع، وهو الخِرقةُ التي توضع على الرأس عند استعمال الدُّهن لتقي العمامة منه، واكتفيت بزيادة هذه الكلمة عن عقد باب للتقنع؛ لأن حديثه بعض حديث هنا.

(٢٦) (أُرَجِّل) أي: أُسَرِّح.

(رأسَ) أي: شعر رأسٍ.

(وأنا حائض) أي: لأن القرْبَ المنهي عنه في آية ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢] إنَّما هو القربُ للجماع(١).

(٢٧) (يُكثر دَهن) بفتح الدال المهملة، أي: استعمال الدُهن، بضمها، والمراد به الزَّيت، والإكثار ليس في كل الأوقات، فإنه كان يتركُه في بعضها بدليل النهي عن الادِّهان إلا غِبّاً.

---

(١) في هذا استحباب تولي المرأة خدمة زوجها بنفسها.

وفيه دلالة على طهارة يد الحائض وسائر ما لم يصبه دم من بدنها.

ويدل أيضاً على عدم كراهة مخالطتها، بخلاف عادات اليهود ومن تبعهم من جهلة العوام الذين يعتقدون فساد الطعام إذا لامسته الحائض فيعتزلونها بكل شيء.

ويُكثرُ القِناعَ، حتى كأنَّ ثَوْبَهُ ثَوْبُ زَيَّاتٍ. [أخرجه البغوي في شرح السنة (٣١٦٤)].

(٢٨) عن عائشةَ قالت: إنْ كان رسولُ الله ﷺ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ في طُهورِهِ إذا تَطَهرَ، وفي تَرَجُّلِهِ إذا تَرَجَّلَ، وفي انْتِعالِهِ إذا انْتَعَلَ. [أخرجه البخاري (٥٥١٦)، ومسلم (٢٦٨)].

(ويكثر القناع) أي: لبسه، وهو المراد بالثوب في قوله: **(حتى كأن ثوبَه ثوبُ زيَّاتٍ)**، فلا ينافي أنه كان أنظفَ الناس ثوباً، وأحسنهم هيئةً[1].

(٢٨) (إن كان) أي: إنه كان، فهي مخففة من الثقيلة بدليل اللام في: **(لَيُحب)** فإنها الفارقة بين المخففة والنافية.

(التيمُّن) زاد في رواية: **(ما استطاع)** أي: مدة استطاعتِه.

(في طُهورِه) رُوي بالضم والفتح، ورواية الضم لا تحتاج لتقدير لأنه فِعل الطهارة الشاملة للوضوء والغُسْل والتيمم، وأما بالفتح فهو ما يُتطهر به، فيُقدَّر مضاف، أي: في استعمال طَهُوره.

(وفي تَرَجُّله) أي: تَسْريح رأسِهِ ولحيته فكان يَبدأ بالجهَة اليمنَى.

(وفي انتعالِه) أي: لُبْسِه النعْلَ، واقتصَرَ على هذه الثلاثة لكثرة حصولها، وإلا فكان يحب التيمُّن في كل ما كان من باب التكريم، وأما ما كان من باب الإهانة فيفعله باليسار.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: إنه ﷺكان يدهن شعر رأسه ويتقنع وكأن الموضع الذي يصيب رأسه من ثوبه ثوب زيات ا.هـ. إذ لا يعقل أن يكون ثوب رسول الله ﷺ كله كأنه ثوب زيات ويؤيد ذلك ما أورده الذهبي كأن ملحفته ملحفة زيات.

وذهب البعض إلى أن المراد بالثوب ما جاوز عنقه، وهو ما يتسرب من الدهن حتى يمس حاشية الثوب الملاصق للعنق، وفي تلك الحالة يبادر رسول الله ﷺ بالغسل، ويقوي هذا الفهم ما أخرجه ابن سعد في طبقاته (حتى يُرى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيات).

(٢٩) عن عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ قال: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ عنِ التَّرَجُّلِ إلا غِبًّاً. [أخرجه أبو داود في السنن (٤١٥٩)].

(٣٠) عن رَجُلٍ مِن أصْحابِ النبيِّ ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كان يَتَرَجَّلُ غِبّاً[1]. [أخرجه المصنف في السنن (١٧٥٦)، وأبو داود (٤١٥٩)، والنسائي (٥٠٥٥)].

---

(٢٩) (ابن مغفَّل) كان من أهل بيعة الرُّضوان.

(غِبّاً) أي: حيناً بعد حين، لأن مداومتَه من شأن النساء.

(٣٠) (عن رجل) قيل: هو الحكم بن عمرو، وإبهام الصحابي لا يضرُّ لأنهم كلُّهم عدول.

(فائدة) *ورد أن النبي ﷺ حلَق عانتَه، وأنه أزالها بالنَّورة، وأما دخوله الحمام لم يثبُت، لأنه لم يكن معروفاً عند العرب إذ ذلك.*

---

(١) (فائدة) تطويل الشعر وتقصيره تحكمه العادة والعرف في أي مجتمع ينتمي إليه المسلم، فالمسلم في البلاد العربية يتبع ما عليه مجتمعه العربي، وكذا الهندي يتبع ما عليه مجتمعه في الهند، والأوربي يتبع ما عليه المجتمع الأوربي، من دون أن يقع في شيءٍ محرَّم كالقزع. وهو حلق بعض الشعر وترك البعض الآخر. فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال لمن فعل ذلك: «احلقه كله أو اتركه كله» وأن يجتنب التخنث فلا يكون مقلداً للمختثين.

وقد كان النبي ﷺ كعادة قومه يكرم شعره ويرجله، ويضفره ويسبله، ولم يختلف عنهم في شيء وكان يأمر من كان له شعر أن يرجّلَه ويعتني به وهكذا روي عن رسول الله ﷺ الحلق والتقصير والإطالة.

باب ما جاء في شيبِ رسول الله ﷺ وخِضَابِه (*)

(٣١) عن قَتَادَةَ قال: قلتُ لأنسِ بنِ مالِكٍ: هل خَضَبَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ قال: لم يَبْلُغْ ذلك إنَّما كان شيئاً في صُدْغَيْهِ، ولكنْ أبو بَكْرٍ رضي الله عنه خَضَبَ بالحِنَّاءِ والكَتَمِ. [أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومسلم (٢٣٤١)].

(*) **(وخِضَابِه)** بكسر الخاء، اسم لما يُختَضَب به، وبمعنى التلوين كالخضب، وقد جمعتُه مع الشيب في باب للمناسبة.

(٣١) **(خَضَب)** أي: صَبَغَ شعرَه بما يغيِّر لونه.

(لم يبلُغْ) أي: النبيُّ ﷺ.

(ذلك) أي: حدَّ الخِضاب.

(إنما كان) أي: شَيبُه المفهومُ من السياق.

(شيئاً) أي: قليلاً **(في صدغيه)** والحصرُ في هذه الرواية إضافي، فلا ينافي أنه كان في عَنفَقَتِه وفَرْقِ رأسِه أيضاً، ومراد أنس بقوله: **(لم يبلغ ذلك)** أنَّ شيبه كان لا يحتاج إلى الخضَاب لقِلَّتِه، فلا ينافي أنه خَضَبَ في بعضِ الأوقاتِ كما يأتي له.

(والكَتَم) بفتح الكاف والفوقية، نبتٌ فيه حُمْرة يُصبغ به، وإذا جُمِع مع الحِنَّاء وخُضِب به صار الشعر بين السواد والحُمرة.

(٣٢) عن أنسِ بنِ مالِكٍ قال: ما عَدَدْتُ في رأسِ رسولِ الله ﷺ ولحْيَتِهِ إلَّا أرْبَعَ عَشْرةَ شَعْرَةً بَيْضاءَ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٦٥)، وأخرجه البخاري (٣٣٥٤)، ومسلم (٢٣٤٧) نحوه].

(٣٣) عن سِماكِ بنِ حربٍ قال: سمعتُ جابِرَ بنَ سَمُرَة، وقد سُئِلَ عَن شَيبِ رسول الله ﷺ فقال: كان إذا دَهَنَ رأسَهُ لم يُرَ مِنهُ شيبٌ، وإذا لم يَدَّهِنْ رُؤِيَ مِنهُ شيءٌ. [أخرجه مسلم (٢٣٤٤)].

(٣٤) عن عبدِ الله بن عُمَرَ قال: إنَّما كان شَيْبُ رسولِ الله ﷺ نحواً من عِشرينَ شَعرةً بَيْضاءَ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٩٠)، وابن ماجه (٣٦٣٠)].

(٣٥) عن ابنِ عباسٍ قال: قال أبُو بَكْرٍ: يا رسولَ اللهِ قد شِبْتَ،

---

(٣٢) **(إلا أربَعَ عَشْرَة)** لا ينافيه رواية: **(إلا نحواً من عشرينَ شعرةً بيضاء)** لاختلاف ذلك باختلاف الأوقات.

(٣٣) **(وقد سُئِل. . . إلخ)** جملة حالية. **(دَهَنَ رأسَهُ)** أي: طَلاهُ بالدُّهن. ومضارعُه يَدهُن بضم الهاء، وقيل: بالحركات الثلاث، فهو من باب نصَر وضرَب وقطَع. **(لم يُرَ. . . إلخ)** أي: لالتباس البياض ببريق الشعر، فيفهم من الحديث قِلةُ شيبِ رأسِه.

(٣٥) **(قد شِبتَ)** مرادُه السؤال عن السبب المقتضي للشيب مع اعتدال مزاجه المقتضي لعدمه، فأجابه بأن ذلك من الاهتمام بشأن الأُمَّة، والخوف عليها من أهوالِ القيامة المذكورة في هذه السور وأمثالِها، وإنما لم يَكثُر شيبه مع كثرة خوفه لأنه كان معَه من أنوار اليقين ما يسليه عن الاسترسال في ذلك، وخصوصاً عند ملاحظة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] فيكون فيه

قال: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، والواقِعَةُ، والمُرْسَلاتُ، وعَمَّ يَتَساءلُون، وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَت**». [أخرجه المصنف في السنن (٣٢٩٧)].

(٣٦) عن أبي جُحَيْفَةَ قال: قالوا: يا رسولَ الله نَراكَ قد شِبتَ، قال: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأخَواتُها**». [أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٢٨٦)].

(٣٧) عن أبي رِمْثَةَ التَّيْمِيِّ (تَيْمِ الرِّبابِ) قال: أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ وَمَعِي ابنٌ لي فأرِيتُهُ، فقلتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ: هذا نَبيُّ اللهِ، وعليهُ ثَوْبانِ أخَضَرانِ،

مظهر الجلال والجمال، والبهجة والكمال، صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم.

(**والمرسلاتُ**) بالرفع، وبالجرِّ على الحكاية.

(٣٦) (**جُحَيفة**) بضم الجيم وفتحِ الحاء المهملة.

(**قالوا**) أي: جمع من الصحابة، فالواقعة متعددة، والمعنى واحد.

(**نراك**) يحتمل أنها بصَريَّة، فجملة (**قد شِبْت**) حالية، وأنها عِلْميَّة فالجملة مفعولٌ ثانٍ.

(**وأخواتها**) أي: نظائرُها من السور التي ذكرت فيها القيامة وأهوالها.

(٣٧) (**التيمي**) نسبة لتيْم، وأبدل منه (**تيم الرِّباب**) للاحتراز عن تيم قريش قبيلة أبي بكر، والرِّباب ـ بكسر الراء لا بفتحها ـ خمس قبائل، وهم ضبَّة، وثور، وعكل، وتيْم، وعَديّ، غمسُوا أيديَهم في رِب ـ بكسر الراء، أي: ثفل ـ سمن وتحالفوا على أن يكونوا يداً واحدة.

(**فأُرِيتُه**) روي بالبناء للمفعول، أي: أرانيه الناس، وبالبناء للفاعل، أي: فأرَيت ابني النبيَّ ﷺ، فالمفعول الثاني محذوف.

(**ثوبان أخضَران**) أي: إزار ورداء مصبوغان بالخُضرة.

وله شَعَرٌ قد عَلاهُ الشَّيْبُ، وشَيْبُهُ أَحْمَرُ. [أخرجه أبو داود في السنن (٤٢٠٦)، (٤٢٠٨)].

(٣٨) عن سِماكِ بن حربٍ قال: قيلَ لِجابرِ بنِ سَمُرَةَ: أكانَ في رَأسِ رسول اللهِ ﷺ شَيْبٌ؟ قال: لم يكنْ في رَأسِ رسول الله ﷺ شَيْبٌ إلَّا شَعَراتٌ في مَفْرَقِ رَأسِهِ إذا ادّهَنَ وَارَاهُنَّ الدُّهْنُ. [أخرجه مسلم (٢٣٤٤)].

(٣٩) عن أبي رِمْثَةَ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ مَعَ ابنٍ لي، فقال: «**ابْنُكَ هذا؟**» فقلتُ: نعْم، اشْهَد به، قال: «**لا يَجْنى عليك، ولا تَجْنِي عليه**»، قال: ورأيتُ الشَّيْبَ أَحْمَرَ. [أخرجه أبو داود في السنن (٤٢٠٨)].

(وله شَعر) أي: قليل.

(أحمر) أي: بالخِضاب.

(٣٨) (مفرَقه) بفتح الراء وكسرها، أي وسَط الرأس محلّ فرْقِ الشعر.

(إذا ادّهَن) بتشديدِ الدَّال، أي: استعمل الدُّهن.

(واراهُنَّ) أي: سترَهن.

(الدُّهن) بضم الدال.

(٣٩) (إبنك) بكسر الهمزة على تقدير همزة الاستفهام، وهو خبر مقدم، و**(هذا)** مبتدأ مؤخر، لأن السؤال إنما هو عن ابنيَّتِه، والأصل أهذا ابنك؟ **(اشِهَدْ)** بصيغة الأمر، أي: كن شاهداً على إقراري، أو بصيغة المضارع، أي: أعترف به، ولما كان في هذه الجملة ما يشعر بأنه ملتزم لجنايتِه على عادة ا لجاهلية من مؤاخذة الوالد بجناية ولدِه وعكسه أخبره النبي ﷺ بأن الشريعة المطهرة قد أبطلت ذلك، فقال: **(لا يجني عليك ولا تجني عليه)** لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] **(أحمر)** أي: مخضوباً بالحِنَّاء، كما في رواية.

(٤٠) عن عثمانَ بنِ مَوْهِبٍ قال: سُئِلَ أبُو هُريرة: هل خَضَبَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نَعَم. [انفرد به المصنف].

(٤١) عن الجَهْذَمَةِ امرأةِ بَشِيرِ بنِ الخَصَاصيَةِ قالت: أنا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَخْرُجُ مِن بَيْتِهِ يَنْفُضُ رأسَه، وقد اغْتَسَلَ، وبِرَأسِهِ رَدْعٌ مِن حِنَّاءٍ. [قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٠١): أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٥٣٣)].

(٤٢) عن أنسٍ قال: رأيتُ شعْرَ رسولِ اللهِ ﷺ مَخْضُوباً. [انفرد به المصنف].

---

(٤٠) **(ابن مَوْهِب)** أي: بواسطة، فإنه عثمان بن عبد الله بن موهب.

(٤١) **(أنا رأيتُ)** قدَّمتِ المسندَ إليه لإفادة تفرُّدِها بالرؤية، وجملة **(يخرج من بيته)** حال من المفعول، وكذا جملة **(ينفض رأسه)** أي: من الماء، وجملة **(وقد اغتسل)** وجملة **(وبرأسِه رَدْعٌ)** بالعين المهملة، أي: أثر من حِنّاء، وفي نسخ: **(أو قال: رَدْغٌ)** بالغين المعجمة، والشك من بعض الرواة فيما سمعه من الراوي قبله، ولكن قال بعض المحققين: إن الرَّدْغَ بالمعجمة هنا غَلَطٌ لأنّه في اللغة: الطينُ الرقيق.

(٤٢) **(رأيت شعر... إلخ)** تقدم الجمع بين هذا وما تقدم له.

(خاتمة)

وهكذا نجد في هذا الباب قلة شيب رسول الله ﷺ وما هي إلا شعرات دون العشرين شعرة قد شابت في ثلاثة مواضع: في مفرق رأسه، وفي الصدغين، وفي العنفقة وهي ما بين الذقن والشفة السفلى، وقد خضب رسول الله ﷺ أحياناً قليلة حسب ما مر في هذا الباب ويؤخذ مما تقدم من الأحاديث:

١ ـ نتف الشيب: يكره عند أكثر أهل العلم لحديث: «لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم» رواه الترمذي.

=

. . . .

. . . .

---

٢ ـ الخضاب (صبغة الشعر): اختلف أهل العلم في الاختضاب، فمنهم من قال الخضاب أولى لحديث الشيخين «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»، ولهذا خضب أبو بكر وعمر وعثمان والحسن والحسين.

ومنهم من قال ترك الخضاب أولى لحديث الترمذي «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة».

ولعل الجمع بين الأمرين بأن يقال: إن من شانه الشيب ينبغي له الخضاب، ومن لم يَشنهُ فلا يستحب له.

وبعض العلماء يذهب في حكم الخضاب إلى تحكيم العرف والعادة في البلد الذي يقيم فيه المسلم.

ولكن الحذر من الخضاب بالسواد لنهي النبي ﷺ عنه فقد أمر ﷺ أبا جحيفة أن يغير شيبته ويجتنب السواد.

باب ما جاء في كُحْلِ رسولِ الله ﷺ (*)

(٤٣) عن ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اكْتَحِلُوا بالإثْمِدِ، فإنَّه يَجلُو البَصَرَ، ويُنْبِتُ الشَّعَرَ**». وزَعَمَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانت له مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنها كلَّ ليلةٍ، ثلاثةً في هذه، وثلاثةً في هذه. [أخرجه المصنف في السنن (١٧٥٧)، وأبو داود (٣٨٧٨)، وابن ماجة (٣٤٩٥)].

(٤٤) وعنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يكْتَحِلُ قبلَ أن يَنام بالإثْمِدِ ثلاثاً في كلِّ عَيْنٍ. [أخرجه ابن ماجه (٣٤٩٩)، والطبراني في الكبير عن ابن عمر (٣/ ١١٩)، وانظر تخريج الحديث السابق].

(*) **(كُحْل)** بضم الكاف اسم لما يُكتَحَل به.

(٤٣) **(بالإثمِد)** بكسر الهمزة والميم، وهو الكُحْل الأصفهاني، ومعدِنُه بالشرق، وهو حجرٌ أسود يميل إلى حُمْرَة.

(يجلو البصرَ) أي: يُقوِّيه لا سيما إذا أضيف إليه قليلُ مسكٍ، والإثمد لا يناسب العينَ المريضة، بل ربما أضرَّها.

(وينبتُ الشَعَر) بفتح العين هنا كما هو الرواية، ولعله لمراعاة الازدواج بينه وبين البصر، والمراد أنه يقوي الأهداب.

(وزعم) أي: ابن عباس، والمراد بالزعم هنا القول المحقق.

(كل ليلة) أي: قبل أن ينام، لأنه بالليل أنفع للعين لتمكنه من السريان في طبقاتها، والإشارة في هذه إلى عين الراوي بطريق التمثيل، ويُفهم من قوله: ثلاثة في هذه؛ أنه لا ينتقل لليسرى حتى يستكمل اليُمنى.

(٤٥) عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عليكُمْ بالإثمِدِ عندَ النَّوْمِ فإنَّه يَجْلُو، البَصَر ويُنْبِتُ الشَّعَرَ**». [هو بمعنى الحديث (٤٣)].

(٤٦) عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ خيرَ أكْحالِكُم الإثْمِدُ، يجلُو البصَرَ ويُنْبِتُ الشعَرَ**». [أخرجه أبو داود في السنن (٣٨٧٨)].

---

(٤٥) **(عليكم بالإثمِد)**[1] أي: الزموا الاكتحال به[2]، فـ: «عليكم» اسم فعل، والمخاطب بذلك الأصِحَّاء لما تقدم.

---

(١) (فائدة من الطب النبوي لابن قيم الجوزية) إثمد: هو حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصبهان، وهو أفضله ويؤتى به من جهة الغرب أيضاً، وأَجودُه السريعُ التفتيت الذي لفتاته بصيص، وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ.

ومزاجه بارد يابس ينفع العين ويقويها، ويشد أعصابها، ويحفظ صحتها، ويذهب اللحم الزائد في القروح ويدملها، وينفي أوساخها ويجلوها، ويذهب الصداع إذا اكتحل به مع العسل المائي الرقيق.

وإذا دق وخُلِط ببعض الشحوم الطرية، ولطخ على حرق النار، لم تعرض فيه خشكريشة، ونفع من التنفط الحادث بسببه، وهو أجود أكحال العين ولا سيما للمشايخ والذين قد ضعفت أبصارهم إذا جُعِلَ معه شيء من المسك.

(٢) قال ابن حجر: والأمر هنا للندب، لأنه من قبيل المنافع الدنيوية، وذهب البعض إلى أن الاكتحال بالإثمد سنه، لمواظبة رسول الله ﷺ على الاكتحال به، والدعوة إليه.

وذهب الإمام مالك إلى كراهة الاكتحال للزينة وجوازه للتداوي من الأمراض الخفيفة. وفي هذا إشارة إلى أننا نقصد عند الاكتحال التسنن ودوام الصحة والاستشفاء.

باب ما جاء في لباسِ رسولِ الله ﷺ (*)

(٤٧) عن أمّ سَلَمَة قالت: كان أَحَبُّ الثِّيابِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ يَلْبَسُه القَمِيصَ. [أخرجه أبو داود في السنن (٤٠٢٥)].

(٤٨) عن أَسْمَاءَ بنتِ يزيدَ قالت: كان كُمُّ قميصِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الرُّسْغِ. [أخرجه أبو داود في السنن (٤٠٢٧)].

(*) **(في لباسِ رسول الله)** أي: فيما كان يلبَسه من الثياب، وما كان يقوله عند لبس الجديد، والمقصود بيان خُلُقه في لباسه من حيث الاقتصارُ على ما تدعو إليه ضرورة الحياة، وكذا يقال في عيشِه ونومِه ونحو ذلك ليظهر وجه إدخالها في الشمائل.

(٤٧) **(أم سلمة)** أي: أم المؤمنين.

(أحبُّ) بالرفع على أنه اسم كان، والقميصَ بالنصب خبرها، وبالعكس، وقميصه كان من قطن أو كتان، وإنما كان أحبَّ الثياب إليه؛ لأنَّه يستر البدن بدون احتياج إلى ربطٍ أو عقدٍ كالإزار.

(يلبَسه) جملة حالية، أي: حالة كونه يلبسه، لا يفترشه أو يتغطى به.

(٤٨) **(يزيد)** أي: ابن السكن **(الرُّسْغ)** بالسين وتبدل صاداً، مفصل الساعد والكف، ورُوي: أنه كان يلبَس قميصاً فوق الكعبين مستوي الكمين بأطراف أصابعه[١]، فَيُحمل هذا على حالة الحضَر، وحديث الباب على حالة السفر.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢١٧)، والبيهقي في الشعب (٥/ ١٥٥).

(٤٩) عن قُرَّةَ بن إياسٍ قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في رَهْطٍ مِن مُزَيْنَةَ لِنُبايِعَهُ، وإنَّ قميصَه لمُطْلَقٌ، أو قال: زرُّ قميصه مُطلقٌ فأدخَلْتُ يدي في جَيْبِ قَميصه، فَمسسْتُ الخاتَمَ. [أخرجه أبو داود في السنن (٤٠٨٢)].

(٥٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ وهو يَتَّكِئُ على أسُامَةَ بنِ زيدٍ . . . .

---

(٤٩) **(في رَهْط)** أي: مع رَهْط، بمعنى جماعة، وهو اسم جَمْعٍ لا واحدَ له من لفظه.

(مُزَيْنة) بالتصغير، اسم قبيلة من مضر.

(لنبايعه) متعلق بـ: «أتيت»، أي: لنبايعه على الإسلام.

(لمطلق) أي: محلول غير مزرور.

(أو قال) شك من الراوي

(في جيب قميصه) أي: طوقه الذي يُسلك فيه الرأس، ويطلق أيضاً على ما يجعل في صدر الثوب أو جَنبه لوضع الشيء فيه[1].

(فمَسِسْت) بكسر السينِ الأولى أفصح من فتحها، أي: لمست **(الخاتم)** أي: خاتم النبوة تبركاً به.

(٥٠) **(خَرَجَ)** أي: من بيته.

(وهو يتّكِئ) أي: يعتمد.

(على أسامة) لضعفِه من المرض الذي مات فيه، وفي رواية[2]: أن النبي ﷺ كان شاكياً فخرج يتوكأ . . . إلخ.

---

(١) والمراد هنا المعنى الأول.

(٢) أخرجها الترمذي في باب اتكائه ﷺ من شمائله، وقد حذفها الشارح هنا.

عليهِ ثَوْبٌ قِطْرِيٌّ قد تَوَشَّحَ به، فصلَّى بِهِمْ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٩)].

(٥١) عن أبي سعيدٍ الخُدريّ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا اسْتَجَدَّ ثوباً سَمَّاهُ باسْمِهِ، عمامةً أو قميصاً أو رداءً ثم يقولُ: «**اللهمَّ لك الحمدُ كما كَسَوْتَنيه، أسألُكَ خَيْرَهُ وخَيْرَ ما صُنِعَ له، وأعوذُ بِكَ من شَرِّه وشَرِّ ما صُنِعَ له**». [أخرجه أبو داود في السنن (٤٠٢٠، ٤٠٢١، ٤٠٢٢)، والمصنف في السنن (١٨٦٧)].

(**عليه ثوبٌ قِطْريّ**) جملة حالية، وفي بعض النسخ: وعليه؛ بالواو، والقِطْريّ بكسر القاف وسكون المهملة نوع من البُرُود اليمانيّة، يتخذ من قطن وفيه حُمرة وأعلام.

(**قد توشح به**) أي: أدخله تحت يدِه اليمنى، وألقاه على منكبِه الأيسر.

(**فصلّى بهم**) أي: بالناس.

(٥١) (**إذا استجَدّ**) أي: لبس (**ثوباً**) جديداً (**سماه باسمه**) أي: ذكر اسمه الموضوعَ له، زاد في بعض النسخ: (**عمامة، أو قميصاً، أو رداء**)، فكان يقول: كساني الله هذه العمامة، مثلاً، إظهاراً للنعمة، ثم يحمدُ الله على ما ذكره بعد التسمية عند اللبس فيقول: (**اللهم لك الحمد كما كسوتنيه**) والضمير للمسمى، والكاف للتعليل.

(**أسألُك خيرَه**) أي: في ذاته، وهو بقاؤه ونقاؤه.

(**وخير ما صُنِع له**) أي: لأجله كالتقوّي على الطاعة، والشكرِ على النعمة.

(**من شرِّه**) أي: في ذاته.

(**وشرِّ ما صنع له**) بأن يكون بعكس ذلك، وقد ورد: «**من لبس ثوباً**

(٥٢) عن أنسِ بن مالكٍ قال: كان أَحَبُّ الثيابِ إلى رسولِ الله ﷺ يَلْبَسُهُ الحِبَرَةَ. [أخرجه البخاري (٥٤٧٥)، ومسلم (٢٠٧٩)].

(٥٣) عن أبي جُحَيْفَةَ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وعليه حُلَّةٌ حَمْراءُ، كأنّي أنْظُرُ إلى بَرِيق ساقَيْهِ. [أخرجه مسلم (٥٠٣)].

(٥٤) عن أبي رِمْثَةَ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وعليه بُرْدانِ أَخْضَرانِ. [أخرجه أبو داود (٤٠٦٥) (٤٢٠٦) (٤٢٠٨)].

جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غَيرِ حولٍ منّي ولا قوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[1]، والمراد غفران الصغائر.

(٥٢) **(الحِبَرَة)** بوزن عِنَبَة، بُردٌ يمانيٌّ من قطن محبَّر، أي: مزيَّن بخطوطٍ حُمْرٍ مثلاً، ويجمع بين ما هنا وما تقدم بأن ذلك بالنسبة للمخيط، وهذا بالنسبة لما يرتدى به.

(٥٣) **(وعليه حُلّةٌ حمراء)** جملة حالية، أي: فيها خطوط حُمْر[2]، فهي حِبرَة، وقوله: **(كأنّي أنظر)** أي: الآن **(إلى بريق ساقيْهِ)** أي: لمعانهما، يفيد أنها كانت قصيرة، ففيه الإرشاد إلى استحباب تقصير الثياب.

(٥٤) **(بردان)** تثنية برد.

(أخضران) أي: فيهما خطوط خضر، فإن البرد هو الثوب المزيَّن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٥٦٠)، وابن ماجه (٣٥٥٩)، والحاكم (١/ ٦٨٧).

(٢) لحديث النهي عن لبس الأحمر، أخرج مسلم (٢٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو، قال: رأى عَلَيَّ النبي ﷺ ثوبين معصفرين، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما»، وفي لفظ له: فقلت: أغسلهما، فقال: «احرقهما».

والمعصفر هو المصبوغ بالعصفر، وغالب ما يصبغ به يكون أحمر. هذا وقد أجاز بعض العلماء لبس الأحمر أخذاً بظاهر هذا الحديث (ابن قاسم).

(٥٥) عن قَيْلَةَ بِنْت مَخْرَمَةَ قالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ وعليه أسْمالُ مُلَيَّتَيْنِ كانَتا بِزَعْفَرانٍ وقد نَفَضَتْهُ. [أخرجه أبو داود (٣٠٧٠)].

(٥٦) عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عليكُمْ بالبياضِ مِنَ الثِّيابِ لِيَلْبَسْها أحْياؤُكُمْ، وكَفِّنُوا فيها مَوْتاكُم، فإنَّها مِن خَيْرِ ثيابِكُمْ**» [أخرجه أبو داود (٤٠٦١)].

بالخطوط، فتعقيبه بالخضرة يدل على أنه مخطط بها، ولو كان أخضر بحتاً لم يكن بُرداً.

(٥٥) (قَيْلة) بفتح القاف وسكون التحتية.

(بنت مَخْرَمة) بفتح الميم، صحابية.

(أسمال) جمع سَمَل، كسبب وأسباب، وهو الثوب الخَلَق بفتحتين، أي: البالي، والمراد بالجمع ما فوق الواحد. وإضافته لما بعده من إضافة الصِّفة للموصوف، والأصل مُلَيَّتان سَمَلان؛ تثنية مُليَّة بتشديد الياء، تصغير مُلاءة بالضم والمد، لكن بعد حذف الألف، وهي الثوب الذي كله نَسْجٌ واحد لا خياطة فيه.

(بزعفران) أي: مصبوغتين به.

(وقد نفضَتْه) أي: نفضَتِ الأسمال لونَ الزَّعفران بحيث لم يبق إلا أثرُه، وفي نسخة: **(نفضتاه)** فيكون راجعاً للمُلَيَّتَين.

(٥٦) (بالبياض) أي: الأبيض.

(لِيلبَسها) بكسر لام الأمر وفتح الموحدة، ويؤخذ من حثه على لُبس الأبيض أنه كان يلبَسه كما ثبت ذلك، فصحَّ إدخال هذا الحديث وما بعده في باب اللباس.

(موتاكمْ) أي: لتُقابَل بها الملائكة الذين يحبون الأبيض، ويليه في الفضل الأخضر، ثم الأصفر.

(٥٧) عن سَمُرَةَ ابنِ جُنْدُبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**البَسُوا البَياضَ، فإنَّها أطهرُ وأطْيَبُ، وكَفِّنُوا فيها مَوْتاكُمْ**» [أخرجه المصنف في السنن (٢٨١١)].

(٥٨) عن عائشةَ قالتْ: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غَداةٍ وعليه مِرْطٌ مِن شَعْرٍ أسْوَدَ. [أخرجه مسلم (٢٠٨١)].

(٥٩) عن المُغِيرَةِ بن شُعبةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ لَبِسَ جُبَّةً ....

---

(٥٧) **(البسوا البياض)** أي: الثياب البيض.

(فإنها أطْهَر) أي: لأنها تُظهر ما يُصيبها من الخبث فتغسل، ولا كذلك غيرها.

(وأطيب) أي: أحسن، وإنما فضُلَ لبس الأرفعِ قيمةً يوم العيد ولو غير أبيض؛ لأن القصد يومئذ إظهارُ الزينة، وإشهارُ النعمة.

(٥٨) **(خرج)** أي: من بيته **(ذاتَ غداة)** أي: ساعةً ذات غداة، أو أن لفظة ذات زائدة للتأكيد، فإن العرب يستعملون ذات يوم وذات ليلة ويريدون المضاف إليه، والغداةُ أوّلُ النهار.

(مِرْطٌ) أي: كساء **(أسود)** بالرفع صفة مِرْط، وبالجر بالفتحة صِفة شعر، وقد كان يأتزر به ويُلِقي بعضه على كتفيه، ويقول: «**إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد**»[1].

(٥٩) **(جُبَّة)** أي: من صوف، كما جاء في رواية.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في (التواضع والخمول) صفحة (١٨٨) من كلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وأورده الغزالي في الإحياء مرفوعاً، قال العراقي: للبخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر: «إنما أنا عبد»، ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعاً معضلاً: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» اهـ.

رُوميةً ضَيِّقَةَ الكُمَّيْنِ. [أخرجه البخاري (١٨٠) ومسلم (٢٧٤)].

(رُومِيَّة) أي: من عمل الروم، وفيه دليل على أن الأصل في الثياب الطهارة وإن كانت من عمل الكفّار.

(فائدة): الراجح أنَّ النبيَّ ﷺ لم يلبس السراويل لكن وُجِدَتْ في تَرِكَتِهِ، وأوّل من لبسَها إبراهيم الخليل.

(خاتمة)

وهكذا نجد في هذا الباب أن رسول الله ﷺ لبس الحلل من الثياب ـ وهي الثوب الذي له ظهارة وبطانة ـ إحلالاً لما أحل الله، وقد يلبسها عند مقابلة الوفود، تكريماً لهم وإعراباً عن المشاعر الإسلامية الجميلة، وقد ذكر ابن الجوزي أنه ﷺ اشترى حلة بسبع وعشرين ناقة، وهذا لا ينافي أنه كان يلبس المرقع من الثياب تواضعاً وتذللاً لله رب العالمين، وما ذلك إلا لأنه ﷺ أسوة لكل من جاء بعده من أمته ﷺ.

وهنا مسألة يجب الانتباه إليها، وهي: ما السنة في لبس الثياب؟

والجواب: إنّ الغني يلبس الثياب الحسنة تحدثاً بنعمة الله قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١] وقد رأى النبي ﷺ رجلاً وعليه ثوبُ دون فقال له: «هل لك من مال» قال نعم. فقال: «من أي المال؟» فقال: من كل ما آتى الله من الإبل والشياه، فقال ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

أما الفقير فيلبس ثياباً على حسب قدرته مهما كانت ولو كانت مرقعة ولكن يعتني بنظافتها، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ.

وفي كل الأحوال لا تكون الثياب للغني مجالاً للمفاخرة والتكبر على الناس، ولا تكون الثياب المرقعة مدعاة لأن يستصغر الفقير نفسه، ويستحيي بثيابه، يقول الإمام الشافعي:

عليَّ ثيابٌ لو يُباعُ جميعُها ... بِفلسٍ لكان الفَلسُ منهنّ أكبرا

وفيهنّ نفسٌ لو يقاسُ ببعضها ... نفوس الورى كانتْ أعزَّ وأكبرا

وما ضَر نصلُ السيف إخلاقُ غِمده ... إذا كانَ عضباً حيث وجَّهتهُ فرى

وأيضاً لا تكون الثياب المرقعة يُعلن من خلالها التقشف والزهد؛ ليعتقد الناس بأصحابها أنهم من أولياء الله المقربين وهم قادرون على لبس الوسط من الثياب بل ربما الفاخر منها.

=

. . . .

. . . .

=

فالمسلم يلبس أجمل ما عنده فلا يزيده ذلك في نفسه، ولا عند الناس، وإذا لبس القديم فلا يُنقصه ذلك عند نفسه ولا عند الناس.

وإذا كان الغالب على زي الرجال هو البساطة والنظافة، فيجب أن يكون زيّ النّساء مبني على الحشمة والوقار وعدم إظهار المفاتن.

وختاماً قال أبو الحسن الشاذلي لرجل رثّ الثياب وقد عاب الرجل على أبي الحسن حُسنَ هيئتِهِ: يا هذا: هيئتي هذه تقول: الحمد لله وهيئتك هذه تقول: أعطوني شيئاً لله.

باب ما جاء في خُفِّ رسولِ الله ﷺ ونعلِه (*)

(٦٠) عن بُرَيدَةَ: أنَّ النَّجاشِيَ أهْدَى للنبيِّ ﷺ خُفَّينِ أسْودَيْنِ ساذَجيْنِ فَلَبِسَهُما، ثم تَوَضَّأ ومَسَحَ عليهما. [أخرجه أبو داود (١٥٥)].

(*) **(في خُفِّ رسولِ الله)** أي: في صفتهِ ولونِه ومسْحِه عليه، وهو ما صُنِع على هيئة القدم ساتراً لمحل الفرض من جلد.

واعلم أني أخرت باب عيشِ رسول الله ﷺ الذي كان هنا فاصلاً بين بابي اللباس والخف، وضممته إلى باب عيش رسول الله ﷺ الذي ذكره بعد أسمائه ليكونا باباً واحداً، وعطفتُ النَّعل على الخف وجعلتهما في باب واحد للمناسبة التي بينهما.

(ونعلِه) أي: وفي صفة نعله وكيفية لبسها ونزعِها.

(٦٠) **(النَجَاشي)** بفتح النون وكسرها وتخفيف التحتية وتشديدها، ملك الحبشة[1].

(أهدى) يعني: قبل إسلامه.

(للنبي) وفي نسخة: إلى النبي، فهو يتعدّى باللام وبإلى.

(خُفَّين) وكان معهما قميصٌ وسراويلُ وطيلسان.

(ساذَجين) بفتح الذال المعجمة، معرّب سادة، أي: غير منقوشين.

(فلبسهما) أي: بعد أن توضأ [قال ابن حجر: وهذا القبول يدل على أن الأصل بالأشياء الطهارة، وأن هدية أهل الكتاب تقبل].

(ثم توضأ) أي: بعد الحدَث.

[**(ومسح عليهما)** دليل على جوازه، وقد روى المسح عليهما نحو من ثمانين صحابياً].

---

(١) واسمه: أصْحَمَة.

(٦١) عن الشَّعبيِّ قال: قال المُغِيرَةُ بنُ شُعبةَ: أهْدَى دِحْيَةُ للنبيِّ ﷺ خُفَّيْن فَلَبِسَهُما، وقال إسرائيلُ عن جابر عن عامرٍ: وجُبَّةً فَلَبِسهُما حتى تخَرَّقا، لا يَدْري النبيُّ ﷺ أَذَكيٌّ هُما أمْ لا. [أخرجه المصنف في السنن (١٧٦٩)].

(٦٢) عن ابنِ عباسٍ قال: كان لِنَعْلِ رسولِ اللهِ ﷺ قِبالانِ مُثَنًّى شِراكُهُما. [أخرجه ابن ماجه (٣٦١٤)].

(٦٣) عن عيسى بنِ طَهْمانَ قال: أخْرَجَ إلَيْنا أنسُ بنُ مالِكٍ نَعْلَيْنِ جَرْداوَيْنِ لهُما قِبالانِ، ....

(٦١) **(عن الشعبي)** هو عامر الذي سيُصرِّحُ باسمه.

(دِحْيَة) أي: الكلبي، الصحابي المشهور.

(وقال إسرائيل) من كلام الترمذي، وقوله: **(عن عامر)** يعني الشعبي.

(وجُبَّة) عطف على خفين.

(تخرّقا) أي: الخفان، أو هما والجُبَّة.

(أذكيٌّ) مبتدأ، و**(هما)** فاعل سَدَّ مسدَّ الخبر، أي: لا يدري هل كان الخُفَّان من جِلْد المذكَّاة أو من جلد الميتةِ، ونفي الصحابي دراية النبي ﷺ إما لكونه أخبره، وإما لقرينةِ الحال، وعلى كلّ يؤخذ منه طهارة مجهول الأصل.

(٦٢) **(قِبالان)** أي: لكل واحد قِبالان، وتثنية قِبال بكسر القاف، أي: زمامان، أحدهما بين الإبهام والتي تليها، والثاني بين الوسطى والتي تليها، ويقال لكل منهما: شِسْع بكسر الشين المعجمة وسكون المهملة، ويجمعهما السَّير الذي بظهر القدم المسمى بالشراك. **(مُثَنَّى)** من التثنية، وهي جَعْلُ الشيء اثنين.

(٦٣) **(جرداوين)** أي: لا شعر عليهما.

فحدَّثَني ثابتٌ بعدُ عن أنسٍ أنَّهما كانَتا نَعْلَي النبيِّ ﷺ. [أخرجه البخاري (٢٩٤٠)].

(٦٤) عن عُبيدِ بنِ جُرَيجٍ أنه قال لابنِ عُمَرَ: رأيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعالَ السِّبْتِيَّةَ، قال: إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَلْبَسُ النِّعالَ التي ليس فيها شَعْرٌ، ويَتَوضَّأُ فيها، فأنا أُحبُّ أنْ ألبَسَها. [أخرجه البخاري (٥٥١٣) ومسلم (١١٨٧)].

(٦٥) عن عمرو بنِ حُرَيْثٍ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصَلّي في نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٠٧)، والنسائي (٩٨٠٣)].

(ثابت) أي: البُناني. **(بعد)** أي: بعد مجلِس الرؤية، وقد نظم العراقي صفَة نَعْل النبي ﷺ ومقدارَها في قوله:

ونَعْلُهُ الكريمَةُ المصُوْنَهْ ... طُوبَى لمَنْ مَسَّ بِها جَبِيْنَهْ

لَهَا قِبَالانِ بسَيْرٍ وهُمَا ... سِبْتيَّتَان سَبَتُوا شَعْرَهُمَا

وطولُهَا شِبْرٌ وأُصْبُعَانِ ... وعَرْضُها مما يلي الكعبَانِ

سَبعُ أصابِعَ وبَطنُ القَدَم ... خمسٌ وفوقَ ذا فسِتٌّ فاعلَمِ

ورأسُهَا محدّدٌ وعَرْضُ مَا ... بين القِبَالينِ اصْبُعَانِ اضْبِطْهُمَا

(٦٤) **(السِبتية)** بكسر المهملة، أي: التي أزيل شعرها بالدبغ، يقال: سَبَتَ رأسه من باب ضرب؛ حَلَقها.

(ويتوضَّأ فيها) أي: يلبسها عَقِب الوضوء ورِجلُه مبلولة.

(٦٥) **(مخصوفتين)** أي: مخروزتين، بحيث ضُمَّ فيهما طاق إلى طاق، وهو صريح في جواز الصلاة في النعلين لكن إذا كانتا طاهرتين.

(٦٦) عن أبي هريرة أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا يَمْشِيَنَّ أَحَدُكُمْ في نَعْلٍ واحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُما جميعاً أو لِيُحْفِهما جميعاً**». [أخرجه البخاري (٥٥١٨) ومسلم (٢٠٩٧)].

(٦٧) عن جابرٍ أنَّ النبيَّ ﷺ: نَهى أن يَأكُلَ - يَعْني: الرجُلَ - بِشِمالِه، أو يَمْشِيَ في نَعْلٍ واحدَةٍ. [أخرجه مسلم (٢٩٩)].

(٦٨) عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا انْتَعَل أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ باليَمِينِ، وإذا نَزَعَ فلْيبدأْ بالشِّمالِ، فَلْتَكُنِ اليَمِينُ** ....

(٦٦) (**لا يمشيَنَّ... إلخ**) فيكرَه ذلك إذا كان لغير ضرورةٍ لما فيه من المثلة[١]، ومثل النعل الخُفّ، (**لِيَنْعَلْهُمَا**) أي: القدمين المفهومين من السياق، وهو بلام الأمر، ويجوز أن يكون مجرداً ومزيداً، فهو بفتح الأول على الأول، وضمه على الثاني، يقال: نَعَلَ رِجْله، وأَنْعَلها؛ ألبسَها النَّعْل.

(**أو لِيُحْفِهما**) بضم أوله من الإحفاء، وهو الإعراء عن نحو النعل، ثم إنَّ وجه إيرادِ هذا الحديث والذي بعده في هذا الباب أن النبي ﷺ لم يمش على هذه الحالة التي نهى عنها.

(٦٧) (**يعني: الرجل**) هذه العناية مدرجة من الراوي، واقتصر على الرجل لكونه أشرف، وإلا فالمقصود ما يَعمُّه وغيره، و«أو» في قوله: (**أو يمشي... إلخ**) للتنويع، فكل منهما مكروه على حِدَته.

(٦٨) (**إذا انتَعَل أحدُكم**) أي: أراد لُبْس النعل.

(**فليبدأ باليمين**) تكريماً لها، وأكد ذلك بقوله: (**فلتكن اليمين ... إلخ**)

---

(١) وإنما نهى عن ذلك لما فيه من الآفات الدينية والدنيوية، من التشويه، والمثلة، وعدم الوقار، وعدم أمن العثار، وتميز إحدى جارحتيه، واختلال المشي أو ضعفه، وإيقاع غيره في الإثم لاستهزائه ا.هـ (ابن قاسم).

أَوَّلَهُما تُنْعَلُ وآخِرهُما تُنْزَعُ» [أخرجه البخاري (٥٥١٧) ومسلم (٢٠٩٧)].

(٦٩) وعنه قال: كان لِنَعْلِ رسولِ اللهِ ﷺ قِبالانِ وأبي بكرٍ وعُمَرَ رَضي الله عنهما، وأوَّلُ مَنْ عَقَدَ عَقْداً واحِداً عُثْمانُ رضي الله عنه. [انفرد به المصنف].

و(**أَوَّلَهما**) و(**آخِرَهما**) بالنصب خبر تكن، والتذكير باعتبار العضو، وكل من قوله: (**تنعل**)، (**تنزع**) جملة حالية.

(٦٩) (**وأبي بكر وعمر**) أي: ولِنعل أبي بكر وعمر قِبالان.

(**عَقدَ عقْداً**) أي: اتخذَ قبالاً (**واحداً عثمان**) ليبين أن اتخاذ القِبالين لم يكن لكراهةِ قبالٍ واحد؛ بل لاعتيادهما إذ ذاك، ومن هنا تعلم أن لُبس غير النعلين لم يكن مكروهاً لأن لُبْسَهما كان لاعتيادهما.

(**لطيفة**) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ بخفيه، فلبس أحدهما، ثم جاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية، فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما».

باب ما جاء في ذكر خاتَم رسول الله ﷺ وتختّمه (*)

(٧٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان خاتَمُ النبيِّ ﷺ من وَرِقٍ، وكان فصُّهُ حَبَشِيّاً. [أخرجه البخاري (٥٥٣٢)، ومسلم (٢٠٩٤)].

(٧١) عن ابنِ عُمَرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ اتَّخَذَ خاتَماً مِن فِضَّةٍ، فكانَ يَخْتِمُ به ولا يَلْبَسُهُ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٦٨)، والنسائي (٥٢١٨) (٩٥٥١)].

(٧٢) عن أنس بنِ مالكٍ قال: كان خاتَمُ النبيِّ ﷺ مِنْ فِضَّةْ، فَصُّهُ منه. [أخرجه البخاري (٥٥٣٢)].

(*) **(خَاتم)** بكسر التاء وفتحها، وهو حلقة ذات فَصّ.

(وتختُّمه) أي: لبسه الخاتم، وقد جمعتهما في بابٍ للمناسبة. (٧٠) **(وَرِقٍ)** بكسر الراء وتسكن، أي: فضة، ولم يتعرض لوزنه، وقد ورد «**اتخِذْه من وَرِق ولا تتمَّه مثقالاً**»[1]، فيُقيَّد ما هنا به.

(حبشيّاً) أي: معدنه بالحبشة.

(اتَّخذ خاتماً) أي: في آخر السنة السادسة من الهجرة، أو في أول السابعة.

(يختم به) أي: الكتب التي يرسلها للملوك.

(ولا يلبَسه) أي: في أول اتخاذه، ثم لَبِسه واستمر الأمر على ذلك.

(٧٢) (منه) فَهو غير الذي كان فَصُّه حبشياً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٢٣)، والترمذي (١٧٨٥)، والنسائي (٥١٩٥).

(٧٣) وعنه قال: لمَّا أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إلى العَجَمِ قيلَ له: إنَّ العَجَمَ لا يَقْبَلونَ إلا كِتاباً عليه خَاتَم، فاصْطَنَعَ خاتَماً، كأنِّي أنْظُرُ إلى بَياضِهِ في كَفِّهِ. [أخرجه البخاري (٥٥٣٧) ومسلم (٢٠٩٢)].

(٧٤) وعنه قال: كان نَقْشُ خاتَمُ رسولِ اللهِ ﷺ: محمدٌ سَطْرٌ، ورسولُ سَطرٌ، واللهُ سَطرٌ. [أخرجه البخاري (٥٥٤٠)].

(٧٥) وعنه أنَّ النبيَّ ﷺ كتبَ إلى كِسْرى وقَيْصَرَ والنَّجاشِي، فقيلَ

---

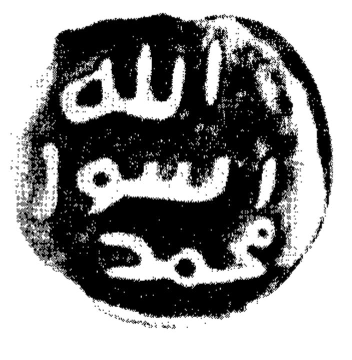
(٧٣) **(العجم)** المراد بهم ما عدا العرب، والمراد عظماؤهم يدعوهم إلى الإسلام.

(خاتم) أي: نَقْشُ خاتم، حتى لا يتطرق إلى المكتوب شَك.

(فاصطنع) أي: أمر أن يُصنع له خاتم، والذي صنعه يعلى بن أمية.

(كأني) وفي نسخة: فكأني.

(٧٤) **(محمَّد سطر)** جملة مركبة من مبتدأ وخبر، وكذا الجملتان بعدها، وهذه الجمل في محل نصب خبر كان، أي: كان مدلول نقش خاتمه هذه الكلمات، ويجوز ترك تنوين **(رسول)** على الحكاية والإتيان به على الإعراب، وكذلك جَرُّ لفظ الجلالة على الحكاية ورفعه على الإعراب، وظاهره أن محمداً هو السطر الأول، وهو الموافق لوضع التنزيل حيث جاء فيه: ﴿گ "﴾ [الفَتْح: ٢٩]، والأظهر أنَّ الأحرف كانت مقلوبةً في النقشِ ليخرُجَ الختْم مستوياً.



(٧٥) **(كَتَبَ)** أي: أراد أن يَكتُب.

(كِسرى) لقب لكل من مَلَك الفُرس.

(وقيصر) لقب لكل من مَلَك الروم.

(والنجاشي) لقب لكل من مَلَك الحبشة.

له: إِنَّهُمْ لا يَقْبَلُونَ كِتاباً إِلَّا بِخاتَمٍ، فَصاغَ رسولُ اللهِ ﷺ خاتَماً حَلْقَتُهُ فضّةٌ، ونُقِشَ فيه (محمدٌ رسولُ اللهِ). [أخرجه مسلم (٢٠٩٢)].

(٧٦) وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا دَخلَ الخَلاءَ نَزَعَ خاتَمَه. [أخرجه أبو داود (١٩)].

(٧٧) عن ابنِ عُمَرَ قال: اتَّخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ خَاتَماً من وَرِقٍ فكان في يَدِه، ثم كان في يدِ أبي بكرٍ ويدِ عُمَرُ، ثم كان في يدِ عُثْمَانَ حتى وقَعَ في بِئْرِ أَرِيسٍ، نَقْشُهُ (محمدٌ رسولُ اللهِ). [أخرجه البخاري (٥٥٣٥) ومسلم (٢٠٩١)].

(فصاغ) أي: أمر يعلى بن أمية بأن يصوغ خاتماً.

(حلقته) بسكون اللام وفتحها.

(فضَّة) أي: وفصُّه حبشي **(ونَقَش)** بالبناء للفاعل أي: أمر بأن ينقش، أو للمفعول.

(فيه) أي: في فَصِّه.

(٧٦) **(إذا دخل)** أي: أراد دخول **(الخلاء)** بالمد، أي: محل قضاء الحاجة[1].

(نَزَعَ خاتَمه) لاشتماله على اسم الله.

(٧٧) **(فكان في يده)** أي: في خنصر يده، وكذا يقال في مثله.

(أَرِيْس) بوزن أَمِير بالصرف وعدمه، بستان قريب من مسجد قُباء، نُسِب إلى رجل من اليهود اسمه أريس، وكان عثمان أمر بحفرِ تلك البئر لأهل المدينة، وكان جالساً على شفيرها فطلبَ الخاتم من مُعَيقب ليختُم شيئاً فسقَط

---

(١) قال العلماء: ينبغي أن يجتنب المسلم ذكر الله في الخلاء، وإدخال ما فيه ذكر الله عند قضاء الحاجة، عملاً بهذا الحديث.

(٧٨) عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَلْبَسُ خاتَمَهُ في يَمِينه. [أخرجه أبو داود (٤٢٢٦)].

(٧٩) عن ابنِ عُمَرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ اتَّخذ خاتَماً مِن فِضَّةٍ وجعلَ فَصَّهُ مما يَلي كَفَّهُ ونَقَشَ فيه: (محمدٌ رسولُ اللهِ) ونَهى أن يَنْقُشَ أحدٌ عليه، وهو الذي سَقَطَ مِن مُعَيْقِيبٍ في بِئْرِ أَريسٍ. [أخرجه البخاري (٥٥٢٨) ومسلم (٢٠٩١)].

(٨٠) عن محمدٍ الباقِرِ قال: كان الحسنُ والحُسَيْنُ يَتَخَتَّمانِ في يَسارِهِما. [أخرجه المصنف في السنن (١٧٤٣)].

فيها من بينهما، ولكون النبي ﷺ لا يورث لم تأخذ ورثتُه الخاتم ولا غيره، بل صار أمرُ أثاثِه للخليفة بعده فصرفَه لمَن أراد من المسلمين، وأبقى الخاتَم عنده للحاجة التي اتخذه النبي ﷺ لها، وجعل الأمين عليه مُعَيقِيب، وكان الخليفة يلبَسه في بعض الأيام تبركاً بآثار من للرُّسُلِ خِتام، ولما فتَّش عثمان عليه ولم يجِدْه نقشَ غيرَه على هيئته، ولكن كان ذهابُه علامة على تغيُّر الحال.

(٧٨) **(في يمينه)** قد جمع العراقي بين رواياتِ التختم في قوله:

يـلـبَـسُـهُ كـمـا رَوى الـبُـخَـاري ... فـي خِـنْـصَـر يَـمـيـنٍ أو يَـسَـارِ
كِـلاهُـمَـا فـي مُـسْـلـمٍ ويُـجْـمَـعُ ... بـأنَّ ذَا فـي حَـالـتَـيـنِ يـقَـعُ

فالسُّنَّة تحصُل بلبسه في اليمين أو اليسار.

(٧٩) **(مما يلي كفَّهُ)** أي: مما يلي بطْنَ كفِّه، وهذا في أكثر الأحوال، فلا ينافي أنه جعله على ظهرها أيضاً.

(ونهى) أي: النبي ﷺ **(أن يَنقُشَ أحدٌ عليه)** أي: مثل نقش الألفاظ التي فيه لِئَلا يلتبسَ أمرُ الخَتْم به.

(٨٠) **(محمد الباقر)** هذا الأثر منقطعٌ لأن محمداً لم يرَ الحسَنَين، وقوله: **(في يسارهما)** أي: اقتداءً بالنبي ﷺ، وقد رُفع من طريق آخر: أن

(٨١) عن ابنِ عُمَرَ قال: اتخذَ رسولُ اللهِ ﷺ خاتَماً مِن ذَهَبٍ، فكان يَلْبَسُهُ في يَمِينه فاتخذَ الناسُ خَواتِيمَ مِن ذهبٍ فَطَرحَهُ ﷺ وقال: لا ألبَسُهُ أبداً، فَطَرحَ الناسُ خَواتِيمَهُمْ. [أخرجه البخاري (٥٥٢٧) ومسلم (٢٠٩١)].

النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً والحسن والحسين كانوا يتختمون في اليسار[١].

(٨١) **(من ذَهَب)** أي: قبل تحريم الذهب على الرجال، وإنما طرحَهُ لما رأى من زهوّ أصحابه بلُبسه[٢].

(خواتيمهم) جمع خاتم، والياء فيه للإشباع.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب أخلاق النبي ﷺ، وأخرج البيهقي في الأدب نحوه، ولم يذكر عثمان (ابن قاسم).

(٢) أو لكونه من ذهب وصادف وقت تحريم لبس الذهب على الرجال (ابن قاسم).

باب ما جاء في سيفِ رسولِ الله ﷺ ودِرعِه ومِغفَرِه (*)

(*) **(سيف)** يجمع على سيوف وأسياف، وكانت تِسعة، وقيل: أحد عشر، لكل واحد اسم يميزه[١]، وأشهرها ذو الفِقار بفتح الفاء وكسرها[٢]، لأنه الذي كان لا يكاد يفارقه.

(ودِرعه) مؤنثة، وقد تذكر، وهي ثوب من حديد تجعل حِلَقاً حِلَقاً تسمى الزّرديّة، وكانت أدرعُه سبعة، لكلّ منها اسمٌ يميزه[٣].

(ومِغفَرِهِ) زرد من حديد ينسج بقدرِ الرأسِ يلبسُ تحتَ القلنسوة، وقد جمعتُ هذه الثلاثة في باب لأنها آلة الحرب، ووجهُ ذكرها بعد باب الخاتَم الذي اتخذه ليختم به للملوك يدعوهم للإسلام الإشارةُ إلى أنَّ من امتَنع قوتِلَ.

---

(١) قال العراقي رحمه الله:

أسيافُه الحتْفُ وذو الفقارِ ... مأثورُ والعضْبُ مع البتَّارِ
كذاكَ مخذمٌ كذا رسوبُ ... والقلعي لم يسمَّ والقضيبُ

(ابن قاسم).

(٢) وسمي ذا الفقار لأن في ظهره فقرات كفقرات الظهر، غنمه عليه الصلاة والسلام من بدر، وقيل: صنع من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة، والله أعلم (ابن قاسم).

(٣) قال العراقي رحمه الله:

أدراعُه سبعةٌ السَّغديَّةُ ... ذاتُ الفُضُولِ وكذاك فضّةُ
ذاتُ الحواشي ما لها كِفاءُ ... ذاتُ الوِشَاحِ الخرْنَقُ البتْرَاءُ

(ابن قاسم).

(٨٢) عن أنسٍ قال: كانت قَبِعَةُ سيفِ رسولِ الله ﷺ مِنْ فِضَّةٍ. [أخرجه أبو داود (٢٥٨٣)].

(٨٣) عن مَزْيدَةَ قال: دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ مكَّةَ يومَ الفَتْحِ وعلى سَيْفِهِ ذَهَبٌ وفِضَّةٌ. [أخرجه المصنف في السنن (١٦٩٠)].

(٨٤) عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ أنه صَنَعَ سَيْفَهُ على سيفِ رسولِ اللهِ ﷺ وكان حَنَفِيّاً. [أخرجه المصنف في السنن (١٦٨٣)].

(٨٥) عن الزُّبَيْرِ بنِ العوَّامِ قال: كان على النبيِّ ﷺ يومَ أُحُدٍ

---

(٨٢) **(قَبِيعَة)** بوزن طبيعة؛ ما على رأسِ مِقبَضِ السيف، والمراد به: ذو الفقار لأنه هو الذي دخل به مكة يوم فتحِها، ولا خصوصية للقَبيعة فإن حَلقَته التي تكون فيها الحمائل ونعلَه ـ أي: أسفلَه ـ كانتا من فضة.

(٨٣) **(مَزْيَدة)** بفتح الميم وإسكان الزاي وفتح التحتية كما ضبطه الأكثر[1].

(وعلى سيفه ذهب وفضة) أي: أن الفِضَّة كانت مموّهة بالذهب[2].

(٨٤) **(وكان حَنَفيّاً)** أي: كان صانعه من بني حَنِيفة، الموصوفين بحُسْن صنعَة السيوف.

(٨٥) **(يومَ أُحد)** أي: يوم غزوتِه، وذلك في السنة الثالثة من الهجرة، وكانت الغلبةُ للعدو، وهي التي شُجَّ فيها وجهُهُ الشريف ورأسُه وكُسِرت رَبَاعِيَّتُه[3]، وأشاع العدوّ أنه قتل فتفرّقت الأصحاب من شدة الحيرة.

---

(١) وقال ابن حجر العسقلاني: كَكَبِيْرَة، ابن مالك العَصَري ـ بفتح مهملتين ـ العبدي، ابن عبد القيس، صحابي، قال ابن منده: وكان من الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ (ابن قاسم).

(٢) لعدم جواز تحلية السيف بالذهب الخالص كسائر الاستعمالات، وذهب بعض العلماء إلى جواز تحلية السيف بالذهب أخذاً بظاهر الحديث. (ابن قاسم).

(٣) الرباعية: بوزن الثمانية وهي السّن التي بين الثنيّة والناب.

دِرْعانِ، فَنَهَضَ إلى الصَّخْرةِ فلم يَسْتطِعْ، فأقْعَدَ طَلْحَةَ تَحْتَهُ وصَعِدَ النبيُّ ﷺ حتى اسْتَوى على الصَّخْرةِ، فسمِعتُ النبي ﷺ يقولُ: «**أَوْجَبَ طَلْحةُ**». [أخرجه المصنف في السنن (١٦٩٢)].

(٨٦) عنِ السائِبِ بن يزِيدَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان عليه يومَ أُحُدٍ دِرْعانِ قد ظاهَرَ بينهما. [أخرجه أبو داود (٢٥٩٠)].

(فنهض إلى الصخرة) ليراه المسلمون **(فلم يستطع)** لضَعْفِه باستفراغ الدم الكثير.

(فأَقعد) أي: أَجلس **(طلحة تحتَه)** فصار كالسُّلَّم.

(وصعِد) بكسر العين، أي: ارتفع.

(حتى استوى على الصخرة) فحين رآه المسلمون حنوا إليه واجتمعوا.

(أوجَبَ طلحة) أي: فعل فعلاً أوجب له الجنة، فإنه مع ذلك بذل رُوحه فداءً لرسول الله ﷺ حتى جُرِحَ بضعاً وثمانين جُرحاً[1].

(٨٦) **(ظَاهَرَ بينهما)** أي: جعل إحداهُما كالظِّهارة للأخرى بأن لَبِسَها فوقَها، وصارت السفلى كالبطانة لها[2].

---

(١) في غزوة أحد أصيب النبي ﷺ، فسال الدم من رأسه وجبهته، وكسرت رباعيته اليمنى، وجرحت شفته السفلى، وشج وجهه، ودخلت حلقه المغفر في وجنته، ووقع في حفرة من الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون، حتى شاع الخبر أن محمداً قد قُتل. ولهذا كله أراد رسول الله ﷺ أن يستعلي على الصخرة ليراه الناس، ويطمئنوا عليه، فلم يستطع لثقل الدرعين، وكثرة جهده، فأقعد طلحة تحته ـ وهو طلحة بن عبيد الله القرشي التميمي، أحد العشرة المبشرين بالجنة. فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، قال ابن الزبير: فسمعت النبي ﷺ يقول: «أوجب طلحة» أي فعل فعلاً أوجب له الجنة وهو دفاعه عن النبي ﷺ حتى جرح بضعاً وثمانين جرحاً. وكان النبي ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك. قال النبي ﷺ في طلحة: «خير شهيد يمشي على وجه الأرض».

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك يوم كله لطلحة.

(٢) وإنما ظاهر ﷺ بين درعين مع أنه سيد المتوكلين والعارفين برب العالمين، اهـ. ا. ا.

(٨٧) عن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخل مكَّةَ عامَ الفَتْحِ وعلى رأسِهِ المِغْفَرُ، فلمَّا نَزعَهُ جاءهُ رجلٌ فقال له: ابنُ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بأسْتارِ الكَعْبَةِ، فقال: «**اقْتلوه**». قال ابنُ شِهابٍ: وبَلَغَنِي أن رسولَ اللهِ ﷺ لم يكُن يَوْمَئذٍ مُحْرِماً. [أخرجه البخاري (٤٠٣٥) ومسلم (١٣٥٧)].

---

(٨٧) (**وعلى رأسه المِغْفَرِ**) لا ينافيه ما يأتي من أنه دخلها وعليه عمامةٌ سوداء، لأنك علمتَ أن المِغفَرَ يُلبَس تحت القلنسوة.

(**رجل**) قيل: هو سعيد بن حريث.

(**ابنُ خَطَل**) كان أسلم ثم ارتد وقَتَل مسلماً، فَلِذَا أهدر النبيُّ ﷺ دمَه فقُتِل بين زمزم والمقام، فهو مستثنى من قوله يومئذ: «**من دخل المسجدَ فهو آمِن**»[(١)].

(**قال ابن شهاب. . .إلخ**) يؤخذ منه جواز دخول مكة بغير إحرام لمن لم يرد نُسُكاً وعليه الشافعي، وعدّ مالك دخول مكة بلا إحرام من الخصائِصِ النبويَّة.

= بشأن الحرب، وتعليماً للأمة الأخذ بالحذر من العدو، وإشارةً إلى أن الحزم والتوقي من الأعداء لا ينافي التوكل والتسليم. (ابن قاسم).

(١) من قوله عليه الصلاة والسلام يوم الفتح: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» أخرجه أبو داود (٣٠٢٢)، والبيهقي في السنن (٩/ ١١٨)، واستثنى عليه الصلاة والسلام من ذلك جماعة، روى الدار قطني والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة لا آمنهم لا في حل ولا في حرم الحويرث بن نقيد، وهلال بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن أبي سرح».

باب ما جاء في عمامةِ رسولِ الله ﷺ وإزارِه وردائِه (*)

(٨٨) عن جابرٍ قال: دخلَ النبيُّ ﷺ مَكةَ يومَ الفَتْحِ وعليه عِمامَةٌ سَوْداءُ. [أخرجه مسلم (١٣٥٨)].

(٨٩) عن ابنِ عُمَرَ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا اعْتَمَّ سَدَلَ عِمامَتَهُ بينَ كَتِفَيْهِ [أخرجه المصنف في السنن (١٧٣٦)].

(*) **(عِمامة)** هي ما يُلفُّ على الرأس، وتحصل السنة بكونها على الرأس بدون قلنسوة أو على قلنسوة تحتها، وهي غِشاء مبطَّن يُسْتَر به الرأس.

(وإزاره) هو ما يَستر أسفل البدن.

(وردائه) هو ما يَستُر أعلاه، وقد جمعتها في باب، ولم أكتف بذكر الإزار في الترجمة عن الرِّداء.

(٨٨) **(سوداء)** إنما اختار هذا اللون في ذلك اليوم، إشارة إلى مزيد السؤدد له ولأمته[١]، فلا ينافي أن الأبيض أفضل منه.

(٨٩) **(اعتمّ)** بشد الميم، أي: لفَّ عمامته على رأسه.

(سدَلَ عِمامته) أي: أرخى طرفَها الأعلى أو الأسفل أو هما.

(بين كتفيه) وأقل ما ورد في طول العَذَبَة أربعُ أصابع، وأكثرُه ذراع.

---

(١) قال ابن حجر: وكأنَّ حكمةَ السواد في العِمامة واللواء مع ما ورد في فضل البياض الإشارة إلى السؤدد الذي أعطيه ﷺ وتميز به على سائر الأنبياء في ذلك اليوم، وهو أن الله تعالى أحل له مكة ساعة من نهار، ولم يحلها لأحد قبله، وإلى سؤدد مكة على سائر البلاد، وإلى سؤدد أمته وعزتهم بذلك الفتح العظيم، وإلى سؤدد الإسلام وظهوره ظهوراً لم يكن قبل الفتح كما بينته سورة النصر، وإلى ثبوت هذا الدين المحمدي واستمراره وعدم تبدله، إذ السواد أبعد عن ظهور الدنس والتبدل من سائر الألوان ا.هـ (ابن قاسم).

(٩٠) عن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وعليهِ عِمامةٌ دَسْماءُ. [أخرجه البخاري (٨٨٥)].

(٩١) عن أبي بُرْدَةَ قال: أخرجتْ إلينا عائشةُ رضي الله عنها كِساءً مُلَبَّداً وإزاراً غلِيظاً، فقالت: قُبِضَ رُوحُ رسولِ اللهِ ﷺ في هذَينِ. [أخرجه البخاري (٥٤٨٠) ومسلم (٢٠٨٠)].

(٩٢) عن عُبيدِ بنِ خالدٍ قال: بَيْنَا أنا أَمْشي بالمَدينةِ إذا إنْسانٌ خَلفِي يقولُ: «**ارْفَعْ إزارَكَ فإنَّهُ أتْقَى وأَبْقَى**»، فالتَفَتُّ فإذا هو رسولُ الله ﷺ،

---

(٩٠) (خطبَ الناسَ) أي: في مرض موته، وأوصاهم بشأن الأنصار.

(عِمامة) وفي رواية عصابة.

(دَسْماء) أي: ملطّخة بدُسومة الشعر لكثرة دُهنه، وفي نسخة: **(سوداء)**.

(٩١) (أخرجت.. إلخ) وكانت حفِظَتهما للتبرّك بهما[1]، والكِساء ما يَستر أعلى البدن.

(ملبَّداً) أي: مرقعاً، وقيل: هو الذي ثَخِن وسطُه حتى صار كاللبد.

(غليظاً) أي: خشِناً، وإنما اختارَ هذا اللباس الخَشِن حتى في آخرِ أمرِه الذي فتحت فيه الفتوح ترفُّعاً عن زينة الحياة الدنيا ليُقتدَى به في ذلك.

(٩٢) (بينَا) أصله بين فأُشبعت فتحتها فتولدت الألِف، وقد يزاد فيها ميم قبل الألف، وهي ظرف للفعل الذي دلت عليه إذا الفجائية، أي: فاجَأني كون إنسان خلفي وقتَ مَشيي في المدينة.

(أتقى) بالفوقية، أي: أقرب للتقوى، للبعد عن الخيلاء، وفي بعض النسخ: **(أنقى)** بالنون، أي: أنظف **(وأبقَى)** بالموحدة، أي: أدوم.

---

(١) وقد كان عندها أيضاً جبة طيالسية كان ﷺ يلبسها، فلما توفيت السيدة عائشة أخذتها أسماء فكانت تستشفي بها المرضى كما جاء في صحيح مسلم.

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إنَّما هي بُردةٌ مَلْحَاءُ، قال: «**أَمَا لك فيَّ أُسْوة**» فَنَظرتُ فإذا إزارُهُ إلى نصفِ ساقَيْهِ. [أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٦٤)، والنسائي (٩٦٨٢)].

(٩٣) عن سَلَمةَ بنِ الأَكْوعِ قال: كان عثمانُ بنُ عفَّانَ يأتَزِرُ إلى أنصافِ ساقَيْهِ، وقال: هكذا كانت إزْرَةُ صاحِبي، يعني: النبيَّ ﷺ. [انفرد به المصنف].

(٩٤) عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ قال: أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بِعَضْلَةِ ساقِي

(**مَلحَاء**) بفتح الميم، أي: سوداء، فيها خطوط بيض يلبَسها الأعراب.

(**أمالَك**) أي: أليس لك.

(**فيّ**) أي: في أفعالي وأقوالي.

(**أُسوَة**) بضمِّ الهمزة أفصح من كسرها، أي: اقتداء.

(**نصف ساقيه**) هذا القدر المستحب الذي ينزل إليه طرف الإزار، والجائزُ بلا كراهة ما تحتَه إلى الكعبين، وما نزل عنهما إن كان للخيلاء حَرُمَ وإلَّا كُره، وفي معنى الإزار كل ملبوس، وللمرأة جَرُّ الملبوس قدرَ شبرٍ أو ذراعٍ لزيادة السَّتر(١).

(٩٣) (**أنصاف**) المراد بالجمع ما فوق الواحد بقرينةِ ما أُضيف إليه.

(**إزرة صاحبي**) بكسر الهمزة، أي: هيئة ائتزاره.

(٩٤) (**بعَضْلة**) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة وتُحرَّك: كل عصَبٍ له لحم بكثرة، وهي هنا اللحمة المجتمعة أسفل من الركبة.

---

(١) أخرج الترمذي في السنن (١٧٣١) وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن، قال: «يرخين شبراً»، قالت: إذاً تنكشف أقدامهن، قال: «فيرخينه ذراعاً لا يزدن»

أو ساقِهِ، فقال: «**هذا مَوضِعُ الإزارِ، فإن أَبَيْتَ فأَسْفَلُ، فإن أبيتَ فلا حَقَّ للإزارِ في الكَعْبَيْنِ**». [أخرجه المصنف في السنن (٥٣٢٩)].

(**أو ساقه**) الأقرب أن الشك من الراوي عن حذيفة.

(**موضعُ الإزار**) أي: موضعُ طرَفه.

(**فأسفل**) أي: فموضعُه أسفل من العَضْلَة بقليل.

(**فلا حَقَّ**) يحمل على المبالغة، وإلا فالمحرَّمُ ما زاد على الكعبين إن كان للخيلاء.

باب ما جاء في مِشيةِ رسولِ الله ﷺ وجِلستِه واستلقائِه (*)

(٩٥) عن أبي هريرة قال: ما رأيتُ شيئاً أحسَنَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ كأنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي في وجْهِهِ، ولا رأيتُ أحداً أسْرَعَ في مِشْيَتِهِ من رسولِ الله ﷺ، كأنَّما الأرضُ تُطْوَى له، إنا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنا وإنَّهُ لَغيرُ مُكْتَرِثٍ. [أخرجه المصنف في السنن (٣٦٥٠)].

(٩٦) عن قَيلَةَ بِنْتِ مَخْرَمةَ: أنَّها رأتْ رسولَ اللهِ ﷺ في المسْجِدِ وهو قاعِدٌ القُرْفُصاءَ . . . .

(*) (**مِشية**) بكسر الميم، وهي الهيئة التي يعتادها الناس في المشي.

(**وجِلسته**) بكسر الجيم، أي: هيئة جلُوسِه، وقد جمعْتها في باب وزِدتُ.

(**واستلقائِهِ**) في الترجمة ليكون الحديث المذكور مناسِباً لها.

(٩٥) (**أسرع في مِشيَته**) المراد بيان صِفة مشيه المعتاد من غير إسراع منه.

(**لَنُجهِد**) بضم النون وكسر الهاء، ويجوز فتحهما، أي: نُتعب.

(**أنفسنا**) ونحمِّلُها فوقَ طاقتها، وهو لا يقصِد إجهادَهم وإنما كان يمشي بحالتِه الطبيعيَّة.

(**لغَيرُ مكترِث**) أي: غيرُ مبالٍ بالمشي، لا بأصحابه.

(٩٦) (**القرفصاء**) هي أن يجلِسَ على ركبتيه معتمداً ويلصِق بطنَه بفخِذَيه

قالتْ: فلما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ المتَخَشِّعَ في الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفرَقِ. [أخرجه أبو داود (٤٨٤٧)].

(٩٧) عن عبدِ اللهِ بن زيدٍ: أنه رأى النبيَّ ﷺ مُسْتلْقِياً في المسجدِ واضِعاً إحْدَى رِجْليهِ على الأُخْرَى. [أخرجه البخاري (٤٦٣) ومسلم (٢١٠٠)].

(٩٨) عن أبي سعيدٍ الخدرِيّ قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا جَلَسَ في المسجِدِ . . . .

ويتأبط كفيه، أي: يجعل كُلاً تحت إبط، أو يجلس على أليتِهِ ويلصقَ فخذيه ببطنه ويضعَ يديه على ساقيه.

(**المتخشِّع**) أي: المبالغ في الخشوع.

(**أُرْعِدتُ**) أي: أخذتني الرِّعدَة بكسر الراء، أي الاضطراب، وفي نسخة: فأُرْعِدتُ (**من الفَرَق**) بالتحريك، أي: الخوفُ الناشِئ من عِظَم المهابة. [فقال له جليسه: يا رسول الله أُرْعدت المسكينة، فقال ﷺ: ولَمْ ينظر إليَّ وأنا عند ظهره «يا مسكينة عليك السكينة». فلما قالها أذهب الله عني ما كان دخل في قلبي من الرعب].

(٩٧) (**مُستلقياً**) حال من النبي ﷺ، والاستلقاء الاضطجاع على القَفا[1].

(٩٨) (**إذا جلس في المسجد**) وفي نسخة: في المجلس.

---

(١) قال المناوي: وفي الحديث جواز الاتكاء والاضطجاع والاستراحة في المسجد مطلقاً، ويمكن تقييده بحالة الاعتكاف لما علم من أن جلوسه كان على الوقار والتواضع ا هـ. (ابن قاسم).

احْتَبَى بِيَدَيْهِ. [أخرجه أبو داود (٤٨٤٦)].

(احتبى) بأن يجلس على ألييهِ ويضمَّ رجليه إلى بطنه بيديه، وهذا مخصوص بما عدا ما بعد صلاة الصبح فإنه كان يتربَّع في مجلسه حتى تطلع الشمس وترتفع.

باب ما جاء في تُكَأة رسولِ الله ﷺ واتِّكائه (*)

(٩٩) عن أبي بَكرَةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أُحدِّثُكُمْ بأكبَرِ الكبائِرِ**»؟ قالوا: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: «**الإشْراكُ باللهِ، وعُقُوق الوَالِدَيْن**»، وجلسَ رسولُ اللهِ ﷺ وكان مُتَّكِئاً، قال: «**وشَهادَةُ الزُّور**» أو «**قولُ الزُّورِ**» فما زالَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُها حتى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.
[أخرجه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٨٧)].

(*) **(في تُكَأةِ)** بوزن لُمَزَة؛ ما يُتَّكَأ عليه كالوسادة، والاتكاء الاعتماد، وإنما جمعتهما في باب؛ لأنَّ بعضَ الأحاديث المذكورة في باب التُّكأة لا مناسبة له به بل بباب الاتِّكاء.

(٩٩) (أبي بَكْرة) بفتح الكاف وسكونها، كُنِّيَ بذلك لأنّه تدلى للنبي ﷺ من حِصن الطائف في بَكرة تعلَّق بها.

(ألا) أداة عرضٍ **(الكبائر)** أي: الذنوب الكبيرة التي ورد فيها وعيدٌ شديد.

(بلى) أي: حدِّثنا، والمراد بالإشراك مطلق الكفر، كما أن المراد بالوالدَين الأصلان وإن عَلَيَا، وعقوقهما إيذاؤهما بقول أو فعل مما لا يُحتمل عادةً.

(وجلس) أي: للتنبيه على عِظَم إثم شهادة الزور لتعدِّي مفسدِتها إلى الغيْرِ، لا لكونها فوق الإشراك أو مثلَه.

(أو قول الزور) شك من الراوي.

(يقولها) أي: جملة و«شهادة الزور»، أو «قول الزور».

(ليتَه سكت) أي: شفقةً عليه من كثرَة التكرار، وإنما لم يذكر القتل ظلماً

(١٠٠) عن أبي جُحَيْفَةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أمَّا أنا فلا آكُلُ مُتَّكِئاً**» [أخرجه البخاري (٥٠٨٣)].

(١٠١) عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ مُتَّكِئاً على وِسادَةٍ. [أخرجه أبو داود (٣٧٦٩)].

(١٠٢) عن الفضلِ بنِ عباسٍ قال: دخلتُ على رسولِ الله ﷺ في مَرَضِهِ الذي تُوفِّيَ فيه، وعلى رأسِهِ عِصابةٌ صفراءُ، فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: «**يا فَضْلُ**»، قلتُ: لبَّيْكَ يا رسولَ الله، قال: «**اشْدُدْ بهذِهِ العِصابَةِ رأسي**»، ففعلتُ، ثم قَعَدَ ....

مع أنه يلي الإشراك لعلَّه لعلمه للمخاطبين من أحاديث أُخر، وكذلك الزنا ونحوه، والمراد بأكبرِ الكبائر الأكبر النسبي، فإنه هو الذي يتعدد وأما الأكبر الحقيقي فهو الشرك.

(١٠٠) (**مُتَّكِئاً**)[1] حال، أي: جالِساً على هيئَةِ المتمكِّن المتربِّع المستدعية لكثرة الأكل، أو مائلاً إلى أحدِ الشِّقَّين، بل مستوفِزاً، فالسُّنة أن يقعُد الآكل على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصِب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى، فإن هذه الهيئة أنفع هيئات الأكل.

(١٠١) (**وسادة**) هي المِخَدة بكسر الميم، زاد في بعض الراويات: على يساره، وهو بيان لما رآه وإلا فيجوز الاتِّكاء على اليمين أيضاً.

(١٠٢) (**عصابة**) أي: خِرقة أو عمامَة. (**فقال: يا فضل**) أي: بعد أن ردّ السلام. (**لبيك**) أي: أجبتك إجابة بعد إجابة.

(**اشدد. . إلخ**) أي: ليَخِفَّ الألم. (**ثم قعدَ**) أي: بعد أن كان مضطجعاً.

---

(١) الأكل مع الاتكاء لا يليق بالمسلم لأن فيه إعراضاً أو استهانة بنعم الله عز وجل وهذا طبعاً إذا لم تكن هناك ضرورة.

فوضع كَفَّهُ على مَنْكِبِي، ثم قامَ فَدخَل في المسجد[١]. [أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٨٠)].

(على منكبي) أي: متَّكئاً عليه ليقوم.

(١) وفي رواية للطبراني في الكبير (١٨/ ٢٨٠) فقال النبي ﷺ: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى انتهى إلى المنبر، فجلس عليه ثم قال: صِحْ في الناس فصحتُ في الناس فاجتمع إليه ناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ألا إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، فمن كنتُ جلدت له ظهره فهذا ظهري فليستقد منه، ألا ومن كنت شتمتُ له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ألا لا يقولنَّ رجل: إني أخشى الشحناء من قِبَل رسول الله ﷺ، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي ولا من شأني، ألا وإنَّ أحبكم إليَّ من أخذَ حقاً إنْ كان له أو حللني فلقيتُ الله وأنا طيبُ النفس، ألا وإني لا أرى ذلك مغنياً عني حتى أقوم فيكم مراراً ثم نزل فصلى الظهر ثم عاد إلى المنبر، فعاد لمقالته في الشحناء وغيرها ثم قال: أيها الناس، مَنْ كان عنده شيء فليَردَّه ولا يقول فضوح الدنيا وإنَّ فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله إنّ لي عندك ثلاثة دراهم، قال: أمّا إنَّا لا نكذب قائلاً ولا نستحلفه فبمَ صارت لك عندي؟ قال: تذكر يوم مَرَّ بك مسكين فأمرتني أن أدفعها إليه، فقال: ادفعها إليه يا فضل، ثم قام إليه رجل آخر فقال: عندي ثلاثة دراهم كنتُ غللتها في سبيل الله قال: ولم غللتها؟ قال: كنتُ إليها محتاجاً قال: خذها يا فضل ثم قال: يا أيها الناس من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدعو له...).

باب ما جاء في صِفةِ أكلِ رسولِ الله ﷺ وخُبْزِهِ (*)

(١٠٣) عن كعب بنِ مالكٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَلْعَقُ أصابِعَهُ ثلاثاً. [أخرجه مسلم (٢٠٣٢)].

(١٠٤) وعنه قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يأكُلُ بِأصابِعِهِ الثَّلاثِ وَيَلْعَقُهمْ. [أخرجه مسلم (٢٠٣٢)].

(*) **(وخبزه)** أي: وصفة خبزه، وقد جمعته مع الأكل في باب.

(١٠٣) **(يلعق)** مضارع لَعِقَ من باب تَعِب، أي: يلحَسُ **(أصابعَه)** وفي رواية: يُلعِقُ أصابعَه بضم التحتية، أي: يُلعِقُها غيرَه، فالسنَّة أن يلعقَها الإنسان بعدَ انتهاء الأكل أو يُلعقُها غيرَه ممن لا يتقذّر ذلك من نحو عيالِه أو تلامذتِه التماساً للبركةِ التي لا يدريها في أي طعامه[1]، والأولى أن يلعَق كلَّ أُصْبع ثلاثاً متواليةً يبدأ بالوسطى ثم السبابة ثم الإبهام.

(١٠٤) **(الثلاث)** أي: الإبهام والسبابة والوسطى، وهذا محمول على أغلب الأحوال، وإلا فقد وردَ أنه أكل بالخمس، وبعضهم حمله على المائع.

---

(١) أخرج مسلم (٢٠٣٣) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة».
قال النووي رحمه الله: معنى قوله: «في أيّ طعامكم البركة» أن الطعام الذي يحضره الإنسانُ فيه بركةٌ ولا يدري أن تلك البركة فيما أكل، أو فيما بقي على أصابعه أو فيما بقي أسفل القصعة، أو اللقمة الساقطة من يده، فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة اهـ (ابن قاسم).

(١٠٥) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أُتيَ رسولُ اللهِ ﷺ بتَمْرٍ فرأيتُهُ يأكُلُ وهو مُقْعٍ مِنَ الجوعِ. [أخرجه مسلم (٢٠٤٤)].

(١٠٦) عن عائشةَ أنَّها قالتْ: ما شَبعَ آلُ محمدٍ ﷺ من خُبْزِ الشَّعيرِ يَوْمينِ مُتَتابِعَينِ حتى قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ. [أخرجه البخاري (٥١٠٠) ومسلم (٢٩٧٠)].

(١٠٧) عن أبي أُمامَةَ قال: ما كان يَفْضُلُ عن أهلِ بيتِ رسولِ الله ﷺ خُبزَ الشَّعيرِ. [أخرجه الإمام في مسنده (٥/ ٢٥٣)، والمصنف في السنن (٢٣٦٠)].

---

(١٠٥) **(مُقْعٍ من الجوع)** في القاموس: أقعى في جلوسِه تساند إلى ماوراءه، ولله در القائل:

فلو كانَتِ الدُّنيا جزاءً لمُحْسِنٍ ... إذاً لم يكُنْ فِيها معاشٌ لظَالمِ
لقَدْ جاعَ فِيها الأنبياءُ كرامةً ... وقَدْ شَبِعَتْ فِيها بُطونُ البَهَائِمِ

(١٠٦) **(آل محمد)** المراد بهم عِيالُه الذين في نفقته.

(يومَين) أي: بليلتيهما[1]، ولا ينافي ذلك أنه كان يدَّخِر في آخر حياتِه قوتَ سنةٍ لعياله، لأنه كان يعرضُ له حوائج المحتاجين فيُخرِجُ ما كان يدَّخره.

(١٠٧) **(يفضل)** أي: يزيد، بل كان ما يجدُونه لا يُشبِعُهم في الأكثر.

---

(١) ومما ينبغي أن يُتَنَبَّه له أن الشبع في حقه ﷺ إنما هو ما يحمل الجسم ويحفظ حياته وصحته، لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف..

وقد نص العلماء على أن الشبع إلى حد التخمة وإفساد المعدة حرام، وما دون ذلك مما يؤدي إلى الثقل مختلف فيه بالكراهة والإباحة، وعليهما اختلف في الجشا، هل يقول عندها: الحمد لله، أو أستغفر الله، وجمع بعضهم بينهما، وهو أحسن، فيحمد الله اعتباراً بالنعمة ويستغفر الله لسوء أدبه في أكله (ابن قاسم).

(١٠٨) عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيالَي المُتَتابِعَةَ طاوِياً هو وأهْلُهُ لا يَجِدونَ عَشاءً، وكان أكثَرُ خُبْزِهِمْ خُبزَ الشَّعيرِ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٣٦١)].

(١٠٩) عن سهلِ بنِ سعدٍ أنه قِيلَ له: أكَلَ رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ؟ - يعني: الحُوَّارَى - فقال سهلٌ: ما رأى رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ حتى لَقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ، فقيلَ له: هل كانتْ لكُمْ مَناخلُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ؟ قال: ما كانتْ لَنا مَناخِلُ، قيل: كيفَ كُنْتُمْ تَصْنَعونَ بالشَّعيرِ؟ قال: كنَّا نَنْفُخُهُ فَبَطِيرُ مِنه ما طارَ ثم نَعْجِنُهُ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٣٦٥)].

(١١٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: ما أكَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ على خِوانٍ ولا

---

(١٠٨) **(طاوياً)** أي: بدون أكلٍ اختياراً لأشرفِ الحالات.

(١٠٩) **(أكل)** بحذف همزة الاستفهام.

(النقيّ) أي: الخبز المنَقَّى من النخالة، أي: المنخول دقيقُه.

(يعنى الحُوَّارى) تفسير من الراوي للنقي، فهو من التحوير، وهو التبييض بنخلِه مراراً.

(ما رأى) أي: فضلاً عن أكلِه.

(فقيل له) أي: قال بعضهم لسهل.

(مناخل) جمع مُنخُل بضم الميم والخاء، فاتخاذ المناخِل بدعة لكنها مباحة.

(١١٠) **(خِوان)** بكسر أوله ويضم، وهو الكُرسي، فالأكل عليه بدعة لكنَّه جائزٌ إن خلا عن قصد التكبر.

في سُكُرُّجَةٍ، ولا خُبِزَ له مرَققٌ. قال يونُسُ: فقلتُ لِقَتَادَةَ: فَعلى ما كانُوا يأكُلُون؟ قال: على هذه السُّفَرِ. [أخرجه البخاري (٥٠٩٩)، والمصنف في السنن (١٧٨٩)].

(١١١) عن مسروقٍ قال: دخلتُ على عائشةَ فَدَعَتْ لي بِطعامٍ، وقالتْ: ما أشْبَعُ مِنَ طَعامٍ فأشاءُ أَنْ أَبْكِيَ إلَّا بَكيْتُ، قلتُ: لِمَ؟ قالتْ: أذكُرُ الحالَ التي فارَقَ عليها رسولُ الله ﷺ الدُّنْيا، واللهِ ما شَبِعَ مِن خُبْزٍ ولحمٍ مَرَّتَيْنِ في يومٍ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٣٥٧)].

(سُكُرُّجة) بضم السين المهملة والكاف والراء مع التشديد، وهي إناء صغير يوضع فيه الشيء المشهِّي للطعام كالسلطة.

(قال يونس) أي: أحد رواة الحديث.

(فعلى ما) بإثبات ألف «ما» الاستفهامية مع دخول حرف الجر على الاستعمال القليل، والكثير حذفها.

(السُّفَر) بضَمٍّ ففتحٍ؛ جمع سفرة، وهي في الأصل طعام يتخذه المسافر، والغالب أن يحمله في جلد مستدير، فنُقِلَ اسمه إلى ذلك الجلد.

(١١١) **(فدعَتْ لي بطعام)** أي: طلبت مِن خادِمها طعاماً لأجلي.

(إلا بكيت) أي: تأسفاً على فوات تِلك الحالة العليَّة التي كان عليها رسولُ الله ﷺ.

(ما شَبِع) أي: لاجتنابه الشبع وإيثارِه الجوع، لا لضرورة تدعو وإنما ذلك لمحضِ الخشوع.

(١١٢) عن عائشةَ قالتْ: ما شَبعَ رسولُ الله ﷺ من خُبْزِ الشَعيرِ يومينِ مُتَتَابِعَينِ حتى قُبِضَ. [أخرجه مسلم (٢٩٧٠)].

وكيف تدعُو إلى الدُّنيا ضَرورةُ مَن لولاهُ لم تَخْرُجِ الدُّنيَا مِنَ العَدَمِ

باب ما جاء في صفةِ إدامِ رسولِ الله ﷺ (*)

(١١٣) عن عائشةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ**» [أخرجه مسلم (٢٣٦٤)].

(١١٤) عنِ سماكِ بنِ حربٍ قال: سمعتُ النُّعْمانَ بنَ بشيرٍ يقول: أَلَسْتُمْ في طعامٍ وشَرابٍ ما شِئْتُم؟ لقد رأيتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وما يجدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يَمْلأُ بَطْنَهُ. [أخرجه مسلم (٢٩٧٧)].

(*) **(إِدام)** هو كالأُدُم بضم الهمزة؛ ما يساغ به الخبز ويصلح به الطعام، فيشمَلُ الجامِدَ كاللحم بحسب اللغة، لحديث: «سيد إدام أهل الدنيا والآخرة اللحم»[1].

(١١٣) **(نِعْم... إلخ)** إنما مدحه جبراً لخاطِر من قدّمَه له، إذ لو حضَرَ نحو لحم أو عَسَلٍ لكان أحقَّ بالمدحِ[2].

(١١٤) **(ألستُم)** القصد من الاستفهام الإنكاري الحثُّ على الاقتصار في الطعامِ والشراب على أقل ما يكفي اقتداء بالنبي ﷺ، ولذا قال: **(نبيِّكم)** إلزاماً لهم.

(الدَّقَل) بفتحتين؛ رديء التمر، فقد كان كثيراً ما يجد كفاً من حشَفٍ فيكتفي به ويطوي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣٠٥)، والبيهقي في الشعب (٥/ ١٣١).

(٢) قال الخطابي: معناه مدح الاقتصاد في المأكل، ومنع النفس ملاذ الأطعمة...، وقال النووي: والصواب الذي ينبغي الجزم به أنه مدح الخل نفسه، وأما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخر، وجمع ابن حجر بين التفسيرين، فقال ما معناه: الأولى أن يقال: استفيد من مدحه أنه إدام فاضل جيد، ومن الاقتصار عليه مدح الاقتصاد في الأكل، ومنع النفس من ملاذ الأطعمة وشهواتها اهـ (ابن قاسم).

(١١٥) عن زَهْدَمِ الجَرْمِيِّ قال: كُنَّا عند أبي موسى الأشْعَرِيّ فأُتِيَ بِلَحْمِ دَجاجٍ، فَتَنَحَّى رجلٌ مِنَ القوم، فقال: مالَكَ؟ فقال: إنّي رأيْتُها تأكُلُ شيئاً، فَحلَفْتُ أنْ لا آكُلَها، قال: أُدْنُ فإنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يأكُلُ لحمَ الدَّجاجِ. [أخرجه البخاري (٤١٢٤) ومسلم (١٦٤٩)].

(١١٦) عن سَفينةَ قال: أكَلْتُ مع رسولِ الله ﷺ لحَمَ حُبارَى. [أخرجه أبو داود (٣٧٩٧)].

(١١٧) عن عمرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُوا الزَّيْتَ** ....

---

(١١٥) (**فأُتِي**) أي: أتاه خادمه. (**بلحم دَجاج**) اسم جنس مثلث الدال، واحِدُه دجاجة بالتثليث أيضاً، من دَجَّ إذا أسرع (**فتنحى**) أي: تباعد.

(**رجل**) أي: من بني تَيمُ الله، كما في رواية، ومعنى تَيمُ الله: عبدُ الله.

(**شيئاً**) أي: قَذِراً، وفي رواية: نَتِناً.

(**أُدْنُ**) أي: اقرُب وخالِفْ نفسَك، وكُلْ وكفِّر عن يمينك.

(**فإني رأيت... إلخ**) وفي الحديث: «**لا يؤمنُ أحدكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جِئتُ به**»[1].

(١١٦) (**سفينة**) مَولى النبي ﷺ.

(**حُبارى**) بضم الحاء المهملة طائر طويل العنق في منقاره طول، ولحمه بين لحم الدجاج والبَطِّ.

(١١٧) (**كلوا الزيت**) أي: مع الخُبز، فلا يَرِدُ أنه مائِعٌ لا يؤكل، والأمر بأكله يقتضي أنه أكلَه، فناسب هذا الحديث الترجمة.

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (١٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، قال النووي في الأربعين: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وادَّهِنُوا به، فإنه من شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ». [أخرجه المصنف في السنن (١٨٥٢)].

(١١٨) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الدُّبَّاء، فأُتِي بِطَعامٍ أوْ دُعِيَ له، فجَعَلتُ أَتَتَبَّعُهُ، فأضَعُهُ بينَ يديهِ لِمَا أعْلَمُ أنه يُحِبُّهُ. [أخرجه النسائي (٦٦٦٤)].

(١١٩) عن جابرِ بنِ طارِقٍ قال: دخلتُ على النَّبيِّ ﷺ فرأيتُ عِنْدَهُ دُبَّاءً يُقَطَّعُ، فَقلتُ: ما هذا؟ قال: نُكَثِّرُ به طَعامَنا. [أخرجه النسائي (٦٦٦٥)].

(١٢٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: إنَّ خَيَّاطاً دَعا رسولَ الله ﷺ لطَعامٍ صَنَعهُ، فذهبتُ مع رسولِ الله ﷺ إلى ذلك الطَّعام، فَقَرَّب إلى رسولِ الله ﷺ خُبْزاً من شَعيرٍ، ومَرَقاً فيه دُبَّاءٌ وقَدِيدٌ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ

(وادَّهِنُوا به) أي: غِبّاً فإن الدُّهنَ به في البلاد الحارَّة من أسباب الصِّحة، وأما في البلاد الباردة فضارٌّ، وكثرة دَهنِ الرأسِ تضُرُّ البصر.

(مباركة) أي: لكثرَة ما فيها من المنافع وهي شجرة الزيتون.

(١١٨) **(الدُّبَّاء)** أي: القرع لأنه ينفع المحرُورَ، ويقطَعُ العطَشَ، ويزيدُ في العقل، ويُذهِبُ الصداعَ الحارَّ إذا شُرِبَ أو غُسِل به الرأس.

(أو دُعِيَ له) شك من الراوي.

(فجعلتُ أتتبعُه) أي: فشرعت أتطلبه من جوانب القَصْعة.

(لما أعلم) أي: لعلمي.

(١١٩) **(ما هذا)** أي: ما فائدة هذا التقطيع.

(١٢٠) **(فذهبْتُ. . .إلخ)** لكونِه خادِمَه أو بطلبٍ مخصوص.

(فقرَّبَ) أي: الخيَّاط.

(وقديدٌ) أي: لحم مقدَّد في الشمس أو غيرها.

يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ حَوالي القَصْعةِ، فلم أزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ من يومئذٍ. [أخرجه البخاري (٥٠٦٤) ومسلم (٢٠٤١)].

(١٢١) عن عائشةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يُحِبُّ الحَلْوَاءَ والعَسلَ. [أخرجه البخاري (٥٢٩١) ومسلم (١٤٧٤)].

(١٢٢) عن أُمِّ سلمةَ قالت: قرَّبْتُ إلى رسولِ الله ﷺ جَنْباً مَشْوِيّاً، فأكَلَ مِنه، ثم قامَ إلى الصَّلاةِ وما تَوَضَّأَ. [أخرجه المصنف في السنن (١٨٣٠)].

(حوالي) أي: من جوانب القصْعة، ولا منافاة بين ما هنا وبين حديث: «**كل مما يليك**»(١) لأنَّ عِلة ذلك الإضرار بالغير، والغيرُ لا يتضرر بما يفعله النبي ﷺ بل يتبرَّكُ به(٢).

(يومَئِذ) بالفتح على البناء، والجرِّ على الإعراب.

(١٢١) **(الحَلواء)** بالمدّ والقصر، وهي كلُّ ما فيه حلاوة، فعطف العسل عليها من عطف الخاص على العام، والحلواء التي كان يُحبُّها تمرٌ يُعجَنُ بلبَن(٣)، ولم يصحَّ أنه رأى السّكر.

(١٢٢) **(جَنْباً)** أي: من شاة، وهو ما تحت الإبط إلى الكَشْح.

(وما توضَّأ) فإن الأمر بالوضوء مما مسَّته النار منسوخ(٤).

---

(١) سيأتي الحديث برقم (١٤٥).

(٢) وكان النبي ﷺ يتتبع الدباء لحبه إياه، ولذلك أحب أنس ؓ الدباء محبة قدوة لا طبعاً، وهذا من صريح الإيمان.

(٣) قال ابن حجر: وفيه أن محبة الأطعمة النفيسة اللذيذة لا تنافي الزهد، ولكن من غير قصد وتكلف في تحصيلها، ومن ثم قال الخطابي: لم تكن محبته ﷺ للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزوع النفس، وإنما كان ينال منها إذا حضرت نيلاً صالحاً، فيعلم بذلك أنها تعجبه اهـ (ابن قاسم).

(٤) أخرج أبو داود (١٩٢)، والنسائي (١٨٥)، وابن حبان (١١٣٤)، كان آخر الأمرين من فعل رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما غيرت النار.

(١٢٣) عن عبدِ الله بنِ الحارثِ قال: أَكَلْنَا مع رسولِ الله ﷺ شِواءً بالمَسْجِدِ. [أخرجه ابن ماجه (٣٣١١)].

(١٢٤) عن المُغِيرَةِ بنِ شُعبةَ قال: ضِفْتُ مع رسولِ الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فأُتِيَ بِجَنْبٍ مَشْوِيٍّ، ثم أخذ الشَّفْرَةَ فَجَعلَ يَحُزُّ، فحَزَّ لي بها منه، فجاءَ بلالٌ يُؤذِنه بالصلاة، فألقَى الشَّفْرَةَ فقال: مالَه تَرِبَتْ يَداهُ؟ وكان

---

(١٢٣) **(شِوَاء)** بكسر المعجمة وضمها، أي لحماً مَشوِيّاً، ويمكن حَمل أكلهم بالمسجد على زمن الاعتكاف، أو يكون لبيان الجواز عند أمن التقذير.

(١٢٤) **(ضِفْتُ)** أي: كنت ضيفاً.

(مع رسول الله) في بيت ضُباعة بنت الزبير.

(الشَفرة) بفتح الشين المعجمة، السكين العظيمة.

(فجعل يَحُزُّ) أي: يقطَع، وحديث النهي عن قَطْعِ اللحم بالسكِّين ليس بقويّ[1]، أو يُحمَل على لحمٍ تكامل نضجُه.

(بلال) أي: المؤذن **(يؤْذِنه)** بسكون الهمزة، وتبدل واواً، أي: يُعلمُه.

(ماله) أي: أيُّ شيء ثبت له يبعثُه على الإعلام بالصلاة بحضرةِ الطعامِ، الذي تشتاق إليه النفس، وفي الوقت اتساعٌ مع ما في ذلك من إيذاء المضيف.

(ترِبَت يداه) أي: التصقت بالتراب من شِدَّة الفقر، ومرادُه الزجر لا حقيقة الدعاء عليه.

---

(١) وهو الحديث الذي رواه أبو داود (٣٧٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٩١) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنع الأعاجم، وانهشوه فإنه أهنأ وأمرأ»، ويجوز أن يكون احترازه ﷺ ناسخاً لنهيه عن قطع اللحم بالسكين، أو يكون لبيان أن النهي للتنزيه (ابن قاسم).

شارِبُهُ قد وَفَى فقال له: «**أقُصُّه لك على سِواكٍ**» أو «**قُصَّهُ على سِواكٍ**». [أخرجه أبو داود (١٨٨)].

(١٢٥) عن أبي هريرةَ قال: أُتِيَ النبيُّ ﷺ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إليه الذِّرَاعُ وكانتْ تُعْجِبُه، فَنَهَشَ منها. [أخرجه البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٤)].

(**شاربُه**) أي: بلال.

(**قد وَفَى**) أي: طال وزاد عن شفته العليا.

(**فقال**) أي: النبي ﷺ (**أقُصُّه**) بصيغَة المضارع.

(**أو قُصَّهُ**) بصيغة الأمر، وهذا شكٌّ من الراوي، وإنما كان القصُّ على سواكٍ لئلا تتأذى الشَّفَة بالقصِّ[1].

(١٢٥) (**الذِراع**) يؤنَّث ويذكَّر، والمراد بها هنا ما فوقَ الكُرَاع بضم الكافِ الذي هو مستدَقُّ الساقِ (**وكانت تُعجِبُه**) لأنَّها أسرعُ نُضجاً، وأبعد عن مواضع الأذى.

(**فنهشَ منها**) بالشين المعجمة، وفي نسخة بالسين المهملة، أي: تناول بعضها بأطراف أسنانه، وقيل: بالمهملة الأخذ بأطراف الأسنان، وبالمعجمة الأخذ بجميعها.

---

(١) قال ابن حجر: فيه دليل لما قاله الإمام النووي من أن السنة في قص الشارب أن لا يبالغ في إحفائه، بل يقتصر على ما تظهر به حمرة الشفة وطرفها، وهو المراد بإحفاء الشوارب في الأحاديث، وفي الحديث إشارة إلى طلب تحسين الهيئة والإحسان إلى المخالط والمقارن، والمحافظة على ما يستمر به حسن الصورة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤] وفي ذلك محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب لأن الإنسان إذا بدا في هيئة جميلة كان أدعى لانبساط النفوس إليه فيقبل قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس، ولهذا طلبت سائر خصال الفطرة اهـ. (ابن قاسم).

(١٢٦) عن ابنِ مسعودٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الذِّراعُ، وَسُمَّ في الذِراعِ، وكان يُرَى أنَّ اليَهُودَ سَمُّوهُ. [أخرجه أبو داود (٣٧٨١)].

(١٢٧) عن أبي عُبيدٍ قال: طَبَخْتُ للنبيِّ ﷺ قِدْراً وكان يُعْجِبُهُ الذِّراعُ، فَنَاوَلْتُهُ الذراعَ، ثم قال: «**ناوِلْني الذِّراعَ**» فَناولتُهُ، ثم قال: «**ناوِلْنِي الذراعَ**» فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، وكَمْ للِشَّاةِ من ذِراعٍ؟ فقال:

---

(١٢٦) **(يعجبه الذّراع)** وفي رواية: الكَتِف، ومما كان يُحبُّه أيضاً الرقَبَة.

(وسُمَّ) أي: جُعِلَ له السُّمُّ **(في الذراع)**، فأكل منها لقمةً فأخبرَتْه ـ أو جبريل ـ فامتنع، ولم يضرَّه السُّمُّ في الحال، وإنما مات به ليَجْمَع الله له بين النبوَّة والشهادة.

(وكان) أي: ابن مسعود.

(يُرى) بصيغةِ المجهول، أي: يُظن، لأنه صدر عن أمرهم، وإلا فالمباشِرُ له زينب بنت الحارث امرأة سلام اليهودي، وقد أسلمت[1]، وكان السُّمُّ بخيبر قبل نزول آية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

(١٢٧) **(أبي عُبيد)** بلا تاء، وفي نسخ بالتاء؛ كان مَولى للنبي ﷺ[2].

(قِدراً) أي: لحماً في قِدرٍ، وهي مؤنثة فإنها تُصغَّر على قُدَيرة.

(وكم للشاة... إلخ) استفهام[3]، لكن فيه إساءة أدب بعدم الامتثال،

---

(١) وقد عفا عنها رسول الله ﷺ لإسلامها ولأنه لا ينتقم لنفسه، ولما مات بشر بن البراء وكان أكل معه منها دفعها لورثته فقتلوها قوداً (ابن قاسم).

(٢) واسمه كنيتُه: أبو عبيد.

(٣) قال ابن حجر: الظاهر أنه استفهام استعظام وتعجب لا إنكار، لأنه الأليق بهذا المقام اهـ(ابن قاسم).

«**والذي نَفْسِي بيدِهِ لو سَكَتَّ لناوَلْتَنِي الذِّراعَ ما دَعَوْتُ**». [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٤ـ ٤٨٥)].

(١٢٨) عن عائشةَ قالتْ: ما كانت الذِّراعُ أحبَّ اللَّحْم إلى رسولِ الله ﷺ ولكِنَّه كان لا يَجِدُ اللَّحْمَ إلَّا غِبّاً، وكان يَعْجَلُ إليها لأنَّها أعْجَلُها نُضْجاً. [أخرجه المصنف في السنن (١٨٣٩)].

(١٢٩) عن عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنَّ أطيبَ اللَّحْمِ لَحْمُ الظَّهْرِ**». [أخرجه ابن ماجه (٣٣٠٨)، والنسائي (٦٦٥٧) والإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٠٣ـ ٢٠٤)].

ولذا حُرِمَ مشاهدةَ المعجزة، فإن النبي ﷺ حَلَفَ بقوله: («**والذي نفسي بيدِه**») أي: روحي بقدرتِه، إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناهَا (**لو سكتَّ**) عما قُلتَ وامتثلتَ (**لناولتني الذراع ما دعوتُ**) أي: مدة دوام طلبي بأن يخلُقَ الله ذراعاً بعد ذِراع[1].

(١٢٨) (**ما كانت الذراعُ أحبَّ اللحم**) أرادتْ تنزيهَهُ عن أن يكون له ميل لشيء من الملاذِّ، والذي دلَّتْ عليه الأخبار أنه كان يُحبُّه محبةً طبيعية، ولا محذور في ذلك لأنه من كمال الخِلْقَة، وإنما المنافي للكمال عناءُ النفس في تحصيله وتألُّمها لفقدِه.

(**إلا غِبّاً**) أي: إلا مُدةً بعد مدة.

(**أعجَلُها**) أي: اللحوم أو الشاة.

(١٢٩) (**إنَّ أطيبَ**) أي: ألذَّ، وهذا يقتضي أنه أكله أحياناً، فطابق الحديث الترجمة.

---

(١) وهذا من باب تكثير الطعام الذي هو أحد معجزاته عليه الصلاة والسلام.

(١٣٠) عن أمِّ هانئٍ قالت: دخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ فقال: «**أَعِنْدَكِ شيءٌ**» فقلتُ: لا إلا خُبْزٌ يابِسٌ وخَلٌّ، فقال: «**هاتِي، ما أَقْفَرَ بيتٌ من أُدْمٍ فيه خلٌّ**». [أخرجه المصنف في السنن (١٨٤٢)].

(١٣١) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**فضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطَّعامِ**» [أخرجه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٤٤٦)].

(١٣٢) عن أبي هريرةَ: أنه رأى رسولَ الله ﷺ تَوَضَّأ من أكل ثَوْرِ أَقِطٍ، ثم رآهُ أكَلَ من كَتِفِ شاةٍ، ثم صَلَّى ولم يَتوضَّأْ. [أخرجه ابن ماجه (٤٩٣) بنحوه].

---

(١٣٠) (**دَخَلَ**) أي: يومَ فتح مكة.

(**شيء**) أي: يؤكل.

(**هاتي**) بإثبات الياء فهو فعل أمر.

(**ما أقفَرَ**) أي: ما خَلا من أُدْم بيتٌ فيه خلٌّ.

(١٣١) (**على النساء**) أي: نسائِه اللاتي في زمنها، وإلا فخديجةُ أفضلُ منها، وأفضلُ منها فاطِمةُ الزهراء ومثلها أخواتها.

(**الثَّريد**) هو الخبز المثرُود في المرَق، والغالب أن يكون معه لحمٌ.

(١٣٢) (**ثور**) بالمثلثة؛ أي: قطعة (**أَقِط**) وهو لبن يجمَّد بالنار، وإنما توضأ من أجل أكلِه لكونه قبل نسخ الأمر بالوضوء مما مسته النار، وتركَ الوضوء من أكل كتِفِ الشاة لكونه كان بعدَه[1].

---

(١) والذي انتهى إليه النبي ﷺ هو عدم الوضوء مما مسته النار، لحديث جابر رضي الله عنه: (كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما مسته النار) رواه أبو داود وقد مرَّ تخريج الحديث في شرح حديث رقم (١٢٢).

(١٣٣) عن أنسِ بن مالكٍ قال: أَوْلَمَ رسولُ الله ﷺ على صَفِيَّةَ بِتَمْرٍ وسَويق. [أخرجه أبو داود (٣٧٤٤)].

(١٣٤) عن سَلْمَى: أنَّ الحَسَنَ بنَ عليٍّ وابنَ عباسٍ وابنَ جعفرٍ أتَوْها، فقالوا لها: اصْنَعِي لَنا طعَاماً ممَّا كان يُعْجِبُ رسولَ الله ﷺ ويُحَسِّنُ أَكْلَهُ، فقالت: يا بُنَيَّ لا تَشْتَهيهِ اليومَ، قال: بَلَى اصْنَعِيهِ لنا، فقامتْ فأخذتْ شيئاً من الشَّعِيرِ فَطَحَنَتْهُ ثم جعلَتْهُ في قِدْرٍ وصبَّتْ عليه شيئاً من زَيْتٍ، ودَقَّت الفُلْفُلَ والتَّوابِلَ فَقَرَّبَتْهُ إليهم، فقالتْ: هذا مِمَّا كان يُعْجِبُ رسولَ الله ﷺ ويُحَسِّنِ أَكْلَهُ. [انفرد به المصنف].

(١٣٥) عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: أتَانا النبيُّ ﷺ في مَنْزِلِنا، فَذَبَحْنا له شاةً، فقال: «**كأنَّهُمْ عَلِمُوا أنَّا نُحِبُّ اللَّحْمَ**» . . . .

---

(١٣٣) (**أَوْلَمَ**) أي: صنَعَ وليمةً.

(**صفية**) أي: بنت حُيي سيِّد بني النضير، وكانت في السبي فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، وأسلمت فأعتقها وتزوجها، وجعل عِتقَها صداقَها.

(**وسويق**) هو دقيقُ القمح أو الشعير المقلوّ.

(١٣٤) (**أتوها**) أي: لكونها كانت خادمةَ المصطفى وطباختَه، (**يا بُنَيَّ**) خاطبت الحسنَ لكونه أعظمهم.

(**لا تشتهيه اليوم**) أي: لسَعة العيش واعتياد الناس الأطعمة اللذيذة.

(**قال: بلى**) أي: نشتهيه.

(**فطحنتْه**) وفي نسخ: فطبختَه.

(**الفلفل**) كهُدْهُدْ وزُبْرُجْ؛ حبٌّ هندي، والأبيض أصلح، وكلاهما نافع.

(**والتوابلُ**) مركَّبَة من الكزبرة والزنجبيل والكمُّون ونحو ذلك.

(١٣٥) (**أنَّا نحبُّ اللحم**) أي: حيث أضافونا به، وقصد بذلك إظهار حُبِّ اللحم جبراً لخاطرهم.

وفي الحديثِ قِصَّةٌ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٣٠٣)].

(١٣٦) وعنه قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وأنا مَعَهُ فدخَلَ على امرأةٍ مِنَ الأنْصارِ فَذَبحتْ له شاةً فأكَلَ منها، وأتَتْهُ بِقِناعٍ من رُطبٍ، فأكلَ منه، ثم تَوَضَّأ للظُّهرِ وصلَّى، ثم انْصَرفَ فأتَتْهُ بِعُلالَةٍ من عُلالةِ الشاةِ فأكلَ، ثم صلَّى العَصرَ ولم يَتوضَّأ. [أخرجه المصنف في السنن (٨٠)، وأبو داود (١٩١)].

(١٣٧) عن أمِّ المنذرِ قالت: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ ومعهُ عليٌّ ولنَا دَوالٍ مُعَلَّقة، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يأكُلُ وعليٌّ معهُ يأكُلُ، فقال ﷺ لِعَلِيٍّ: «**مَهْ يا عليُّ**، ....

(قصَّة) أي: طويلة، انظرها في مختصر ابن أبي جمرة، وانظر ما كتبناه عليه.

(١٣٦) **(بقِنَاع)** المراد به طبق يعمل من خوص **(من رطب)** بيانٌ لما كان عليه.

(ثم انصرف) أي: من صلاته.

(بعُلالة) أي: بقية **(من عُلالة الشاة)** أي: بقيةِ لحمها.

(فأكلَ) ولا يلزم من أكله مرَّتين الشِّبع في كل منهما، ويؤخذ منه أنه لا حرج في الأكل بعد الأكل إن أَمِنَ التخمةَ ولم يتخلل بينهما شُرْب، لأنه حينئذٍ أكلٌ واحدٌ، وإلا فهو مُضرٌ طِباً.

(١٣٧) **(أم المنذر)** هي إحدى خالات النبي ﷺ من جهة أبيه.

(دوالٍ) جمع دالية، وهي العِذق من النخلة يقطع ذا بُسْر، ثم يعلّق، فإذا أرطب أُكِل.

(مه) أي: اكفُف.

فإنَّكَ ناقِهٌ» فجلَسَ عليٌّ والنبيُّ ﷺ يأكل، فجعلتُ لهم سِلْقاً وشَعيراً، فقال النبي ﷺ لِعَلِيٍّ: «**مِن هذا فأصبْ، فإنَّ هذا أَوْفَقُ لك**». [أخرجه أبو داود (٣٨٥٦)].

(١٣٨) عن عائشةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يأتِيني فيقولُ: «**أَعِنْدَكِ غَداء؟**» فأقولُ: لا، فيقول: «**إنِّي صائِمٌ**» فأتاني يوماً فقلتُ: يا رسولَ الله، إنه أُهْدِيَتْ لنا هَدِيَّةٌ، قال: «**وما هي؟**» . . . .

(**فإنك ناقِه**) أي: قريب بُرْءٍ من المرض، يقال: نَقَهَ بفتح القاف وكسرِها إذا بَرِئ من المرض، ومن الحِكَم: الحمية رأس الدواء والمعِدة بيتُ الداء، وعوِّدوا كلَّ جسد ما اعتاد.

(**يأكل**) أي: وهو قائم لبيان الجواز.

(**سِلْقاً**) بكسر المهملة نبت معروف (**أوفَق**) أي: موافق (**لك**) فإن ماء الشعير نافع للناقِه لا سيما إذا طبخ بأصول السِّلق[1].

(١٣٨) (**غَدَاء**) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة، ما يؤكل أول النهار، وأما الغِذَاء بكسر الغين وفتح الذال المعجمتين فهو ما يتغذى به فيشمَل العشاء.

(**إني صائمٌ**) أي: ينوي الصوم بهذه العبارة[2]، وهو صريح في جوازِ نيَّة صوم النفل نهاراً، وبه أخذ أبو حنيفة والشافعي، وأخذ مالك بعموم حديث: «**لا صيام. لمن لم يبيِّت الصيام من الليل**»[3].

---

(١) وفي الحديث أنه ينبغي الحمية للمريض والناقه آكد، فإن التخليط يوجب انتكاسه، وهو أصعب من ابتداء المرض، وقد نطق التنزيل بطلب الحمية حيث قال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ...﴾ إلى قوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ فحمى المريض من استعمال الماء لكونه يضره (ابن قاسم).

(٢) وفيه أنه لا بأس بإظهار النوافل لحاجة كتعليمهم مسألة كما هنا (ابن قاسم).

(٣) أخرجه الترمذي (٧٣٠) بلفظ: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». وعند النسائي (٢٣٣١): «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

قلتُ: حَيْسٌ، قال: «**أما إنِّي أصْبَحْتُ صائِماً**»، ثم أكَلَ. [أخرجه مسلم (١١٥٤)].

(١٣٩) عن يوسفَ بنِ عبدِ الله بنِ سلام قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ أخَذَ كِسْرَةً من خُبْزِ الشَّعيرِ، فَوضَعَ عليها تَمْرَةً، وقال: «**هذه إدَامُ هذه**»، وأكَل. [أخرجه أبو داود (٣٢٥٩) (٣٢٦٠)].

(١٤٠) عن أنسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُعْجِبُهُ الثُّفْلُ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٠)].

(**حيس**) هو التمر مع السَّمن والأقِط. وقد يجعل بدل الأقِط الدقيق.

(**أمَا**) بالتخفيف للتنبيه.

(**ثم أكل**) صريح في حِلِّ قطع النفل، وهو مذهبُ الشافعي، ولم يأخذ به مالك.

(١٣٩) (**هذه إدامُ هذه**) يؤخذ منه أن النبي ﷺ كان يدبِّر الغذاء، فإن الشعيرَ بارد يابس، والتمرَ حارٌ رطب، فكان يُصْلح ضرر بعض الأغذية ببعض، ولا يجمع بين باردين ولا حارَّين ولا مسهِّلين ولا قابضَين، ولا بين لبن وسمك، ولم يأكل طعاماً عفِناً ولا مالحاً ولا شديد الحرارة، فإن ذلك مُضِرٌّ بالصِّحة ولم يشرب على الطعام لئِلا يفسُد[1].

(١٤٠) (**الثِفْل**) بضم المثلثة وكسرها؛ ما بقي من الطعام في القدر أو الصَّحْفَة لأنه في غاية النضج القريب إلى الهضم، فهو أهنأ وأمرأ، وفيه إشارة إلى التواضع والقناعة باليسير[2].

---

(١) وفي الحديث القناعة بالائتدام بما تيسر، وفيه جواز وضع الإدام على الخبز (ابن قاسم).

(٢) فكان عليه الصلاة والسلام يؤثر الناس بأول الطعام وأعلاه ويختار لنفسه ما بقي منه في أسفل الوعاء، وكثير من الأغنياء يتكبرون ويأنفون من أكل الثفل ويريقونه.. والأظهر أن المصنف ختم الباب بهذا الحديث المشتمل آخره على ما بقي من الطعام إشارة إلى براعة الختم، قاله في جمع الوسائل بمعناه (ابن قاسم).

باب ما جاء في صفة وضوء رسول الله ﷺ عند الطعام (*)

(١٤١) عن ابنِ عباسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ مِنَ الخَلاءِ، فَقُرِّبَ إليهِ الطَّعامُ، فقالُوا: ألا نأتيكَ بِوَضُوءٍ؟ قال: «**إنَّما أُمِرْتُ بالوُضُوءِ إذا قُمْتُ إلى الصَّلاةِ**» [أخرجه أبو داود (٣٧٦٠)].

(١٤٢) عن سَلمانَ قال: قرأتُ في التَّوراةِ أنَّ بَركةَ الطَّعامِ الوُضُوءُ بعدهُ، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ وأخْبرتُه بما قرأتُ في التوراةِ، فقال رسول الله ﷺ: «**بركةُ الطعامِ الوضوءُ قَبلَهُ والوُضوءُ بعدَهُ**». [أخرجه أبو داود (٣٧٦١)].

(*) (**وضوء**) المراد به ما يشمل الشرعي واللغوي، فإرادة الشرعي من حيثُ عدمُ طلبه عند الطعام لا وجوباً ولا ندباً، وإرادة اللغوي من حيثُ طلبُه.

(١٤١) (**من الخلاء**) أي: محل قضاء الحاجة.

(**ألا نأتيك**) بهمزة الاستفهام، وفي نسخ بحذفها، والوضوء هنا بفتح الواو: ما يتوضأ به، وفيما بعده بضمها، وهو الفعل.

(١٤٢) (**أَنَّ**) بفتح الهمزة وكسرها.

(**فذكرتُ ذلك للنبيِّ ﷺ**) أي: ذكرت له أنَّ ذلك في التوراة.

(**وأخبرتُه بما قرأتُ في التوراةِ**) أي: بقراءتي له، فلا يغني عنه ما قبله.

(**الوضوء**) أي: اللغوي؛ وهو غسل اليدين، فتحصُلُ بالقبليّ البركةُ للطعام؛ لأن فيه تعظيمَ نعمة الله بالنظافة، فيكون نافعاً لا ضرر فيه،

. . . .

وبالبعدي أيضاً لكونه مزيلاً للغَمَر ـ بفتحتين، أي: الدَسَم ـ المستلزم لبُعدِ الشيطان[١]، ويُندب تقديمُ صاحب البيت بغسلِ يديه قبل الطعام لأنَّه يدعو الناسَ إليه وتأخيره عن الضيوف بعده.

---

(١) أخرج الترمذي (١٨٥٩) وأبو داود (٣٨٥٢)، وابن ماجه (٣٢٩٧): قال رسول الله ﷺ: «من بات وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه».

باب ما جاء في قول رسول الله ﷺ قبل الطعام وبعدَ ما يفرغ منه (*)

(١٤٣) عن أبي أيوبَ الأَنْصاريِّ قال: كنا عند النبِيِّ يوماً، فَقُرِّبَ إليه طَعامٌ، فلم أرَ طَعاماً كان أعظمَ بَركةً منه أَوَّلَ ما أكَلْنَا، ولا أَقلَّ بركةً في آخرِهِ، فقلنا: يا رسولَ الله، كيفَ هذا؟ قال: «**إنَّا ذكَرنا اسمَ اللهِ حينَ أكلْنا، ثم قَعَدَ مَن أكلَ ولم يُسَمِّ الله تعالى فأكَلَ مَعهُ الشَّيْطانُ**» [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤١٥ـ ٤١٦)].

(*) (**في قولِ رسول الله ﷺ**) وهو التسمية قبل الأكل، والحمدلة بعدَه، ومثل الطعام الشراب.

(١٤٣) (**أوَّلَ ما أكلنَا**) أي: في أول وقتِ أكلنا، فأوَّلَ منصوب على الظرفية، وما مصدرية.

(**ولا أقلَّ بركةً**) أي: منه.

(**في آخِرِه**) أي: في آخِرِ وقتِ أكلنا إياه.

(**اسم الله**) فيه إشارةإلى حصولِ سُنَّة التسميةِ ببسم الله، وأما زيادةُ «الرحمن الرحيم» فهي أكمل، ويستحبُّ الجهرُ بها ليقتديَ به غيره.

(**فأكل معهُ الشيطان**) أي: حقيقة عند الجمهور، فلم تكن التسمية المتقدمة على حضوره مؤثرة في عدم تمكن الشيطان من الأكل معه[1]، وهذا

---

(١) ويحسُنُ أن يقال: إن هذا الرجل إنما جاء بعد فراغ النبي ﷺ من الأكل، وإلا فيبعد أو يستحيل أن يأكل الشيطان معه عليه الصلاة والسلام، وربما أرشد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام في رواية عائشة الآتية: «لو سمى لكفاكم». ولم يقل: لكفانا (ابن قاسم).

(١٤٤) عن عائشةَ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أَكَلَ أحَدُكُم فَنَسِيَ أن يذكُرَ اللهَ تعالى على طَعامِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ**» [أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)].

(١٤٥) عن عمرَ بنِ أبي سَلَمَةَ: أنَّه دخلَ على رسولِ الله ﷺ وعِندَهُ طَعام، فقال: «**أُدْنُ يا بُنَيَّ فَسَمِّ الله تعالى، وكُلْ بِيَمِينكَ، وكلْ مما يَلِيك**». [أخرجه البخاري (٥٠٦١) ومسلم (٢٠٢٢)].

(١٤٦) عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا فَرغَ مِن طَعامِهِ قال: «**الحمدُ للهِ الذي أَطْعَمَنا وسَقانا** ....

ظاهر على أن التسميةَ سنةُ عين، ويحمل قول من قال: إنها سنة كفاية على ما لو اشتغل جماعة بالأكل معاً وسمى واحد منهم فإنها تكفي.

(١٤٤) (أوَّله وآخِرَه) بالنصب، أي: في أوله وآخره، والمراد ما يَعُمُّ الوسط فيكون بذلك كأنه أتى بها أولاً.

(١٤٥) (عن عمر. . .إلخ) كان ربيبَ النبي ﷺ من أم سلمة.

(يا بُني) بصيغة التصغير المشعِرة بالشفقة، وهو بفتح التحتية وكسرها.

(فسَمِّ اللهَ) أي: ندباً[١]، كذا ما بعده، ويؤخذُ منه أنه يُندبُ على الطعام تعليمُ من أخلَّ بشيء من آدابه، وقد ورد: «**إذا أكل أحدُكم فليأكل بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله**»[٢].

(وكُلْ مما يليْك) هذا في غير الفاكهة إذا كانت أنواعاً.

(١٤٦) (الحمد) أي: الثناء الجميل مستحق **(لله)**، وفي هذا أداء شُكر المنعم وطلبُ المزيد، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]،

---

(١) ومن سنة التسمية أن ينطق بها جهراً ليذكر الغافل ويعلم الجاهل (ابن قاسم).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨).

وَجَعَلَنَا مُسْلِمينَ». [أخرجه أبو داود (٣٨٥٠)].

(١٤٧) عن أبي أُمَامةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا رُفِعَتِ المائِدَةُ مِن بينِ يَدَيْهِ يقولُ: «**الحمدُ للهِ حَمْداً كثيراً طَيِّباً مُباركاً فيه، غيرَ مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغْنىً عنه رَبُّنا**». [أخرجه البخاري (٥١٤٢)].

وأردف الطعام بالسَّقي لأنه يقارنه غالباً، وختم بقوله: **(وجعلنا مسلمين)** ليجْمَع بين الشكر على النعمة الدنيوية والدينية.

(١٤٧) (المائدة): أي: السفرة التي تُمدّ وتُبسط ليوضع عليها الطعام، وتطلق على الطعام نفسِه.

(حمداً) مفعول مطلق.

(طيِّباً) أي: خالصاً من الرياء، فإن الله تعالى طيّب لا يقبَلُ إلا طيِّباً.

(غيرَ مُودَّع) بصيغة اسم المفعول، أي: غير متروك لنا.

(ولا مُسْتَغنىً عنه) أي: لا يَستغني عنه أحدٌ لأنه سَببٌ لدوام النعمة وزيادِتها.

(ربُّنا) بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو ربُّنا، وبالنصب على المدح، وبالجرِّ بدل من لفظ الجلالة، وكان النبي ﷺ إذا أكل عند قوم لا يخرُجُ حتى يدعوَ لهم بقوله: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٢).

(فائدة) عن جابر رضي الله عنه قال: (صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي ﷺ طعاماً، فدعا النبي ﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: «أثيبوا أخاكم»، قالوا: يا رسول الله وما إثابتُهُ؟) قال: «إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرب شرابه، ثم دعي له فذلك إثابته» رواه أبو داود (٣٨٥٣).

وعن أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه، فجاء بخبز وزبيب فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة» رواه أبو داود (٣٨٥٤).

(١٤٨) عن عائشةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يأكُلُ طعاماً في سِتَّةٍ من أصْحابِهِ، فجاء أعْرَابِيٌّ فأكلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لو سَمَّى لَكَفاكُمْ**» [أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)].

(١٤٩) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عنِ العبدِ أن يأكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عليها، أو يَشْرَبَ الشَّرْبةَ فيحمدُهُ عليها**». [أخرجه مسلم (٢٧٣٤)].

---

(١٤٨) **(طعاماً)** وفي نسخةٍ: **(الطعام)**.

(في سِتَّةٍ) أي: مع ستةٍ.

(بلقمتين) وفي نسخة: في لقمتين.

(لكَفاكُم) أي: وإياه، وفي نسخة: **(لكفانا)**.

(١٤٩) **(ليَرضى عن العبد)** أي: يثيبُه بسبب **(أن يأكل الأكلة)** بفتح الهمزة، المرة من الأكل.

(فيحمدَه) روي بالنصب وهو ظاهر، وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: فهو يحمَدُه، وتحصل السنة بأي لفظٍ مشتَقٍّ من مادّة الحمد[1].

---

(١) وفي الحديث: إن كرمه تعالى لا يشبه كرم، يرزق العبد، ويلهمه الحمد والشكر على ذلك ثم يُثيبُهُ على ذلك الحمد بما لا نهاية له، فهو تعالى يعطي العبد ويعطيه على ذلك العطاء، فسبحانه من محسن ما أكرمه، ومتفضل ما أرحمه، قال بعضهم في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]: ملّكَكَ ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة، ثم استقرض منك ما اشتراه، ثم وعدك عليه من العوض أضعافاً. (ابن قاسم).

باب ما جاء في قَدَحِ رسولِ الله ﷺ (*)

(١٥٠) عن ثابتٍ قال: أخرجَ إلَيْنَا أنسُ بنُ مالكٍ قدَحَ خَشبٍ، غَلِيظاً مُضَبَّباً بِحَدِيدٍ، فقال: يا ثابتُ، هذا قدحُ رسولِ الله ﷺ. [انفرد به المصنف].

(١٥١) عن أنسٍ قال: لقد سَقَيْتُ رسولَ الله ﷺ بهذا القَدَحِ الشَّرابَ كُلَّهُ: الماءَ، والنَّبِيذَ، والعَسَلَ، واللَّبَنَ. [أخرجه مسلم (٢٠٠٨)].

(*) **(في قَدَحٍ.. إلخ)** هو ما يُشرب به، وكان له ﷺ جملةُ أقداح.

(١٥٠) **(قدح خشب)** الإضافة على معنى من.

(مضَبَّباً) أي: مشدوداً بضَبَّة[1]، وهي حديدة عريضة يجمع بها الخشب، ويؤخذ منه أنَّ حفظ ما يَنفعُ وإصلاحُه أولى من إضاعته، واشتُرِيَ هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمئة ألف درهم.

(١٥١) **(بهذا القدح)** أي: الذي من الخشب الغليظ؟.

(الماء... إلخ) بدل من الشراب، بدلٌ مفصَّلٌ من مُجمَلٍ، وكان يُنبذ له التمر أو الزبيب في الماء حتى يحلُو فيشربُه لأنَّ له نفعاً عظيماً في زيادة القوة.

---

(١) وفي البخاري (٥٣١٥)، عن عاصم الأحول، قال: رأيت قدح النبي ﷺ عند أنس، وكان قد انصدع فسلسله بفضة، قال: وهو قدح جيد عريض من نُضَار. (النضار: العود الخالص)، وعن البخاري رحمه الله أنه رآه بالبصرة وشرب منه.

باب ما جاء في صفة فاكهة رسول الله ﷺ (*)

(١٥٢) عن عبد الله بنِ جعفرٍ قال: كان النبيُّ ﷺ يأكُلُ القِثَّاءَ بالرُّطَبِ. [أخرجه البخاري (٥١٢٤) ومسلم (٢٠٤٣)].

(١٥٣) عن عائشةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يأكُلُ البِطِّيخَ بالرُّطبِ. [أخرجه أبو داود (٣٨٣٦)].

(١٥٤) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَجْمَعُ بينَ الخِرْبِزِ والرطَبِ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٤٣ـ ١٤٣)، والنسائي (٦٧٢٦)].

(*) **(فاكهة)** هي ما يُتفكَّه ـ أي: يُتنعم ـ بأكله رَطباً كان أو يابساً.

(١٥٢) **(القِثَّاء)** نوع من الخيار، وهو باردٌ رطب، مسكِّن للعطش، نافعٌ لوجعِ المثانة، والرُّطَب ثمر النخل إذا نضج، وهو حارٌ رطب يقوي المعدة الباردة ويزيد في الباءة، لكنه معكِّر للدم مصدِّع مولِّد لوجع المثانة والأسنان، فكل منهما يدفع ضرر الآخر ويصلِحه، وينشأ عنهما سِمَنٌ حسن، وكان النبيُّ ﷺ يجعل القِثّاء في يمينه والرُّطَب في شماله إعانةً لليمين، ويأكل مِنْ ذَا مرةً ومِنْ ذَا مرةً، وروي أنه كان يأكلُ القِثَّاء بالملح[1].

(١٥٣) **(البِطِّيخ)** بكسر الموحدة.

(بالرطب) لأن البطيخ بارد والرُّطب حارٌّ فبجمعِهما يحصُلُ الاعتدال، ورُويَ أن النبي ﷺ كان يأكلُ الرُّطبَ بيمينه والبطيخَ بيساره[2].

(١٥٤) **(الخِرْبَز)** هو البطيخ بالفارسيَّة.

---

(١) قال العراقي: أخرجه أبو الشيخ (٦٧٦) من حديث عائشة، وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره، ورواه ابن عدي، وفيه عباد بن كثير متروك ا هـ.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ١٣٤)، والبيهقي في الشعب (٥/ ١١١).

(١٥٥) عن أبي هريرةَ قال: كان الناسُ إذا رَأوْا أوَّلَ الثَّمَرِ جاؤوا به إلى رسولِ الله ﷺ، فإذا أخَذهُ رسولُ الله ﷺ قال: «**اللهمَّ باركْ لنا في ثِمارِنا، وباركْ لنا في مَدِينَتِنا، وباركْ لنا في صاعِنا وفي مُدِّنا، اللهمّ إنَّ إبراهيمَ عَبْدُكَ وخَلِيلُكَ ونبيُّكَ، وإنِّي عبدُكَ ونَبيُّكَ، وإنَّهُ دَعاكَ لِمَكَّةَ وإنِّي أدْعُوكَ للمدينة بِمثْلِ ما دعاكَ به لمكَّةَ ومثْلِه مَعهُ**»، ثم يَدْعُو أصغَرَ وليدٍ يَراهُ فَيُعْطِيهِ ذلك الثَّمَرَ. [أخرجه مسلم (١٣٧٣)].

(١٥٦) عن الرُّبَيِّع بنتِ مُعوِّذِ بنِ عَفْراءَ ....

---

(١٥٥) (أول الثَمرِ) بفتح المثلثة والميم، ويسمى الباكورة.

(في صاعنا) مكيال معروف، وهو أربعةُ أمداد، والمُدُّ مِلءُ اليدين لا مبسوطتين ولا مقبوضتين، أي: اجعل البركة فيهما بحيث يكفي صاعُنا من لا يكفيه صاعُ غيرنا، وكذا المُدُّ.

(وخليلك) من الخُلَّة بالضم، وهي المحبَّة التي تمكنَت في خلال القلب.

(عبدُك ونبيُّك) ولم يقُل: وخليلُك تواضُعاً، لأنه اللائِقُ بمقام الدُّعاء، فلا ينافي أنه خليلٌ أيضاً، وأنه خُصَّ بمقام المحبَّةِ الأرفعِ من مقامِ الخُلَّة.

(دعاك لمكة) أي: بقوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

(ومثله) أي: وبمثله **(معه)** ليكون مضاعفاً، وقد استجاب الله لخليلِه وحبيبه، فصارَ يُجبى إليهما ثمراتُ كلِّ شيء.

(ثم يدعو) أي: ينادي **(أصغرَ وليدٍ)** أي: مولودٍ **(يراه)** من أهل بيته إن صادفه وإلا فمن غيرهم، وإنما لم يأكل منه إشارةً إلى أن النفوس الزكيَّة لا تتشوف إلى تناول الشيء إلا بعد عموم وجوده.

(١٥٦) (معوَّذ) بتشديد الواو المكسورة أو المفتوحة.

قالت: بَعَثَني مُعاذُ بنُ عَفْراءَ بِقِنَاعٍ مِن رُطَبٍ وعليه أَجْرٍ مِنْ قِثَّاءٍ زُغْبٌ وكان ﷺ يُحِبُّ القِثَّاءَ، فأتَيْتُهُ به وعندَهُ حِليَةٌ قَدِمَتْ عليه مِنَ البَحْرَيْنِ، فَملأ يَدَهُ منها فأعْطانِيهِ. [أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٧٤)].

(معاذ بن عفراء) هو عمها الذي اشترك هو وأخوه معوَّذ في قتل أبي جهل ببدر، وأجَهز عليه ابن مسعود.

(بقناع) أي: طبق **(من رُطَبٍ)** بيان لجنس ما عليه.

(وعليه) أيضاً **(أَجْرٍ)** أصله أَجْرُوٌ كأفْلُس، فقلبت الواوُ ياءً لوقوعها رابعةً، والضمةُ كسرةً لمناسبة الياء، ثم أُعِلَّ إعلالَ قاضٍ، وهو جمع جَرُو بتثليث أوّله، وهو الصغير من كل شيء والمراد به الصغير من القثّاء.

(زُغْبٌ) بالرفع صفة أَجْرٍ، وبالجرِّ صفة قِثَّاء، وهو جمع أزغب من الزَغَب بفتحتين؛ وهو صغار الرِّيشِ أوّل طلوعه، شبّه به ما يكون على القِثَّاء الصغيرة.

(يحب القِثَّاء) أي: مع الرُّطَب.

(حِليَة) اسم لما يُتزين به من نقْدٍ وغيره.

(من البحرين) أي: من خراجه، وهو على لفظ التثنية إقليم بين البَصْرة وعُمَان[1].

---

(١) وفي الحديث: عظيم سخائه وجوده ومروأته ﷺ، ورعايته كمال المناسبة، فإن الأنثى أحق بما يتزين به. (ابن قاسم)

وفي الحديث مقابلته ﷺ الإحسان بأجمل إحسان فقد كان ﷺ لا يضيع الإحسان، ولا ينكر الجميل والمعروف لإنسان، من عمل معه معروفاً، أو صنع معه جميلاً، يذكره له، ويقابله بما هو أحسن وأكرم وأجمل، كما أثبتت ذلك الوقائع الواردة، والشواهد الثابتة:

فمن ذلك ما ورد عن عَمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: استسقى رسول الله ﷺ ـ أي: طلب ماءً ليشرب منه ـ فأتيتُه بقدح فيه ماء، فكانت فيه شعرة

=

. . . .

. . . .

فأخذتها ـ أي: أزالها من القدح ـ فقال ﷺ مقابلاً لصنعه الجميل: «اللهم جَمِّله».

قال الراوي: فرأيت عمراً وهو ابن تسعين سنة، وليس في لحيته شعرة بيضاء.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة، فسقطت على لحيته ريشة، فابتدر أبو أيوب فأخذها.

فقال له النبي ﷺ: «نزع الله عنك ما تكره». فانظر كيف أنه ﷺ لم يضيّع إحسان من أزال عنه ريشة!

من كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ للشيخ عبد الله سراج الدين.

باب ما جاء في شرابِ رسولِ الله ﷺ وشُربِه(*)

(١٥٧) عن عائشةَ قالتْ: كان أَحَبُّ الشَّرابِ إلى رسول الله ﷺ الحُلْوَ البارِدَ. [أخرجه المصنف في السنن (١٨٩٧)].

(١٥٨) عن ابنِ عباسٍ قال: دخلتُ مَع رسولِ الله ﷺ أنا وخالِدُ بنُ الوليدِ على مَيْمَونَةَ، فجاءتْنا بإناءٍ من لَبَنٍ فَشَرِبَ رسولُ الله ﷺ وأنا على يَمِينِهِ وخالِدٌ عن شِمالِهِ فقال لي: «**الشَّرْبَةُ لَكَ**، ....

(*) **(شراب)** هو ما يُشرب من المائعات، وقد جمعته مع الشراب في باب.

(١٥٧) **(الحلْوَ البارد)** ولا يُشكل بأن اللبَن كان أحب إليه، لأن الكلام في الشراب الذي هو الماء أو ما فيه الماء، والمراد الماء العذب[١]، أو المنقوع فيه التمر أو الزبيب، أو الممزوج بالعسل لأنه يَصدُق على الكلِّ أنه ماء حلو، وإذا جَمع الماءُ الحلاوةَ والبرودة حَفِظ الصِّحة، ونفع القلب والكبد، ورقَّقَ الغذاء ونفذه إلى العروق، وأما المِلْح أو السَّاخن فيفعل ضد هذه الأشياء.

(١٥٨) **(ميمُونة)** أي: أم المؤمنين.

(بإناء من لبنٍ) أي: مملوء من لبن.

(الشَّربة لك) أي: هذه المرَّة من الشُّرب حقٌّ لك؛ لأنك على اليمين التي

---

(١) قال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد، ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييبه بنحو المسك، فقد كرهه مالك لما فيه من السرف، وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه، وليس في شرب الماء المالح فضيلة، وشرب الماء الحلو البارد فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق وإخلاص الشكر له من غير أن يكون فيه إشعار بتكليف بخلاف المآكل، ولذا كان يستعمل أنفس الشراب، لا أنفس الطعام غالباً اهـ(ابن قاسم).

فإنْ شِئتَ آثَرْتَ بها خالِداً، فقلتُ: ما كنتُ لأوثِرَ على سُؤرِكَ أحداً، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أطْعَمَهُ اللهُ طَعاماً فَلْيقلْ: اللهمَّ بارِكْ لنا فيه، وأطْعِمْنا خَيْراً منه، ومَنْ سَقاهُ الله عز وجل لَبَناً فليقُلْ: اللهمَّ باركْ لنا فيه وزِدْنا منه». ثم قال: قال رسول الله ﷺ «**ليس شيءٌ يُجْزِي مكانَ الطَّعامِ والشَّرابِ غيرَ اللَّبَنِ**». [أخرجه أبو داود (٣٧٣٠)].

(١٥٩) عنِ ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ شَرِبَ من زَمْزَمَ وهو قائِمٌ. [أخرجه البخاري (١٥٥٦) ومسلم (٢٠٢٧)].

هي أشرف من الشمال، ومجاور لمَلَك اليمين الحاكم على مَلَك الشِّمال[1].

(**آثرتَ**) أي: قدَّمت (**بها خالداً**) لكونه أكبر منك.

(**لأُوثرَ**) أي: أقدِّم (**على سُؤْرك**) بضم المهملة وسكون الهمزة وتبدل واواً؛ ما بقي من الشراب.

(**أحداً**) لما فيه من البركة[2].

(**فليقلْ**) أي: ندباً بعد أكلِه والحمد عليه: (**اللهمّ بارِك لنا فيه**) أي: فيما ينشأُ عنه، كالتقوية على العبادة، ويقول: بارك لنا؛ وإن كان وحده، محافظةً على اللفظ الوارد.

(**وزِدنا منه**) أي: من جنسه، ولم يقل واسقِنا خيراً منه لأنه لا خير من اللبن.

(**يُجزي**) أي: يقوم ويكفي لأنه يغذِّ ويُسكِنُ العطشَ.

(**غيرَ**) بالنصبِ على الاستثناء، أو الرفع على البدل.

(**١٥٩**) (**وهو قائم**) أي: لبيانِ الجواز ففِعله ليس مكروهاً في حقِّه، بل

---

(١) ويستفاد منه تقديم الأيمن ندباً، ولو صغيراً (ابن قاسم).

(٢) قال القرطبي: وهذا قولٌ أبرز ما كان عنده من تعظيم المصطفى واغتنام بركته مع صغر سنة، وليس في كلام المصطفى أمر حتى يتحتم عليه إجابته اهـ(ابن قاسم).

(١٦٠) عن عبدِ الله بنِ عمرٍو، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَشْرَبُ قائِماً وقاعِداً. [أخرجه المصنف في السنن (١٨٨٤)].

(١٦١) عنِ النَّزَّالِ بنِ سَبْرَةَ قال: أُتِيَ عليٌّ رضي الله عنه بِكُوزٍ مِن ماءٍ وهو في الرَّحَبَةِ، فأخذَ منه كَفًّا فَغَسلَ يَدَيْهِ ومَضْمَضَ واسْتَنشقَ ومَسحَ وجْهَهُ وذِراعَيْهِ ورأسَهُ، ثم شَرِبَ منه وهو قائِم، ثم قال: هذا وُضُوءُ مَنْ لم يُحْدِثْ، هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ. [أخرجه البخاري (٥٢٩٣)].

في حقِّ غيره لما فيه من الضرر[1]، ويندفع الضرر بقوله: اللهم صل على سيدنا محمد الذي شرب الماء قائماً وقاعداً.

(١٦٠) **(رأيتُ)** أي: أبصرتُ، و**(رسولَ)** مفعول، وجملة **(يشربُ)** حال، و**(قائماً وقاعداً)** حالان من فاعل يشرب، والمراد أنه رآه تارةً يشرب قائماً، وتارةً يشرب قاعداً.

(١٦١) **(من ماء)**: أي مملوءة من ماء.

(في الرَّحَبة) بفتح الراء والحاء المهملة وتسكن، أي: رحبة الكوفة، وهي المكان المتسِع كان يَقعد فيها للحُكم أو للوعظ.

(فغسل يديه) أي: إلى كوعيْه **(ومضمض)** معطوف على أخذ، وكذلك استنشق وما بعده، والمراد بمسحِ الوجه والذراعين غسلُهما غسلاً خفيفاً، ويؤيِّده ما في بعض الروايات أنه غَسَلَ الوجه والذراعين مع ذكر الرِّجلين.

(من لم يُحدِث) أي: بل أراد التجديد.

---

(١) أخرج مسلم (٢٠٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يشربن أحدكم قائماً، فمن نسي فليستقئ».

(١٦٢) عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَتَنَفَّسُ في الإناءِ ثلاثاً إذا شَرِبَ، ويقولُ: «**هو أمْرَأُ وأَرْوَى**». [أخرجه مسلم (٢٠٢٨)].

(١٦٣) عنِ ابنِ عباسٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا شَرِبَ تَنَفَّسَ مَرَّتَيْنِ. [أخرجه المصنف في السنن (١٨٨٧)].

---

(١٦٢) (هكذا) من جملة المشار إليه الشرب قائماً، فهو السبب في إيراد الحديث في هذا الباب.

(يتنفس في الإناء) المراد أنه كان يشربُ من الإناء ثم يتنفس خارجَه ثم يشرب، وهكذا يسمي الله في أوَّل كلِّ مرة ويحمدُه في آخرها.

(أمْرَأُ) أي: أسوَغ وألَذّ، ويقال: مرؤ الطعام والشراب في بدنه ـ بضم الرَّاء وكسرها ـ إذا خالطه بسهولة ولذّة، ومنه: **(فكلوه هنيئاً)** أي: في عاقبته ـ **(مريئاً)** أي: في مذاقه.

(وأروى) من الرِّي بكسر الراء، أي: أشدُّ رِيّاً وأبلغُه، فهو أسلم من الشرب في دفعةٍ، لأنه ربَّما أطفأ الحرارةَ الغريزية فيفسِد المعِدَة والكبد، وقد ورد: «**لا تشربوا واحداً كشُربِ البعيرِ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسمُّوا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم**»[1].

(١٦٣) (مرَّتين) أي: في بعض الأوقات، فلا ينافي أنه كان يتنفس ثلاثاً في بعض آخر[2].

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (١٨٨٥) وفي مسند الفردوس عن علي ﷺ مرفوعاً: (إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً، ولا تشربوه عباً، فإن العب يورث الكُبَاد) والكُبّاد بضم الكاف وتشديد الباء: وجع الكبد.

(٢) ويحتمل أن يراد به التنفس في الإناء، وسكت عن النفس الأخير لأنه من ضرورة الواقع في الختم، وفي كلام الحافظ العراقي ما يشير إلى حصول أصل السنة بالتنفس مرتين، وأن كمالها إنما يكون بثلاث وإن كفى ما دونهما (ابن قاسم).

(١٦٤) عن كَبْشَةَ قالتْ: دخلَ عليَّ النبيُّ ﷺ فشرِبَ من في قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِماً، فَقُمْتُ إلى فيها فَقَطَعْتُهُ. [أخرجه المصنف في السنن (١٨٩٣)].

---

(١٦٤) **(دخل عَليّ)** أي: في بيتي **(فشربَ من في)** أي: فمِ **(قِرْبَة)** لبيان الجواز أو للضرورة، فلا ينافي ما ورد من نهيه عن ذلك[١] لبيان الأفضل.

(فقطعْتُه) أي: لصيانته عن الابتذال بشرب كلِّ أحدٍ منه، وللتبرك والاستشفاء به[٢].

---

(١) أخرج البخاري (٥٦٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُشرب من في السقاء أو القربة.

(٢) ومثله تبرك الصحابة بسؤر النبي ﷺ:

روى الشيخان عن سهل بن سعد رضي الله عنه: (أُتي النبيُّ ﷺ بشرابٍ، فشرب وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال النبي ﷺ للغلام: «أتأذن لي أن أعطيَ هؤلاء؟» فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحداً، فتله ـ أعطاه ـ رسول الله ﷺ في يده ـ أي: فشرب الغلام ـ وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

باب ما جاء في تعطُّرِ رسول الله ﷺ (*)

(١٦٥) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان لِرَسولِ الله ﷺ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ منها. [أخرجه أبو داود (٤١٦٢)].

(١٦٦) وعنه أنَّ النبيَّ ﷺ كان لا يَرُدُّ الطِّيبَ. [أخرجه البخاري (٥٥٨٥)].

(*) **(في تعطُّر رسول الله)** أي: استعماله العِطْرَ وهو الطِّيب، وقد كان طيِّب الرائحة وإن لم يمسَّ طيباً[1]، لكنه كان يحبُّ الزيادة منه.

(١٦٥) **(سُكَّة)** بضم السين المهملة، وهي طيبٌ مجموعٌ من أخلاطٍ، وقيل: وِعاء يوضع فيه الطيب.

(١٦٦) **(لا يردُّ الطِّيب)** أي: لخفة المِنَّة فيه.

---

(١) وفي صحيح مسلم (٢٣٣١) أنه ﷺ نام عند أم سليم فعرق، فسلتت عرقه في قارورتها، فاستيقظ، فقال: ما هذا الذي تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: هذا عرقك نجعله لطيبنا، وهو أطيب الطيب.

وروى الطبري والبيهقي عن وائل رضي الله عنه قال: (لقد كنت أصافح رسول الله ﷺ أو يمس جلدي جلده، فأتعرّفه بعدُ في يدي وإنه لأطيب رائحةً من المسك).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت كفُّ رسول الله ألين من الحرير، وكأن كفه كف عطار مسها بطيب أو لم يمسها، يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصغير فيُعرف من بين الصبيان بريحها).

رواه أبو نعيم والبيهقي.

(١٦٧) عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ثلاثٌ لا تُرَدُّ الوَسائِدُ، والدُّهْنُ واللَّبَنُ**». [أخرجه المصنف في السنن (٢٧٩١)].

(١٦٨) عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**طيبُ الرِّجالِ ما ظَهَرَ رِيحُهُ وخَفِيَ لونُهُ، وطِيبُ النِّساءِ ما ظهرَ لونُهُ وخَفِيَ رِيحُهُ**». [أخرجه أبو داود (٢١٧٤)].

(١٦٩) عنِ أبي عثمانَ النَّهْدِيّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أُعْطِيَ أَحَدُكُم الرِّيْحان** ....

---

(١٦٧) (**الوسائد**) جمع وِسادة وهي المِخَدة.

(**والدهن**) المراد به ما فيه طِيب.

(**واللبن**) وفي نسخة: (**والطيب**) ويلحق بها كل ما لا مِنَّة فيه، وقد نظمها السيوطيُّ في قوله:

عنِ المصطَفَى سبْعٌ يُسنُّ قَبولُها ... إذا ما بها قَد أتحَفَ المرءَ خِلَّانُ

فحلوٌ وألبانٌ ودُهْنٌ وِسادةٌ ... ورِزْقٌ لمحتَاجٍ وِطِيبٌ ورَيحانُ

(١٦٨) (**ما ظهَرَ ريحُه**) كالمسك والعنبرِ وماء الورد.

(**وخفي ريحُه**) كالزعفران والصَّندَل[1].

(١٦٩) (**النَّهدِيِّ**) نسبة إلى بني نهدٍ قبيلةٍ من اليمن، واسمه عبد الرحمن، أسلم في عهد النبي ﷺ ولم يجتمع به، وإنما سمِع من بعضِ الصحابة، فالحديث مرسل.

(**الرَّيحان**) كل نبت طَيِّب الريح، فيشمل الوردَ والفاغِيةَ وغيرهما.

---

(١) قال العلماء: هذا إنما يتعين عند خروجهن، لأن ما يظهر ريحه يجرُّ إلى الفتنة إذا خرجن، في النسائي (٥١٢٦) عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» (ابن قاسم).

فلا يَرُدَّهُ فإنَّه خرجَ مِنَ الجَنَّةِ». [أخرجه أبو داود (٥٠١)].

(فلا يَرُدَّه) بفتح الدال على أن «لا» ناهية نصّاً.

(خرج من الجنة) أي: يشبه ريحانَ الجنة في الجملة فكأنه خرَجَ منها، أو أن أصلَه خرجَ مِنها وسُلِبت خواصُّه التي منها عدمُ التغير وانقطاعِ الريح(١).

---

(١) وفي صحيح مسلم (٢٢٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عُرِض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح» قال الإمام النووي: وأما الريحان فقال أهل اللغة وغريب الحديث في تفسير هذا الحديث: هو كل نبت مشموم طيب الريح.

قال القاضي عياض بعد حكاية ما ذكرناه: يحتمل عندي أن يكون المراد به في هذا الحديث: الطيب كله.

وقد وقع في رواية أبي داود في هذا الحديث: مَن عُرض عليه طيب.

وفي صحيح البخاري كان النبي ﷺ «لا يرد الطيب» والله أعلم اهـ. شرح مسلم للنووي.

باب ما جاء في كيفيةِ كلامِ رسولِ الله ﷺ

(١٧٠) عن عائشةَ قالتْ: ما كان رسولُ الله ﷺ يَسْرُدُ كَسَرْدِكُمْ هذا، ولكنْ كان يَتكلَّمُ بِكلامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ من جَلَسَ إليهِ. [أخرجه المصنف في السنن (٣٦٤٣)].

(١٧١) عن أنسِ بنِ مالِكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعِيدُ الكَلِمَةَ ثلاثاً لِتُعْقَلَ عنه. [أخرجه البخاري (٩١)].

---

(١٧٠) **(يَسرُدُ)** أي: يأتي بالكلام على الولاء ويستعجل فيه.

(بيّن) أي: ظاهر.

(فَصْلٍ) أي: مفصول عن بعضه بحيث يتبينُه من يسمعه، وهذا أدعى لحفظه.

(١٧١) **(يعيد الكلمة)** المراد بها ما يشمل الكلام.

(ثلاثاً) معمولٌ لمحذوف، أي: يتكلم بها ثلاثاً لا ليعيد، وإلا لكان التكلّم أربعاً، والمراد أنه يكرِّر إن احتاج المقام التكرار لصعوبةِ المعنى أو كثرةِ السامعين، بدليل قوله: **(لتُعقَل)** أي: تفهم **(عنه)** لا دائماً، فإن التكرار من غير حاجة ليس من البلاغة[١].

---

(١) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: (كان ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه) ولذلك كانت الألباب تنقاد لكلامه، والأفئدة تنجذب لعبارته، فألف الله به بين شتات الأمم، وجمع به بين العرب والعجم، وكانوا عند سماعه كأنما على رؤوسهم الطير؛ فكان إذا أمر تبادروا أمره، ولا يعرف التردد إليهم سبيلاً.
وهاك مثلاً من آلاف الأمثلة:

=

(١٧٢) عن الحَسَنِ بن عليٍّ قال: سألْتُ خالِيَ هِنْدَ بنَ أبي هالَةَ وكان وصَّافاً، فقلتُ: صِفْ لي مَنْطِقَ رسولِ الله ﷺ، قال: كان رسولُ الله ﷺ مُتواصِلَ الأحْزَانِ، دائِمَ الفِكْرَةِ، ليْسَتْ له راحَةٌ، طَويلَ السَّكْتِ، لا يَتكلَّمُ في غيرِ حاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الكَلامَ ويَخْتِمُهُ باسْمِ اللهِ

(١٧٢) **(وكان وصَّافاً)** أي: كثيرَ الوصف للنبي ﷺ **(صِفْ لي منطِقَ رسولِ الله)** أي: وشيئاً من أوصافِه كما يدلُّ عليه الجواب.

(متواصِلَ الأحزان) أي: لشدَّة خوفه من الله، وفي الحديث: «**إني لأعلمُكم بالله، وأشدُّكم له خشية**»[1]. وقد قيل:

على قَدْرِ علم المرْءِ يَعظُمُ خَوفُهُ فلا عَالِمَ إلا مِنَ اللهِ خائفُ

وإنما كان يكثر التبسُّم في وجوه الناس تأليفاً لهم واستعطافاً، وليس المراد الحزن على فوات مطلوب أو حصول مكروه.

(دائمَ الفِكْرة) أي: في مصالح العباد وأحوال المعاد، ويلزمه عدم الراحة وطولُ **(السَكْت)** بفتح أوله وسكون ثانيه، أي: الصمت.

(في غير حاجةٍ) أي: لنفسه أو للناس.

(باسم الله) المراد به بالنسبة للافتتاح البسملةُ، وبالنسبة للاختتامِ الحمدلةُ، وفي نسخة صحيحة: بأشداقه، بدل: باسم الله، والمراد بالجمع ما

قال أبو جحيفة: أكلتُ ثريدةَ بُرٍ بلحم وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ؛ فقال ﷺ: «اكفف أو احبس عليك جشاءك أبا جحيفة، فإنّ أكثر الناسِ شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة» قال راوي الحديث: فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا، كان إذا تعشى لا يتغدى؛ وإذا تغدى لا يتعشى.

رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢٣٥٦) بلفظ: «فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

تعالى، ويتكلَّم بِجَوامِعِ الكَلِمِ كلامُهُ فَصْلٌ، لا فُضولٌ ولا تقْصيرٌ، ليس بالجافِي ولا المُهِينِ، يُعَظِّمُ النَّعْمَةَ وإن دَقَّتْ، لا يَذُمُّ منها شيئاً، غيرَ أنَّه لم يكن يذُمُّ ذَوَاقاً ولا يَمْدَحُهُ، ولا تُغْضِبُهُ الدنْيا ولا ما كانَ لها، فإذا تُعُدِّيَ الحَقُّ ....

فوق الواحد، والمعنى أنه كان يستعمل جميع فمِه للتكلّم، ولا يقتصر على تحريك شفتيه كما يفعل المتكبرون.

(**بجوامِعِ الكَلِم**) أي: بالكلمات القليلة الجامعة لمعانٍ كثيرة.

(**فَصْل**) أي: فاصلٌ بين الحق والباطل، أو مفصول بعضُه عن بعض، أو بمعنى وسطٍ بين الإفراط والتفريط، فيكون ما بعده كالتفسير له، فليس فيه فضول، أي: زيادة عن المقصود، ولا تقصير، أي: نقصانٌ عنه.

(**ليس بالجافي**) أي: الغليظ الطبع السيء الخُلُق، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

(**ولا المُهين**) بضمِّ الميم، أي: لا يُهينُ أصحابه، وبفتحها أي: ليس مُهاناً، بل مُهاباً تخضَعُ له عظماء الملوك.

(**يعظِّم النِّعْمَة**) أي: بحمد المنعم عليها وصَرْفِها في مرضاته.

(**وإن دقَّت**) أي: قلَّتْ.

(**لم يكن يَذمُّ ذواقاً**) أي: مذوقاً؛ ذكره مع دخوله في قوله: (**لا يذم منها شيئاً**) توطئةً لقوله: (**ولا يمدحُه**) لأن مدحه يشعِر بالشَّرَه.

(**ولا تغضِبُه الدَّنيا**) أي: لعدم نظره إليها.

(**ولا ما كان لها**) يرجع إليه ما قبلَه، إذ إغضاب الدنيا ليس إلا إغضاب ما كان لها.

(**تُعُدِّي**) بالبناء للمجهول، و(**الحق**) نائب فاعل، أي: إذا تجاوز إنسان

لم يَقُمْ لِغَضَبِهِ شيءٌ حتى يَنْتَصِرَ له، ولا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ ولا يَنْتَصِرُ لها، إذا أشارَ أشارَ بِكَفِّهِ كُلِّها، وإذا تعجَّب قَلَبها، وإذا تَحدَّثَ اتَّصَلَ بها وضَرَبَ بِراحَتِهِ اليُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ اليُسْرَى، وإذا غَضِبَ أعْرَضَ . . . . .

الحقَّ (**لم يقُم لغضبه**) أي: لدفعِ غضبه (**شيءٌ**) كهديةٍ (**حتى ينتصر له**) أي: للحق.

(**ولا يغضبُ لنفسِه**) بل يعفو عمن ظلمَه، وقد أشرت إلى مكارم الأخلاق التي في آية: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعرَاف: ١٩٩] بقولي:

خُذِ العَفْوَ عن جاهلٍ قَدْ بَغَىَ عليكَ تَفُزْ بالمقام الأمِينْ
وبالعُرْفِ فأمُرْ وكُنْ محسِناً وواصِلْ وأعرِضْ عنِ الجاهِلينْ

وقد بيَّنا جملةً من مكارمِ الأخلاق الموْصِلَة إلى الكريم الخلَّاق في كتابنا: تحفةُ العصرِ الجديد، فعليك به إن أردتَ المزيدَ.

(**إذا أشار**) أي: إلى شيء.

(**أشارَ بكفِّه**) لقصدِ الإفهامِ لأنَّ الإشارة ببعضِ الأصابع شأن المتكبرين.

(**قَلَبَها**) أي: لإعلام الحاضرين بتعجُّبه.

(**تحدَّث**) أي: تكلَّم.

(**اتَّصَل**) أي: حديثه المفهوم مِن تحدَّث.

(**بها**) أي: بكفِّه اليمنى بإشارة تؤيده.

(**وضَرَب. . .إلخ**) أي: للاعتناء بذلك الحديث، ولدفع ما يعرِض للنفوس من الفتُور، ونظيره ما اعتيد من تحريك الرأس أو البدن عن القراءة أو الذكر (**وإذا غَضِب**) أي: من أحدٍ (**أعرَضَ**) عما يقتضيه الغضبُ وعَدلَ

وأشاحَ، وإذا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ عن مِثْلِ حَبِّ الغَمامِ. [أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٨٦)].

عنه إلى الحِلْمِ، **(وأشاحَ)** أي: بالغَ في الإعراض وعَفَا، **(وإذا فَرِح)** أي: من شيء **(غضَّ طرْفَه)** أي: بصره عنه ولا ينظر إليه نَظَر شَرهٍ لأنَّ الفرَحَ لا يستخِفَّه. **(جُلّ)** أي: مُعظمُ، **(يَفْتَرُّ)** بسكون الفاء، أي: يضحك ضِحْكاً حَسَناً كاشفاً. **(عن)** سِنٍّ **(مِثْلِ حبِّ الغَمام)** أي: السحاب، وهو البَرَد ـ بفتحتين ـ الذي يشبه اللؤلؤ[1].

---

(١) سيأتي في الباب القادم وصف ضحك رسول الله ﷺ أما عن الضحك بشكل عام فأورد نصاً موجزاً من كتاب سيدنا محمد رسول الله للشيخ عبد الله سراج الدين:

سئل ابن عمر رضي الله عنهما: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ فقال: نعم، وإن الإيمان في قلوبهم أمثال الجبال، وربما قال: وإن الإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال.

وأما الضحك المنهي عنه شرعاً: فهو ما كان من باب السخرية بالناس، وانتقاصهم، أو فيه انتهاك لحرمات الدين أو المسلمين، أو ما كان كثيراً، فإن كثرة الضحك تميت القلب الروحاني الإيماني، لما تفضي إليه من الغفلة المورثة لقسوة القلب، وتميت القلب الجسماني لأن كثرة الضحك تضعف القلب بسبب كثرة خفقانه، فيؤدي ذلك إلى موته.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: كثرة الضحك والفرح بالدنيا سُمٌّ قاتل يسري إلى العروق، فيُخرِجُ من القلب الخوف والحزن. اهـ.

باب ما جاء في ضحكِ رسول الله ﷺ(*)

(١٧٣) عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال: كان في ساقِ رسولِ الله ﷺ حُموشَةٌ، وكان لا يَضْحكُ إلا تَبسُّماً، وكنتُ إذا نَظرتُ إليه قلتُ: أَكْحَلُ العَيْنينِ وليس بأكْحَل. [أخرجه المصنف في السنن (٣٦٤)].

(*) (ضِحْك) ضبط في الأصول المعتمدة بكسر فسكون، وإن جاز فيه اللغاتُ الأربع التي في نحو: فَخِذ، من كلِّ ما كان عينه حرفاً حَلْقيًّا، وهي فتح أوله، وكسره مع سكون ثانيه، وكسرُ أوله وثانيه، وفتح أوله وكسر ثانيه.

(١٧٣) (ساقِ) مفرد مضاف يَعمُّ الساقين، وفي نسخة: (ساقَي) بصيغة التثنية.

(حُموشة) بضم الحاء المهملة، أي: دِقَّة، وهي مما يتمدح به.

(إلا تبسُّماً) هذا الحصر يحمل على الغالب، والتبسم من الضَّحِك بمنزلة السِّنَةِ من النوم. وقوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ [النمل: ١٩] أي: شارِعاً في الضَّحِك الذي هو انبساط الوجه حتى تبدو الأسنان، فإن كان بصَوتٍ يُسمع من بعيد فهو القهقهة، ولم يكن ضَحِك النبي ﷺ بقهقهةٍ.

(وكنتُ) وفي نسخ: فكنتُ، ويصِحُّ في الأفعال الثلاثة ضمُّ التاء على صيغة التكلُّم، وفتحُها على صيغةِ الخطاب.

(أكحل) أي: هو أكحل (العينين) أي: مُكحَّلُهُمَا (وليس بأكحل) أي: كُحْلاً جعليّاً، فلا ينافي أنه كان أكحل كُحْلاً خَلْقيّاً فيَظُنّ الرائي أنه مكتحِل.

(١٧٤) عن عبدِ الله بنِ الحارِثِ بنِ جَزْءٍ قال: ما رأيتُ أحداً أكثَرَ تَبَسُّماً مِن رسولِ الله ﷺ. [أخرجه المصنف في السنن (٣٦٤٥)].

(١٧٥) عن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي لأَعْلَم أوَّلَ رَجُلٍ يدخُلُ الجَنَّةَ، وآخِرَ رجلٍ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ، يُؤْتَى بالرَّجلِ يومَ القِيامَةِ فيقالُ: اعْرِضُوا عليهِ صغارَ ذُنُوبِه، ويُخْبأ عنه كِبارُها، فيقالُ له: عَمِلتَ يومَ كذَا كذَا وكذَا، وهو مُقِرٌّ لا يُنْكرُ وهو مُشْفِقٌ مِن كِبارِها، فيقالُ: أعْطُوهُ مكانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلها حَسنةً فيقولُ: إنَّ لي ذُنوباً لا أراها ههنا**».

---

(١٧٤) (**أكثَرَ تبسُّماً**) أي: إظهاراً للانبساطِ والبشرِ لمن يُريد تألُّفه، مع كونه متواصلَ الأحزان الناشئةِ عن الخوف من الله باطناً.

(١٧٥) (**لأعلمُ**) أي: بالوحْي.

(**أولَ رجُلٍ**) يعني نفسَه.

(**آخِرَ رَجُلٍ**) اسمه جُهينةُ كان عشَّاراً[1] من بني إسرائيل.

(**يؤتى بالرَّجل**) كلام مستأنف لبيان حال رجل آخر، وفي بعض الروايات: ويؤتى بالرجل... إلخ.

(**فيقال**) أي: فيقول الله للملائكة: (**اعرضوا**) بهمزة وصل، أي: أظهروا له في صحيفته (**صغارَ ذنوبه**) أي: صغائِرَها، (**كذا وكذا**) كنايةً عن عددِ الذنوب.

(**وهو مشفقٌ**) أي: خائف.

(**مكانَ**) أي: بدل، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

(**لا أراها ههنا**) سألَ عنها بعدَ أن كان مشفِقاً منها رجاءَ أن تقابَل أيضاً، ومن ذلك قول البُوصيري:

---

(١) أي: يأخذ العشور وهي: الضرائب.

قال: فَلَقَدْ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ. [أخرجه مسلم (١٩٠)].

(١٧٦) عن جريرِ بنِ عبدِ الله قال: ما حَجَبَنِي رسولُ الله ﷺ مُنْذُ أسلَمتُ، ولا رآني إلا تَبَسَّمَ. [أخرجه البخاري (٢٨٧١) ومسلم (٢٤٧٥)].

(١٧٧) عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي لأعْرِفُ آخِرَ أهلِ النَّارِ خُروجاً رجُلٌ يخرجُ منها زَحْفاً، فيقالُ له: انْطَلِقْ**

لعَلَّ رحمةَ ربِّي حِينَ يقسِمُهَا تأتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيَانِ في القِسَمِ

(**ضَحِكَ**) أي: تعجباً من الرَّجل.

(**نواجذُه**) أي: أقصى أضراسِه، أو أضراسه كلها، وهو محمول على المبالغة[١].

(١٧٦) (**ما حجبني**) أي: ما منعني من الدخول عليه في بيته مع خواصِّه.

(**إلا تبسَّم**) لأنه كان ينسَرُّ برؤيته لكونه كان مظهرَ الجمال والكمال، حتى قال عمر في حقه: إنه يوسُفُ هذه الأمة.

(١٧٧) (**خروجاً**) أي: من النار، كما في نسخة.

(**زَحفاً**) أي: مشياً على استِه[٢].

(**فيقال له**) أي: من قبل الله: (**انطلق**) أي: اذهب.

---

(١) محصول مجموع الأخبار ـ كما في ابن حجر وغيره ـ أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه الإكثار منه والإفراط فيه، لإذهابه الوقار، والذي ينبغي أن يقتدى به من أفعاله ما واظب عليه (ابن قاسم).

(٢) أي: مقعدته، قال المناوي: وإنما فعل ذلك لضعفه بعذاب النار، أو توارياً من ملائكة العذاب ليهرب اهـ.

فادْخُلِ الجَنَّةَ، فيذهَبُ لِيَدْخُلَ فَيَجِدُ الناسَ قَد أخذُوا المَنازِلَ، فيرجِعُ فيقول: يا ربِّ قد أخذَ الناسُ المَنازِلَ، فيقال له: أتَذْكُرُ الزَّمانَ الذي كنتَ فيه؟ فيقولُ: نَعَم، فيقالُ له: تَمنَّ، فيتمَنَّى، فيقالُ له: فإنَّ لَك الذي تَمَنَّيْتَ وعشرةَ أضْعافِ الدُّنْيا، فيقولُ: أتَسْخَرُ بي وأنت الملِكُ». قال: فلقَد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحك حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ. [أخرجه البخاري (٦٢٠٢) ومسلم (١٨٦)].

(١٧٨) عن عليِّ بنِ ربيعةَ قال: شَهِدتُّ عَليّاً رضي الله عنه أُتِيَ بدابَّةٍ لِيَرْكبَها، فلما وَضَع رِجلَهُ في الرِّكابِ، قال: بسم الله، فلمَّا اسْتَوى على ظَهرِها قال: الحمدُ لله، ثم قال: ....

(يارب) وفي نسخة **(ربِّ)** بحذف ياء النداء.

(فيقال له) أي: من قبل الله: **(أتذكر)** أي: أتتذكر **(الزمان الذي كنتَ فيه)** أي: في دار الدنيا الضيِّقة بحيث إذا امتلأتْ بساكنيها لم يكن للقادِم فيها منزل، فتقيسَ عليه الزمنَ الذي أنت فيه.

(تمنَّ) أي: اطلب ما تقدِّره في نفسك، فإن كلَّ ما تمنيته متيسِّر في هذه الدار.

(أضعاف) أي: أمثال.

(الدُّنيا) قال بعضهم: والمضاعفة ليست بالمساحة والمقدار بل بالقيمة، وقال بعضهم: لا مانع من المضاعفة بالمساحة والمقدار.

(أتسخَرُ بي) جرى على عادته في مخاطبة المخلوق، لما ناله من الدَّهشة عند رؤية ما لم يكن يخطر له على بال من واسِع فضل المنعم المِفْضَال.

(١٧٨) **(شهدتُّ عليّاً)** أي: حضَرْته.

(بسم الله) أي: أركبُ.

(ثم قال) أي: شكراً لله على نعمةِ تذليل الدابةِ له.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزّخرُف: ١٣-١٤]، ثم قال: الحمدُ لله؛ ثلاثاً، واللهُ أكبرُ ثلاثاً، سبحانَكَ إنِّي ظلمتُ نَفْسي، فاغْفر لي فإنَّه لا يَغْفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ، ثم ضَحِكَ، فقلتُ: مِن أيِّ شيءٍ ضَحِكْتَ يا أميرَ المؤمنينَ؟ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ صَنَعَ كما صَنعتُ، ثم ضَحِكَ، فقلتُ: مِن أيِّ شيءٍ ضَحِكْتَ يا رسولَ الله؟ قال: «**إنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَب مِن عبدِهِ إذا قال: ربِّ**

(سبحان) أي: تنزيهاً لله[1] **(الذي سخَّر)** أي: ذلَّل **(لنا هذا)** أي: ما نركبُه.

(وما كنا له مقرنينَ) أي: مطيقين.

(وإنَّا إلى ربِّنا) أي: إلى جزائه **(لمنقلبون)** أي: راجعون في الآخرة[2].

(ظلمتُ نفسي) أي: بالتقصير في حقِّ مولاي[3].

(كما صنعتُ) أي: قولاً وفعلاً.

(لَيَعجبُ) أي: ليرضَى.

---

(١) لما كان تسخير المركوب أثراً من آثار قدرته الباهرة التي انفرد بها جل وعلا ولا شريك له فيها ناسب ذكر التسبيح المقتضي لتنزيهه تعالى عن الشريك (ابن قاسم).

(٢) كأن وجه مناسبة هذا لما قبله التحذير من الاغترار بنعمة الاستعلاء الحسي، لأن الموت هاذم اللذات فيحمله ذلك على التواضع لله ولعباده، ويحتمل أن وجه المناسبة أن السير من مكان إلى مكان يذكر بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة، ومن هذا النعيم إلى ذلك النعيم (ابن قاسم).

(٣) واعترافه ﷺ بالظلم لنفسه، إما لإظهار ذلة العبودية وعظمة الربوبية، وإما للتشريع، فإنه ﷺ القدوة، وإما مِن تركِ الأولى، وإما لترقيه في درجات المقربين، فإنه في الترقي دائماً فيرى ما كان فيه بالنسبة لما بعده كالذنب، حسنات الأبرار سيئات المقربين (ابن قاسم).

اغفرْ لي ذُنُوبي، يَعْلَمُ أنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُنوبَ أحدٌ غيرُهُ». [أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)].

(١٧٩) عن عامِرِ بنِ سعدٍ قال: قال سعدٌ: لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ ضَحِكَ يومَ الخَنْدَقِ حتى بدتْ نَواجِذُه. قال: قلتُ: كيفَ كان ضَحِكُه؟ قال: كان رجلٌ معه تُرْسٌ وكان سَعدٌ رَامِياً، وكان الرجُلُ يقولُ كَذَا وكَذَا بالتُّرْسِ، يغطِّي جَبْهَتَهُ، ....

(يعلم) أي: حال كونه يعلم، فسببُ ضحِك النبيِّ ﷺ فرحُه برضاه تعالى عن عبدِه المعترف بأنه لا يغفِر الذنوب إلا هو.

(١٧٩) (سعد) أي: ابن أبي وقاص.

(يوم الخندق) أي: يوم غزوة الخندق.

(قال) أي: عامر: **(قُلت)** أي: لسعد.

(كيفَ كان ضَحِكه) أي: لأي سبب.

(قال) أي: سعد: **(كان رجلٌ)** أي: من الكفار **(معه ترسٌ)** اسم لما يُستتر به حال الحرب.

(وكان سعد رامياً) فيه التفات؛ لأن مقتضى الظاهر أن يقول: وكنت رامياً، وكذا فيما بعده، ويحتمل أنه من كلام عامر.

(وكان الرجل يقول) أي: يفعل.

(كذا وكذا) كناية عن الإشارة يميناً وشمالاً.

(بالتُّرس) متعلق بـ: «يقول» الذي هو بمعنى يفعل، فإن العرب تقول: قال بيده أي: أخذ، وقال بالترس أي: أشار وهكذا، ويحتمل إبقاء القول على حقيقته، وكنى عنه بقوله: كذا وكذا، أي: كلاماً لا يليق بالنبي ﷺ وأصحابه، ولقبحه لم يصرح به، و«بالتُّرس» متعلق بـ: «يغطِّي» بعده.

فَنَزَعَ له سعدٌ بِسهمٍ، فلما رفعَ رأسَهُ رَماهُ، فلم يُخطِئْ هذه منْه ـ يعني جَبْهَتَهُ ـ وانقلبَ الرجلُ وشالَ بِرِجْلِهِ، فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ. قال: قلتُ: مِنْ أيِّ شيءٍ ضَحِكَ؟ قال مِن فِعْلِهِ بالرَّجُلِ.
[أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٨٦)].

(**بسهم**) الباء زائدة لأن المراد نزع لأجله سهماً من كنانته ووضعه في الوَتَر.

(**يعني جبهته**) من كلام عامر.

(**وشال برجله**) أي: رفعها.

(**قال**) أي: عامر (**قلت**) أي: لسعد: (**من أي شيء**) أي: من أجل أي سبب (**ضحك**)، هل من رمي الرجل وإصابته، أو من رفعه لرِجله؟ (**قال**) أي: سعد: (**من فِعله بالرجل**) أي: من إصابته وإخماد نار الكفر.

باب ما جاء في صفةِ مِزاحِ رسولِ الله ﷺ(*)

(١٨٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «**يا ذا الأُذُنَيْنِ**» [أخرجه أبو داود (٥٠٠٢)].

(١٨١) وعنه قال: إنْ كان رسولُ الله ﷺ لَيُخالِطُنا حتى يقولَ لأخٍ لي صَغيرٍ: «**يا أبا عُمَير ما فعلَ النُّغَير**». [أخرجه البخاري (٥٧٧٨) ومسلم (٢١٥٠)].

(*) **(مِزاح رسول الله)** بكسر الميم، أي: انبساطه مع الغير لأنه كان عظيم الهيبة، فلو لم يمازح الناس لما أطاقوا الاجتماع به والتلقي عنه(١).

(١٨٠) **(ياذا الأذنين)** أي: يا صاحب الأذنين الواعيتين؛ مازحه بذلك، وهو صفة مدح.

(١٨١) **(إن كان)** أي: إنّه كان، فإنْ مخففة من الثقيلة.

(ليخالطنا) أي: يمازِحنا، والمراد بالضمير البارز أنس وأهلُ بيته.

(حتى يقول) غاية في قوله: ليخالطنا، فإن أخاه الصغير(٢) كان له طائر كالعصفور يلعب به يقال له: نُغَر بضم النون وفتح الغين المعجمة، فمات فحزن عليه، فمازحه النبي ﷺ بقوله: **(يا أبا عمير)** كناه بذلك ملاطفة له

---

(١) قال النووي: اعلم أن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط، ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويَؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ويوجب الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان ﷺ يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتياج إليه اهـ (ابن قاسم).

(٢) من أمه، واسمه كبشة، وأبوه طلحة بن زيد بن سهل الأنصاري (ابن قاسم).

(١٨٢) عن أبي هريرةَ قال: قالُوا: يا رسولَ اللهِ، إنَّك تُداعِبُنا، فقال: «**نعم، غيرَ أنِّي لا أقولُ إلَّا حقّاً**» [أخرجه المصنف في السنن (١٩٩١)].

(١٨٣) عن أنسِ بن مالكٍ: أنَّ رجلاً اسْتَحْمَلَ رسولَ الله ﷺ، فقال: «**إنّي حامِلُكَ على ولدِ ناقةٍ**»، فقال: يا رسولَ الله ما أصْنَعُ بِوَلَدِ الناقَةِ؟ فقال: «**وهَلْ تَلِدُ الإبلَ إلا النُّوقُ**». [أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)].

(١٨٤) وعنه أنَّ رجلاً من أهْلِ البادِيَةِ كان اسْمُهُ زاهِراً، وكان يُهْدِي

ليذهب حزنه، وهو مصغَّر كالنُّغير[1].

(١٨٢) (**قالوا**) أي: الصحابة، والمراد بعضهم.

(**تداعبنا**) أي: تمازحنا، فهل هذا من خصوصياتك أو يجوز لنا، فأفهمهم بالجواب أن من يمزح ولا يقول إلا حقاً فله ذلك، ومن لا فلا، وعليه يحمل النهي الوارد عن المزاح.

(١٨٣) (**استحمل رسول الله**) أي: طلب منه أن يعطيه دابة يركبها.

(**حاملك**) أي: مريدٌ حملَك.

(**على وَلد ناقة**) باسَطه بهذا الكلامَ الذي توهم منه أن المراد بولد الناقة الصغير، ولو تدبّره لعلم أن ولد الناقة يصدقُ بالكبير أيضاً[2].

(١٨٤) (**البادية**) خِلاف الحاضرة، والنسبة إليها بدوي على غير قياس.

---

(١) قال أبو عيسى الترمذي في أصل الكتاب: وفقه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه أنه كنى غلاماً صغيراً فقال له: يا أبا عمير، وفيه أن لا بأس أن يعطى الصبي الطير ليلعب به اهـ. قال الشيخ محمد بن قاسم: وفوائد هذا الحديث تزيد على المائة، وقد أفردها ابن القاضي بجزء.

(٢) فيه مع مباسطته الإرشاد له ولغيره أنه إذا سمع قولاً أن يتأمله ولا يبادر بردِّه (ابن قاسم).

إلى النبيِّ ﷺ هَدِيَّةً من البادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ النبيُّ ﷺ إذا أرادَ أنْ يَخرُجَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**إن زاهراً بادِيَتُنا ونحنُ حاضِروهُ**» وكان ﷺ يُحِبُّهُ، وكان رجلاً دَمِيماً فأتاهُ النبيُّ ﷺ يوماً وهو يَبِيعُ مَتاعَهُ فاحْتَضَنَهُ من خَلْفِهِ وهو لا يُبْصِرُهُ، فقال: مَنْ هذا؟ أرْسِلْنِي، فالتفَتَ، فَعَرفَ النبيَّ ﷺ

(من البادية) أي: مما يوجد بها من ثمار وغيرها.

(فيجهزه) أي: يعطيه ما يتجهز به إلى أهله مما يعينه على كفايتهم.

(إذا أراد أن يخرج) أي: ويذهب إلى أهله **(باديتنا)** أي: نستفيد منه ما يستفيده الرجل من باديته.

(ونحن حاضروه) أي: نُهَيِّئُ له ما يحتاجه من الحاضرة، وهذا إرشاد للأمة إلى مقابلة الهدية بمثلها أو أحسن.

(دميماً) بالدال المهملة، أي: قبيح الصورة لكن مليح السريرة، وفي الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1].

(فأتاه النبي ﷺ) يؤخذ منه جواز دخول السوق، وحُسْن المخالطة.

(متاعه) وهو قِربة لبن وقِربة سمن.

(فاحتضنه) أي: بعد أن أتى من أمامه وفتح إحدى القربتين وأخذ منها على أصبعه، ثم قال له: أمسك القِربة، ثم فعل بالأخرى كذلك، ثم غافله وجاء من خلفِه فاحتضنه، أي: أدخله في حُضْنِه وهو ما دون الإبط إلى الكشح، وأخذ عينيه بيديه كي لا يعرفه.

(أرسلني) أي: أطلقني.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

فجعلَ لا يألُوا ما ألْصَق ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النبيِّ ﷺ حينَ عرفَهُ، فجعلَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «**مِنْ يَشْتَري هذا العبد**»، فقال: يا رسولَ الله، إذاً والله تَجِدنِي كاسِداً، فقال النبيُّ ﷺ: «**لكنْ عندَ اللهِ لَسْتَ بِكاسِدٍ**»، أو قال: «**أنتَ عندَ اللهِ غالٍ**». [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٦١)].

(١٨٥) عنِ الحسنِ قال: أتَتْ عَجُوزٌ النبيَّ ﷺ فقالت: يا

(لا يألو) أي: لا يقصر.

(ما ألصق) أي: في إلصاق **(ظهره)** تبركاً، فـ «ما» مصدرية.

(هذا العبد) أي: مثل هذا العبد في الدمامة، ويؤخذ منه جواز رفع الصوت بالعرض على البيع في السوق، وتسمية الحرِّ عبداً، ومداعبة الأعلى مع الأدنى.

(إذاً) واقعة في جواب شرط محذوف، أي: إن بعتني على فرضِ كوني عبداً، إذاً **(تجدني كاسداً)** أي: رخيصاً.

(أو قال) شك من الراوي.

(غال) بالغين المعجمة ضد كاسد[1].

(١٨٥) **(عن الحسن)** أي: البصري، لأنه المراد عند الإطلاق في اصطلاح المحدِّثين، فالحديث مرسل.

(قال) أي: الحسن ناقلاً عن أحد الصحابة.

(عجوز) أي: امرأة عجوز[2]، وأما عجوزة فلغةٌ رديئة.

---

(١) قال ابن حجر: وفيه الدخول إلى السوق، والاعتناق من خلف، وتسمية الحر عبداً، والنداء على البيع، ومدح الصديق بما يناسبه لقوله: «باديتنا»، وقوله: «أنت عند الله غال»، وقبول الهدية والمجازاة عليها، ومداعبة الأعلى للأدنى. اهـ (ابن قاسم).

(٢) قيل: إنها صفية بنت عبد المطلب، أم الزبير بن العوام، وعمة النبي ﷺ، قاله ابن حجر تبعاً لشارح (ابن قاسم).

رسولَ الله، ادْعُ اللهَ أَنْ يُدْخِلَني الجنةَ، فقال: «**يا أمَّ فُلانٍ: إن الجنةَ لا يَدْخُلُها عجوزٌ**»، فولَّتْ تَبْكِي، فقال: «**أخْبروها أنَّها لا تَدْخلُها وهي عجوزٌ، إنَّ الله تعالى يقولُ:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]. [انفرد به المصنف].

(يا أم فلان) كأن الراوي نسي اسمها فكنى عنه بأم فلان.

(أنشأناهن إنشاء) أي: خلقنا نساء الجنة خلقاً جديداً.

(فجعلناهن أبكاراً) أي عذارى وإن وُطِئنَ كثيراً، فكلما أتاها الرجل وجدها بِكراً.

(عُرُباً) أي: متحببات إلى أزواجهن، جمع عَروب.

(أترابًا) أي: متساويات في السنِّ، وهو سن ثلاث وثلاثين سنة.

باب ما جاء في صفةِ كلامِ رسول الله ﷺ في الشعرِ(*)

(١٨٦) عن شُرَيحٍ الكوفيِّ قال: قيل لعائشةَ رضي الله عنها: هلْ كان رسولُ الله ﷺ يَتَمثَّلُ بشيءٍ مِنَ الشّعْرِ؟ فقالت: كان يَتَمثلُ بِشعْرِ ابنِ رَواحَةَ ويتمثلُ بقوله:

(ويَأْتِيكَ بالأخْبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ). [أخرجه المصنف في السنن (٢٨٥٢)].

(*) **(في الشعر)** وهو الكلام الموزون المقفَّى قصداً، ولم يصدر منه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]. وأما قوله:

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابن عبدِ المطَّلِبْ

فليس شعراً لأنه ليس مقصوداً، وقد تعارضت الأخبار في مدح الشِّعر وذمِّه، ويوفق بينها بأن صالحه حَسَنٌ وغيره قبيح، فهو كالكلام.

(١٨٦) **(يتمثل)** أي: يستشهد، ويقال: تمثَّل به ضرَبه مثلاً.

(ابن رواحة) هو عبد الله الأنصاري الخزرجي من الشعراء الذابِّين عن الإسلام ككعب بن مالك وحسان.

(ويتمثل بقوله) أي: بقول الشاعر المعروف، وهو طَرَفة بن العبد بفتح الطاء المهملة والراء، فالضمير عائدٌ على غير مذكور اتكالاً على شهرة قائِله.

(من لم تزوِّدِ) أي: من لم تُعْطِهِ زاداً ليسافر ويأتي لك بها، وصدر البيت:

سَتُبدِي لك الأيَّامُ ما كنْتَ جَاهِلاً

أي: ستظهر لك الأيام ـ أي: أهلُها ـ الأمر الذي كنت جاهله.

(١٨٧) عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (إنَّ أَصْدقَ كَلمةٍ قالها الشاعرُ كَلمةُ لَبيدٍ: (ألا كُلُّ شيءٍ ما خَلا الله باطِلُ)، وكادَ أُمَيَّةُ ابنُ أبي الصَّلْتِ أن يُسْلِمَ». [أخرجه البخاري (٣٦٢٨) ومسلم (٢٢٥٦)].

(١٨٨) عن جُنْدُبِ ابنِ سُفيانَ البَجَليِّ قال: أصابَ حَجرٌ أصْبُعَ رسولِ الله ﷺ فَدَمِيَتْ فقال:

---

(١٨٧) **(إن أصدقَ... إلخ)** وفي رواية: أشعرَ **(كلمة تكلمت بها العرب)**، **(كلمة)** المراد بها الكلام.

(لَبيد) أي: ابن ربيعة العامري، ولم يقل الشعر بعد إسلامه، بل قال: يكفيني القرآن، وبقيَّة البيت:

وكُلُّ نَعِيْمٍ لا مَحَالَةَ زائِلُ

أي: كل نعيم من نعيم الدنيا آيلٌ للزوال. **(وكاد... إلخ)** أي: قَرُب من الإسلام لكونه كان ينطق في شعره بالحِكَم البديعة، لكن لم يوفَّق له.

(١٨٨) **(البَجَلي)** نسبة لبَجيلة، وهي قبيلة.

(أصابَ حجرٌ) أي: في بعض الغزوات.

(أُصْبعَ رَسول الله) أي: أصبعَ رِجْلِه، وفي أصبع وأنملة تسع لغات، وهي تثليث أولهما مع تثليث ثالثهما، والعاشرة في أصبع أُصْبُوْع كعُصْفُور، وقد نظمها العسقلاني في قوله:

وَهمْزَ أُنْمُلَةٍ ثلِّثْ وثالِثَهُ والتسعَ في أصبُع واخْتِمْ بأُصْبُوعِ

(فدَمِيَت) أي: سال دمُها، والأصبع مؤنثة وقد تذكر.

(فقال) أي: متمثِّلاً بقول الوليدِ بن الوليد، فإنه كان في صُلح الحديبية، ولما رجع إلى المدينة عثر بحرّتها فانقطعت أُصبُعه فقاله، وقيل: إنه لابن

«هَلْ أَنتِ إلَّا أُصبُعٌ دَمِيتِ وفي سَبِيلِ اللهِ ما لَقِيتِ»

[أخرجه البخاري (٢٦٤٨) ومسلم (١٧٩٦)].

(١٨٩) عنِ البَرَاءِ بنِ عازِبٍ أنَّ رجلاً قال له: أَفَرَرْتُمْ عن رسولِ الله ﷺ يا أبا عُمارَةَ؟ فقال: لا واللهِ ما وَلَّى رسولُ الله ﷺ، ولكنْ وَلَّى سَرَعانُ الناسِ، تَلقَّتْهُمْ هَوازِنُ بالنَّبْلِ، ورسولُ الله ﷺ على بَغْلَتِهِ، وأبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ آخِذٌ بِلِجامِها، ورسولُ الله ﷺ يقولُ:

أنَا النَّبيُّ لا كَذِبْ أنَا ابنُ عبدِ المُطَّلِبْ

[أخرجه البخاري (٢٧١٩) ومسلم (١٧٧٦)].

رواحة، والمقصود بذلك التسلية، خصوصاً إذا كان مالاقته في سبيل الله.

(١٨٩) **(أفررتم)** أي: يوم حُنين من الكفار.

(عن رسول) متعلق بمحذوف، أي: منكشفين عن رسول الله ﷺ.

(يا أبا عُمارة) بوزن حُذافة كنيةُ البَراء.

(ما وَلَّى... إلخ) إنما أجاب بذلك لأنه يلزم من ثباتِ رسول الله ﷺ عدم تولي أكابر أصحابه.

(سَرَعان) بفتح السين المهملة والراء وقد تسكَّن، جمع سريع، أي: أوائل **(الناس)** المسرعين إلى الشيء بدون نظرٍ إلى عواقبه.

(هوازن) قبيلةٌ مشهورة بالرمي لا يخطئ نبلهم.

(لا كذِبْ) أي: فيما أقوله من وعد الله بالنصر، وإنما انتسب إلى جده لشُهرتِه، فإن أباه عبد الله مات شاباً، وقد نصرَه الله على الكفار فهُزموا بقبضةٍ من الحصى رماها في وجوههم وهو يقول: شاهت الوجوه، أي: قُبِّحت، فما بقي منهم أحد إلا دخل الترابُ في عينيْه.

(١٩٠) عن أنسٍ بن مالكٍ أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكَّةَ في عُمرةِ القضاءِ وابنُ رَواحَةَ يُنْشِئُ بينَ يَدَيْهِ وهو يقولُ:

خلُّوا بَني الكُفَّارِ عن سَبِيلهِ اليومَ نَضرِبْكُمْ على تَنْزيلهِ

(١٩٠) **(عمرة القضاء)** أي: قضاء عمرة الحديبية التي صُدُّوا فيها عن البيت فتحللوا ورجعوا، ولما كان المُحصَر لا يجب عليه القضاء عند الشافعية، قالوا: المراد بالقضاء هنا القضيّة، أي: المقاضاة والمصالحة.

(يُنْشِئُ) أي: ينظم الشعر من نفسه، وأما ينشد[1] فهو ذِكْر شعرِ الغير، وفي نسخة: يمشي.

(خلوا بني) أي: يا بني **(الكفار عن سبيله)** أي: طريقه الذي هو سالكه، أي: أثبتوا على التَّخليةِ لأنهم خرجوا من مكةَ يؤمئذٍ إلى رؤوس الجبال وأخلَوها له.

(نضرِبْكم) بسكون الموحدة لضرورة الوزن، فهو مرفوع تقديراً.

(على تنزيله) أي: لأجل تنزيل النبي ﷺ مكة إن تعرضتم لمنعِه ونقضتم العهدَ، فلا نرجع اليوم كما رجعنا في يوم الحديبية.

---

(١) إنشاد رسول الله ﷺ الشعر لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] لأن الله عز وجل أخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له أي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلّته، ولهذا ورد أنه ﷺ لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه أو لم يتممه، وثبت في الصحيح أنه تمثل يوم حفر الخندق بأبيات ابن رواحة ولكن تبعاً لقول الصحابة رضي الله عنهم فإنهم كانوا يرتجزون ويقولون:

لا همَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا

ويرفع صوته ﷺ عندما يقولون: إن أرادوا فتنةً أبينا، يرفع صوته بقوله: أبينا يمدها، وقد روي هذا بزحافٍ في الصحيحين أيضاً.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير بتصرف.

ضرباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلهِ ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِه

فقال لهُ عمرُ:

يا ابنَ رَوَاحةَ بَيْنَ يَدَي رسولِ الله ﷺ وفي حَرَمِ الله تقولُ الشِّعْر؟

فقال ﷺ: «**خَلِّ عنه يا عُمَرُ، فلَهِيَ أسْرَعُ فيهمْ من نَضْحِ النَّبْلِ**» [أخرجه المصنف في السنن (٢٨٥١)].

(١٩١) عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ قال جالَسْتُ النبيَّ ﷺ أكْثَرَ من مائَةِ مَرَّةٍ، وكان أصحابُهُ يَتَناشَدُونَ الشِّعْرَ وَيَتَذَاكَرُونَ أشْياءَ مِنْ أمْرِ الجَاهِلِيَّةِ وهو سَاكِتٌ، وَرُبَّما تبَسَّمَ مَعَهُمْ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٨٥٤)].

(الهامَ) جمع هامةَ بالتخفيف وهي الرأس.

(عن مَقِيله) أي: محل استقراره، وهو الأعنَاق.

(ويُذْهِل) أي: يشغِل، فيكون كيومِ القيامة الذي تذهل فيه كلُّ مرضعة عما أرضَعتْ.

(بين يَدي) استفهام توبيخ بتقدير الهمزة.

(خلِّ عنه) أي: لا تَحُلْ بينه وبين ما سلكه من إنشاء الشعر.

(فلهي) أي: هذه الأبيات.

(أسرعُ) أي أشدُّ سرعة.

(من نضح النبل) أي: من رمي السهام إليهم كما قيل:

جراحات السِّنان لها التئامُ ولا يلتَامُ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

(١٩١) **(يتناشدون)** أي: يرادد بعضهم بعضاً الشعر الجائز.

(ويتذاكرون أشياء) أي: مثلَ وقائع حروبهم ومكارمهم، وكقول بعضهم: رأيتُ ثعلباً صعدَ فوق صنمي وبال على رأسه فقلت:

(١٩٢) عن الشَّرِيدِ قال: كُنتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ فَأنْشدتُهُ مِائةَ قافِيَةٍ مِن قولِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ الثَّقَفِي، كلَّما أنشدتُهُ بيتاً قال لي النبيُّ ﷺ: «**هِيهِ**» حتى أنشدتُهُ مِائةً ـ يعني: بيتاً ـ فقال النبيُّ ﷺ: «**إنْ كادَ لَيُسْلِمُ**». [أخرجه مسلم (٢٢٥٥)].

(١٩٣) عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يَضعُ لِحَسَّانَ بنِ ثابتٍ

أربٌّ يُبوْلُ الثعلبانُ برأسِهِ　　　لقد ذلَّ من بالتْ عليه الثعالبُ

فتركتُ طريقة الجاهلية، ودخلتُ في الشريعة الإسلامية.

(١٩٢) (الشَّريد) كسَعيد.

(رِدْفَ) بمعنى رديف، وهو الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.

(قافية) أي: بيت، ففيه إطلاق اسم الجزء على الكل لأن القافية آخر البيت.

(هيهِ) أصله إيهِ أُبدلت الهمزة هاءً، وهو اسم فعل بمعنى زِدْ، إذا نُوِّنَ كان نكرةً، أي: زدني من أيِّ حديث كان، وإذا لم يُنوَّن كما هنا كان معرفةً، أي: زِدني من هذا الحديث.

(يعني بيتاً) وفي نسخة: مائة بيت.

(إن كاد ليسلم) أي: إنه قرب من الإسلام لاشتمال شعرِه على التوحيد والحكم، ومن شعره:

لكَ الحمدُ والنعْمَاءُ والفَضْلُ ربَّنا　　　فَلا شَيءَ أعلَى مِنْكَ حمداً وأمجداً

(١٩٣) (لحَسَّان)[1] بالصرفِ إن كان من الحِسّ، وعدمِه إن كان من الحُسْنِ.

---

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري، ولد بالمدينة ونشأ في الجاهلية وكانت حياته على فترة امتدت على مرحلتين: الأولى: في الجاهلية والثانية: في الإسلام،

=

مِنْبَراً في المسجِدِ يقومُ عليه قائماً يُفاخِرُ عن رسولِ الله ﷺ ـ أو قالت: يُنافِحُ عن رسولِ الله ﷺ ـ ويقولُ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى يُؤَيِّدُ**

(منبراً) أي: شيئاً مرتفِعاً، من النَبْر وهو الارتفاع.

(في المسجد) أي: مسجد المدينة.

(قائماً) حال مؤكدة، أو بمعنى المصدر، أي قياماً.

(يفاخر عن رسول الله ﷺ) أي: يذكر مفاخِره ومثالبَ أعدائِه.

(أو قالت) أي: عائشة، وفي نسخة: أو قال، أي: الراوي.

(ينافِحُ) أي: يخاصِمُ ويدافع، فهذا من قبيل المجاهَدَة باللسان، ولذلك أيده الله أي: قوَّاه بمعونةِ جبريل الذي هو **(رُوح القُدُس)** بضمتين وتسكن الدال، أي: الطّهر، وهو من إضافة الموصوف للصفة، أي: الروح المقدَّسة، فأعانَه بسبعين بيتاً ألقاها في قلبه[1].

=

عاش مئة وعشرين سنة، وكان إسلامه عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فأسلم مع الأنصار، ومدح رسول الله ﷺ في شعره ودافع عنه، وذلك أن الرسول ﷺ حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها. فقال له النبي ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم» فقال: أَسُلُّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرة من العجين، فقال «اهجُهم ومعك روحُ القُدُس» فهجاهم فآلمهم وأبكمهم ووقعت كلماته منهم موقع السهام في غسق الظلام.

(١) ومن شعر حسان رضي الله عنه:

ألا أبلِغْ أبا سفيان عني ... مغلغلةً فقد برح الخفاءُ

بأنّ سيوفنا تركتك عبداً ... وعبد الدار سادتها الإماء

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولستَ له بكُفءٍ ... فشرُّكما لخيرِكما الفداء

لنا في كل يوم من مَعدٍّ ... سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاء

لساني صارمٌ لا عيبَ فيه ... وبحري لا تكدِّره الدّلاء

=

حَسَّانَ بِرُوحِ القُدُسِ ما يُنافِحُ ـ أو يُفاخِرُ ـ عن رسولِ الله ﷺ» [أخرجه أبو داود (٥٠١٥)].

(ما ينافِحُ أو يفاخِرُ) أي: مدة منافحته أو مفاخرته على طبق الشَّكِّ[١] السابق إلا أنه نشرٌ لا على ترتيب اللفِّ[٢].

فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرضِ محمدٍ منكم وِقاء

ومن شعره رضي الله عنه:

وإن امرأ يمسي ويصبح سالماً ... من الناس إلا ما جنى لسعيد

(١) قَصَد الشك بـ (ينافح أو يفاخر).

(٢) اللف والنشر: ذكر متعدد، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يرده إليه وهو نوعان: مرتَّب، وهو ما كان النشر فيه على ترتيب اللف، ومشوَّش وهو ما كان النشر فيه على خلاف اللف.

انظر «تلخيص المفتاح» (٣٦١) و«جواهر البلاغة» (٣٧٦).

باب ما جاء في كلامِ رسولِ الله ﷺ في السَّمَرِ (*)

(١٩٤) عن عائشةَ قالت: حَدَّث رسولُ الله ﷺ ذاتَ لَيلَةٍ نساءَهُ حَدِيثاً، فقالت امرأةٌ منْهُنَّ: كأنَّ الحديثَ حديثُ خُرافَة؟ فقال: «**أتَدْرُونَ ما خُرافَةُ؟ إنَّ خُرافَةَ كَان رَجُلاً من عُذْرةَ، أَسَرتْهُ الجِنُّ في الجاهِليَّةِ، فَمَكَثَ فيهم دَهْراً ثم رَدُّوهُ إلى الإنْسِ، فكان يُحدِّثُ الناسَ بما رَأى فيهم مِنَ الأعاجِيبِ، فقال الناسُ: حديثُ خُرافَةَ**». [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٥٧)].

(*) (**في السَّمَرِ**) بفتح الميم، وجوَّز بعضُهم تسكينها على أنه مصدر بمعنى المسامرة، وهي المحادثة بالليل.

(١٩٤) (**حديثاً**) أي: كلاماً عجيباً.

(**حديثُ خُرافَة**) أي: كحديثه في الاستملاح.

(**أتدرُون**) خاطبهن خطاب الذكور تعظيماً لشأنهن، فكأنهن قلن: لا، فقال: (**إن خرافة كان رجلاً من عُذْرة**) قبيلة من اليمن.

(**أسرتْهُ الجّن**) أي: اختطفته، وكانت تخطف الناس كثيراً إذ ذاك.

(**فمكثَ**) بفتح الكاف وضمها، أي: لبث (**فيهم**) أي: معهم (**دهراً**) أي: زمناً طويلاً.

(**الأعاجيب**) جمع أعجوبة، أي: الأشياء التي يُتعجب منها.

(**حديثُ خُرافة**) أي: ضربوه مثلاً لكل كلامٍ مستغرَب مستملحٍ، وغرض النبي ﷺ بمسامرة نسائِه تفريحُ قلوبهن، فهو من حُسنِ العشرة، ويحمل النهي الوارد عن الكلام بعد العشاء على ما لا يعني من الكلام الذي لا خير فيه.

حديث أمِّ زَرْعٍ (*)

(١٩٥) عن عائشةَ قالت: جَلَسَتْ إحْدَى عَشْرَةَ امْرأةً فَتعاهَدْنَ وتَعاقدنَ أن لا يَكْتُمْنَ من أخْبارِ أزْواجِهنَّ شيئاً.

قالت الأُولى: زَوْجِي لَحمُ جَمَلٍ غَثٍّ على رأسِ جبلٍ وعْرٍ، لا سهلٍ فَيُرْتَقَى ولا سَمينٍ فَيُنْتَقَلْ.

(*) **(حديث أمِّ زرع)** أي: هذا حديث أم زرع، وهو مرفوع للنبي ﷺ بدليل قوله في آخره: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»، إذ مقتضاه أنه سمع القصة وأقرَّها.

(١٩٥) **(إحدى عشرة امرأة)** أي: من بعض قرى مكة أو اليمن في زمن الجاهلية.

(فتعاهدن) أي: ألزمن أنفسهن عهداً.

(وتعاقدن) عطف تفسير.

(قالت) وفي نسخة: فقالت: **(الأولى)** أي: في التكلم.

(زوجي لَحمُ): أي كلحم **(جمل غثّ)** أي: ردِيء وهو بالجر صفة جمل، وبالرفع صفة لحم.

(وَعْرٍ) أي: صعب.

(لا سَهْلٍ) روي بالجر صفة جبل.

(ولا سمينٍ) بالجر معطوف على غثٍّ، وبالرفع خبر محذوف، أي لا هو ـ أي: الجبل ـ سهلٌ فيصعد إليه ولو للشيء التافه لسهولة الوصول، ولا هو ـ أي: اللحم ـ سمين **(فينتقل)** أي: فينقله الناس ولو بمشقَّةٍ، وروي ببنائِهما

قالت الثانيةُ: زَوْجي لا أُثِيرُ خَبَرَه، إنّي أخافُ أن لا أذَرَهُ، إن أذْكُرْهُ أذكُرُ عُجَرَهُ وبُجَرَهُ.

قالت الثالثة: زَوجي العَشَنَّقُ، إن أنْطِقْ أُطَلَّق وإن أسكتْ أعلَّق.

قالت الرابعةُ: زَوجي كَلَيلِ تِهامةَ، لا حَرٌّ ولا قرٌّ، ولا مخَافَةٌ ولا سآمةٌ.

على الفتحِ اسمُ لا التي لنفي الجنس وخبرها محذوف، أي: لا سهل فيه ولا سمين فيه، وقد وصفت زوجها بِقلّة نفعه وشَراسَةِ خُلقِهِ.

(لا أُثير) وفي رواية: **(لا أبثّ)** بالموحدة، وفي أخرى: لا أنث بالنون، أي: لا أنشر.

(إني أخاف أن لا أَذَرَه) أي: من عدم ترك الخبرِ بأنْ تذكُره فتخاف أن يطلِّقَها، ومعها منه أولاد.

(عُجَرَه وبُجَرَه) أي: عيوبه الظاهرة والباطنة، وأصل العُجَرة ما يكون في الظهر أو الرقبة كالسَّلعة[١]، والبُجَرة العقدة في البطن، وقد ذمت هذه المرأة زوجها بأبلغ عبارة.

(العشَنَّق) أي: الطويل المستكره أو السيء الخلق، ويرادفه العشنَّط بإبدال القاف طاء.

(إن أنطق) أي: بشكوى سوءِ حالي له.

(أطلّق) لسوء خلقه وعدم احتماله للكلام، ومعي منه أولاد.

(وإن أسكُتْ) صابرةً على تلك الحال **(أُعلَّق)** أي: يتركني معلقة لا أيِّماً فأتفرّغ لغيره، ولا ذاتَ بَعْلٍ نافعٍ فأنتفع به، فقد وصفته بكل العيوب.

(كَلَيل تِهامَة) وهي مكة وما حولها، أي: في كمال الاعتدال والراحة واللذاذة كما بينَتْه بقولها: **(لا حرَّ)** بالرفع فيه وفيما بعده، أي: لا ذو حَرّ

---

(١) السَّلْعة: الشجة في الرأس كائنة ما كانت أو التي تشق الجلد.

قالت الخامسةُ: زوجي إن دخلَ فَهِدَ، وإن خرجَ أسِدَ، ولا يَسأَلُ عَمَّا عَهِدَ.

قالت السادسةُ: زوجي إن أَكَلَ لَفَّ، وإن شَرِبَ اشْتَفَّ، وإن اضْطَجَعَ التفَّ، ولا يُولِجُ الكفَّ لِيَعْلَم البَثَّ.

مُفرطٍ، ولا ذو قَرّ، أي: بَرد، ولا ذو مخافة لعدم الشرِّ فيه، ولا ذو سآمة أي ملل منه، ويجوز بناء الأربعة على الفتح، وخبر لا محذوف، أي: لا حرَّ فيه... إلخ وقد بالغت في مدح زوجها.

(إن دخل) أي: البيت.

(فَهِدَ) فعل ماض أي: وثب وثوب الفَهْد لإرادة جماعها لشدة حبه لها[1].

(أَسِد) أي فَعَل فِعْلَ الأسد لشجاعته.

(ولا يَسأَلُ عما عهد) أي: عما عمله في البيت من ماله إذا فقده لتمام كرمه، فقد مدحته.

(لَفَّ) أي: أكل جميع الطعام لشرَهِه.

(اشتفَّ) أي: شرب، الشُّفافة بضم الشين المعجمة وتخفيف الفاء، وهي بقية الماء فيستقصى.

(التف) أي: في لحافه وحده.

(ولا يولجُ) أي: يُدخل **(الكفَّ)** أي: كفه داخل ثوبي.

(ليعلم البثَّ) أي الحزن الذي عندي على عدم الحظوة منه، أو ليعلم حالي عند المرض، فقد ذمته.

---

(١) أو كالفهد في كثرة نومه، أي: غفلته عن منزله، فلا يتفقد ما ذهب من ماله وأمتعَة بيته لسخاوة نفسه وكرم قلبه، أو لا يلتفت إلى ما أضاعته المرأة مما يجب عليها تعهده لحلمه، أو يتغافل عن الأمور حذراً من الشرور (ابن قاسم).

قالت السابعةُ: زوجي عَيَاياءُ أو غَياياءُ، طَبَاقَاءُ، كُلُّ داءٍ له داء، شَجَّكِ أو فَلَّكِ أو جَمَعَ كُلاً لَكِ.

قالت الثامنةُ: زوجي المَسُّ مَسُّ أرْنَبٍ، والرِيحُ ريحُ زَرْنَبٍ.

قالت التاسعةُ: زوجي رَفيعُ العِمادِ، طويلُ النِّجَادِ، . . . .

(عياياء) بالمهملة والتحتيتين بينهما ألف، وهو من الإبل الذي عييَ عن الضراب، تريد أنه عِنِّين.

(أو غياياء) بالمعجمة، أي: ذو غَيّ، وهو الضلال أو الخيبة و«أو» للشك أو للتخيير في التعبير.

(طباقاء) أي: أحمق تنطبق عليه الأمور.

(كل داء) أي: في الناس.

(له داء) فهو جامعُ العيوب والمصائب.

(شَجَّكِ) بكسر الكاف خطاب لمؤنَّث تعني نفسها، وكذا ما بعده، أي: إنْ ضَرَبَكِ جرَحَكِ في رأسك.

(أو فلَّكِ) بشد اللام المفتوحة، أي: كسرك.

(أو جمعَ كلاً) من الشجِّ والفَلِّ **(لك)**، فقد بالغت في ذمه.

(المسّ) أي: مسُّه كمَسِّ الأرنب في اللين والنعومة.

(زرنَبٍ) بالزاي أو الذال المعجمة، نوع من الطِيب، أو نوعٌ من النبات طيب الرائحة، فقد مدحَتْهُ.

(رفيع العماد) أي: بيتُه أعلى البيوت لكونِه شريفَ قومِه فيقصدُه الضيفان.

(طويل النِّجَاد) أي: حمائل السيف، فهو طويل القامة وصاحب سيف، فأشارت إلى شجاعته.

عظيمُ الرَّمادِ قريبُ البيتِ من النَّادِ.

قالت العاشرةُ: زوجي مالِكٌ، وما مالِكٌ؟ مالِكٌ خيرٌ من ذلِك له إبلٌ كَثيراتُ المبارِكِ، قليلاتُ المسارحِ، إذا سَمِعْنَ صَوْتَ المِزْهَرِ أيقنَّ أنهنَّ هَوالِكُ.

قالت الحاديةَ عشْرةَ: زوجي أبو زَرْعٍ، وما أبو زرعٍ؟ ....

(عظيم الرماد) أي: كريم، لأن كثرة الرَّماد مستلزمة لكثرة الطبخ، المسلتزمةِ لكثرة الأضياف.

(قريبُ البيتِ من النَّادِ) أي: النادي، وحُذفت ياؤه للسجع، وهو مجلس القومِ فإذا اشتوَروا على أمرٍ اعتمدوا على رأيِه وامتثلوا أمرَه، فقد مدحْته بأحسَنِ مدحٍ.

(مالِكٌ) أي: اسمه مالك.

(وما مالك؟) استفهام تعظيم، فكأنها قالت: مالِكٌ شيء عظيم، وكذا يقال في مثله: **(خير من ذلك)** أي: خير مما أشير إليه من ثَناء وطيب ذِكْرٍ.

(كثيرات المبارك) جمع مَبَرك، وهو موضع البُرُوك، أي: كثيرة ومبارِكُها كذلك.

(قليلات المسارح) جمع مسرح، وهو محلُّ تسريح الماشية، فهو لاستعداده للضيفان بها لا يسرِّحُها إلا قليلاً، ومعظم أوقاتها حاضِرَةٌ ليأكُلَ الضيفُ من لحومِها وألبانِها.

(المزهر) أي: العود الذي يُضرب به عند نزولِ الضيفِ فرَحاً به.

(أيقَنَّ...إلخ) أي: لمعرفتهن بعَقرهِنَّ للضِّيفان لما كثرت عادته بذلك، فقد بالغَتْ في مدحه.

(أبو زرع) كنَّتْهُ بذلك لكثرة زرعه.

أناسَ من حُلِيٍّ أذُنَيَّ، ومَلأ من شَحمٍ عَضُدَيَّ، وبَجَّحَني فَبَجِحَتْ إليَّ نفسي وجَدَنِي في أهلِ غُنَيْمةٍ بِشقٍّ، فجعلني في أهلِ صَهيلٍ وأطيطٍ ودائِسٍ ومُنَقٍّ، فعندَه أقولُ فلا أُقَبَّحُ، . . . .

(أنَاسَ) أي: حرك.

(من حُلِيّ) بضم الحاء وتكسر وتشديد الياء، جمع حَلْي بفتح فسكون، وهو ما يُتحلَّى به.

(أُذُنَي) بضمتين أو بضم فسكون مثنى أذن كذلك.

(عَضُدَي) مثنى عضُد، وهو ما بينَ المرفِق إلى الكتف، وهما إذا سَمِنا سَمِنَ الجسدُ كله.

(وبَجّحَني) بفتح الموحدة وتشديد الجيم، وروي بتخفيفها، أي: عظَّمَني.

(فبَجِحت) بكسر الجيم أفصح من فَتحها، أي: عظمت **(إليَّ)** أي: عندي.

(غنيمة) تصغير غنم، وأُنِّث على إرادة الجماعة.

(بشَق) بفتح الشين المعجمة وكسرها، والأول اسم للناحية من الجبل فيها غارٌ ونحوه، والثاني بمعنى المشقّة.

(صهيل) صوت الخيل.

(وأطيط) صوت الإبل من ثقل حَمْلها.

(ودائس) أي: بقر تدوس الزرع في بيدره ليخرج الحَبُّ من السُّنبل.

(ومُنَقّ) وهو الذي ينقّي الحبَّ وينظِّفُه بغِرْبال ونحوه.

(أقول) أي: أتكلم بأي كلام **(فلا أُقَبَّح)** أي: لا ينسبني إلى القُبحِ لكرامَتي عليه.

وأرْقُدُ فأتَصَبَّحُ، وأشَربُ فأتقمَّحُ، أمُّ أبي زرعٍ، فما أُمُّ أبي زرعٍ؟ عُكومُها رَداحٌ، وبيتُها فَسَاحٌ، ابنُ أبي زرعٍ فما ابنُ أبي زرعٍ؟ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وتُشْبِعُهُ ذِراعُ الجَفْرةِ، بنت أبي زرعٍ، فما بنتُ أبي زرعٍ؟ طَوعُ أبيها وطوعُ أُمِّها، ومِلءُ كِسائِها، وغَيظُ جارتِها، جاريَة أبي زرعٍ،

(وأرقُد) أي: أنام **(فأتصبّح)** أي: أدخل في الصبح، ولا يوقظني لخدمتِه لأني معظَّمةٌ لديه، مع استغنائه بالخَدم التي تخدُمه وتخدُمني.

(فأتقمح) أي: أروَى مع قِلَّة الماء عند غيره، وروي بالنون بدل الميم، وهما بمعنىً.

(عُكُومُها) جمع عِكْم بكسر فسكون، وهو العِدْل إذا كان فيه متاع كالغِرارة، وقيل: نمط تجعل فيه النساء ذخائرهن.

(رَداح) بفتح أوله وكسره، أي: ثقيلة لكثرة ما فيها من المتاع والثياب، **(فساح)** أي: واسع[1].

(مضجَعه) أي: مرقده.

(كَمسَلِّ شَطْبَة) أي كَشطْبَةٍ مسْلُولَةٍ من جريد النخل، وهي السَّعْفة، والمراد أن جنبه الذي يضطجع عليه دقيق، فهو خفيف اللحم دقيق الخصر.

(ذراع) مؤنثة، ولذا أنَّث الفعل المسند لها، وقد يذكَّر.

(الجَفرة) هي من أولاد الشاء وما بلغت أربعة أشهر.

(طوع) أي: هي مطيعة، وبالغت في إطاعتها حتى جعلتها نفس الطَّوع.

(وملءُ كسائها) أي: سمينة.

(وغيظ جارتها) أي: ضَرتِها لما ترى من جمالِها وأدبِها.

---

(١) مدحت أمه مع ما جبل عليه النساء من كراهية أم الزوج إعلاماً بامتلاء قلبها من محبته، حتى أحبت كل من له تعلق به (ابن قاسم).

فما جارية أبي زرعٍ؟ لا تَبُثُّ حديثَنا تَبْثِيثاً، ولا تَنْقُثُ مِيرَتَنا تَنْقِيثاً، ولا تَملأُ بيتَنا تَعشِيشاً. قالت خرج أبو زرعٍ والأَوْطابُ تُمْخَضُ، فَلقِيَ امرأةً معها وَلَدانِ لها، كالفَهْدَيْنِ يَلْعَبانِ من تحتِ خَصْرِها بِرُمَّانَتينْ فطلَّقنِي

(لا تبثُّ) روي بالموحَّدة وبالنون في الفعل والمصدر، والمعنى على كلٍّ: لا تنشرُ كلامنا الذي نتكلم به فيما بيننا نشراً لديانتها.

(ولا تَنْقث) بفتح الفوقية وضم القاف، أو بضم الفوقية وكسر القاف والنون ساكنة فيهما، أو بضم الفوقية وفتح النون وكسر القاف المشددة أي: لا تنقل **(مِيرَتَنا)** بكسر الميم، أي: طعامنا. **(تَنقيثاً)** أي: نقلاً لأمانتها.

(تعشيشاً) أي: كُناسةً حتى يصير كعشِّ الطائر، بل تنظِّفه لشطَارتها.

(قالت) أي: أم زَرع.

(والأوطاب) جمع وَطَب بفتحتين، أي: زقاق اللبن.

(تُمْخَضُ) أي: تحرك لاستخراج الزُّبدِ، وهو وقت الرَّبيع الذي تخرج فيه العربُ للتجارة.

(كالفَهدين) أي: مثلهما في الوثوب وسُرعة الحركة.

(خصْرِها) أي: وسطِها.

(برُمانتين) لأنها ذات كِفلٍ عظيم بحيث إذا استلقت على ظهرها يصير تحت وسطها فجوة تجري فيها الرُّمانة[1].

---

(١) قال القاضي عياض: وذهب بعضهم إلى أن المراد بالرمانتين هنا الثديان، وهو عندي أظهر وأشبه، لا سيما وقد روي: (من تحت صدرها) و(من تحت درعها)، ولأن العادة لم تجرِ برمي الصبيان الرمان تحت أصلاب أمهاتهم، ولا استلقاء النساء لهم لذلك حتى يشاهد ذلك منهن الرجال، والأشبه أنهما رمانتا النهدين شبهتا بذلك لنهودهما، ودل ذلك على صغرها وفتاء سنها (ابن قاسم).

ونَكَحَها، فَنَكَحْتُ بعدَهُ رجلاً سَرِيّاً، رَكِبَ شَرِيّاً، وأخذ خَطِّيّاً وأراحَ عَلَيَّ نَعَماً ثَرِيّاً، وأعطاني من كلِ رائِحةٍ زَوجاً، وقال كُلي أُمَّ زرعٍ، ومِيري أهْلَكِ، فلو جَمَعتُ كلَّ شيءٍ أعْطانِيهِ ما بَلَغَ أصْغَر آنِيَةِ أبي زرعٍ

(**سَرِيّاً**) بالمهملة، أي: من أشراف الناس.

(**شرِيّاً**) بالمعجمة، أي فرساً يستشري في سيره، أي: يمضي فيه بلا فُتور.

(**خَطِّياً**) بفتح الخاء المعجمة وكسرها وتشديد الطاء المكسورة، أي رُمحاً منسوباً إلى الخطّ، قَرية بساحِل بحر عمان تعمل فيها الرِّماح.

(**وأراح عليّ نَعَماً**) من الإراحة، وهي سوق الماشية إلى موضع المبيت بعد الزوال، أي: جعل النَعَم ـ بفتح النون على الأشهر، وهي الإبل والبقر والغنم ـ داخلة عليَّ ـ بتشديد الياء ـ وقتَ الرَّوَاح.

(**ثريّاً**) أي: كثيراً، من الثروة، وهي كثرة المال والنَّعم؛ مذكر، ولذا قالت: ثرياً بدون تاء.

(**رائحة**) أي: بهيمة ذاهبة إلى بيته وقت الرواح.

(**زوجاً**) أي: اثنين.

(**أم**) أي: يا أم.

(**ومِيري أهلك**) أي: صليهم بالمِيرة، وهي الطعام.

(**فلو جَمَعتُ. . .إلخ**) محمول على المبالغة وإلا فالإناء لا يسعُ ما أعطاها من النَّعَم، وقد وصفت هذا الثاني بالفضلِ والجود ولكن لسان حالها يقول:

ما الحب إلا للحبيب الأوَّلِ

ولذا كانتِ السُّنة تزوجَ البكر.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**كنتُ لَكِ كَأَبِي زرعٍ لأُمِّ زرعٍ**». [أخرجه البخاري (٤٨٩٣) ومسلم (٢٤٤٨)].

(**كنتُ لكِ كأبي زَرعٍ لأم زَرعٍ**) زاد في رواية الهيثم بن عَدي: «**في الألفة والوفاء لا في الفرقة والخلاء**»، وفي رواية الزبير إنها أجابته بقولها: بأبي أنت وأمي، لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع[1].

---

(١) وفي هذا الحديث: جواز إخبار الرجل زوجته وأهله بصورة حاله معهم، وحسن صحبته إياهم وإحسانه إليهم، وتذكيرهم بذلك، وفي تحديث النساء بهذا الحديث منفعة في الحض على الوفاء للزوج كما في كلام أم زرع، والصبر على الأزواج كما في حديث غيرها، وفيه حِل الإخبار عن الأمم الماضية، وفيه أن المحبة تستر الإساءة لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه إلى أن بلغت حدّ الإفراط والغلو، وفيه أن ذكر مساوي مَنْ ليس بمعروف عند المتكلم والسامع لا يسمى غيبة (ابن قاسم).

ويؤخذ من الحديث جواز ذكر المجهول عند المتكلم والسامع بما يكره فإنه ليس غيبة . وغاية الأمر أن عائشة رضي الله عنها ذكرت نساءً مجهولاتٍ وذكر بعضهنَّ عيوبَ أزواج مجهولين لا يُعرفون بأعيانهم ولا بأسمائهم ومثل هذا لا يُعد غيبةً كما أوضح ذلك الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم.

ومما ينبغي التنبه إليه نهي رسول الله ﷺ المرأة أن تصف امرأة لزوجها أو محارمها أو لغيرهم ففي الحديث: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها» أخرجه البخاري (٤٩٤٢) وأبو داود (٢١٥٠).

باب ما جاء في صفةِ نومِ رسولِ الله ﷺ

(١٩٦) عن البراء بنِ عازبٍ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أخَذَ مَضْجَعُه وضَعَ كَفَّهُ اليمنَى تَحْتَ خَدِّهِ الأيْمَنِ، وقال: «**رَبِّ قني عَذابَكَ يومَ تَبْعَثُ عِبادَكَ**». [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٨١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٥٥)].

(١٩٧) عن حذيفةَ قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أوَى إلى فِراشِه قال:

---

(١٩٦) **(إذا أخَذَ مضجَعَه)** بفتح الجيم وتُكسَر، أي: إذا استقر في محلِّ اضْطجاعِهِ لينام فيه.

(وَضَعَ كفَّه) أي: راحته مع الأصابع.

(الأيمن) فالنوم على الجنب اليمين مستحب.

(رَبِّ) أي: يا رب.

(قني عذابك) أي: اجعل بيني وبينه وقاية.

(يوم تبعثُ) أي: تحيي **(عِبادَك)** للجزاء وهوَ يومُ القيامة، وفي رواية: **(يوم تجمع عبادك)**. وإنما قال ذلك مع عِصمته تعليماً للأمة، فإن النومَ أخو الموت وربّما كانت هذه النومة آخرَ أعمارهم فيكون ذكر الله مع الاعتراف بالتقصير آخرَ أعمالهم.

(١٩٧) **(أوى)** بالقصر وقد يمد أي: وصَلَ، يقال: أَوَى يأوِي كَرَمَى يرمِي، وآوى يُؤوي كأكرَمَ يُكرِمُ، وكلٌّ منهما يستعمل لازماً ومتعدّياً، والأفصح في اللازم القصر، وفي المتعدي المدّ.

«**اللهمَّ باسْمِكَ أموتُ وأحْيا**» وإذا اسْتَيقَظَ قال: «**الحمد للهِ الذي أحْيانا بعدَ ما أماتَنا وإليه النُّشور**». [أخرجه البخاري (٦٩٥٩)].

(١٩٨) عن عائشةَ قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فراشِهِ كلِّ ليلةٍ جمع كَفَّيْهِ فَنَفَثَ فيهما، وقرأ فيهما: «**قُلْ هو اللهُ أحدٌ**» و«**قلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ**» و«**قلْ أُعُوذُ بِرَبِّ النَّاس**». ثم مَسَحَ بهما ما اسْتَطاعَ من جسدهِ، يَبْدأُ بهما رأسَهُ ووَجْهَهُ وما أقبلَ من جَسدِه، يَصْنعُ ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ. [أخرجه البخاري (٥٩٦٠)].

(**باسمك أموتُ وأحيا**) أي: على ذكري لاسمك أنام وأستيقظ، فإن النوم أخو الموت بجامع زوال الحركة والإدراك في كلٍّ.

(**قال الحمدُ لله**) أي: ليكون أوَّلُ أعماله حمدَ الله على إفضاله.

(**الذي أحيانا**) أي: أيقظنا.

(**بعدما أماتنا**) أي: جعلنا كالميتين بالنوم.

(**وإليه النشور**) أي: الرجوع بعد الموت الحقيقي يوم القيامة، فينبغي للإنسان أن يتذكر بيقظته بعد نومه وقوع البعث بعد الموت.

(**١٩٨**) (**فنفث**) أي: نفخ (**فيهما**) نفخاً خفيفاً غير ممزوجٍ بريقٍ.

(**برب الفلق**) أي: الصبح.

(**ثم مسَحَ بهما**) أي: فوق الثوب.

(**ما استطاع من جسده**) أي: ما تَصِلُ إليه يداه.

(**يصنع ذلك**) أي: المذكور جميعَه.

(**ثلاثَ مرات**) على سبيل الكمال، وأما أصل السنة فيحصل بمرَّة، كما يؤخذ من روايات أخرى[1].

---

(١) وفي هذا الحديث التعوذ والقراءة عند النوم لأن الإنسان عرضة لتسلط الشياطين عليه، وإذاية غيرهم من الحشرات والهوام (ابن قاسم).

(١٩٩) عن ابن عباسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ نامَ حتى نَفَخَ، وكان إذا نامَ نَفَخَ، فأتاهُ بِلالٌ فآذَنَهُ بالصَّلاةِ، فقامَ وصلَّى ولم يَتَوضَّأ. [أخرجه البخاري (٥٩٥٧) ومسلم (٧٦٣)].

(٢٠٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ إذا أَوَى إلى فِراشِهِ قال: «**الحمدُ لله الذي أطعَمَنا وسَقانا وكَفانا وآوَانا، فكمْ مِمَّنْ لا كافِيَ له ولا مُؤْوِي**». [أخرجه مسلم (٥٧١٥)].

(٢٠١) عن أبي قتادةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا عَرَّسَ بِلَيْلٍ ....

---

(١٩٩) (**إذا نام نَفَخ**) أي: كانت عادته ذلك، فليس هذا بمستهجن.

(**بلال**) أي: المؤذِّن.

(**فآذنَه**) أي: أعلمَه بصلاة الصبح.

(**ولم يتوضأ**) لأن نَوْمَه لا ينقض وضوءَه لبقاءِ يقظةِ قلبه.

(٢٠٠) (**أطعمنا وسقانا**) إنما ذكرهُما هنا لأن الحياةَ لا تتم إلا بهما كالنوم، فالثلاثة من وادٍ واحد.

(**وكفانا**) أي: مهماتِنا.

(**وآوانا**) بالمد، أي: رَدَّنا إلى مأوانا، وهو مسكننا.

(**فكم ممن**) بيان للسبب الحامل على الحمد، أي: فكثير من الناس (**لا كافي له ولا مؤوي**) أي: على الوجه الأكمل، فإن الله تعالى كافٍ لجميع خلقه ومؤويهم ولو من بعض الوجوه، فإنه يخص من شاء بما شاء[1].

(٢٠١) (**إذا عرَّسَ**) أي: نزل في السفر للاستراحة (**بليل**) أي: في زمن منه قبل الصُبح بكثير.

---

(١) في هذا الحديث تعداد لِلنِّعم عند النوم، لينام الإنسان راضياً عن ربه.

اضْطجعَ على شِقِّهِ الأيْمَنِ، وإذا عَرَّس قُبَيلَ الصُّبْحِ نَصبَ ذِراعَه ووَضعَ رأسَه على كَفِّهِ. [أخرجه مسلم (٦٨٣)].

(اضطجع على شقه) أي: جنبه **(الأيمن)** ولم ينصب ذراعه لوثوقه بالتيقظ بعد الاستغراق في النوم.

(قبيل الصبح) أي: قبل دخول وقته بقليل.

(نصب ذِراعه) أي: اليمنى، لأن هذه الحالة أعونُ على الانتباه، والقصد إرشاد الأمة بهذا الفعل(١).

(١) (تنبيه) عن يَعيش بن طِفحة الغفاري رضي الله عنه قال: قال أبي: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله فقال: «إن هذه ضجعة يبغضها الله» قال: فنظرتُ، فإذا هو رسول الله ﷺ. رواه أبو داود (٥٠٤٠).

وهكذا نجد تنبيه رسول الله ﷺ أصحابه وأمته من بعده إلى دقائق الأمور في نومهم، وطعامهم وشرابهم وغُسلهم وطهارتهم، وقد جاءت الدراسات الطبية الحديثة تؤكد نفع ما نصح به رسول الله ﷺ، وضرر ما نهى عنه رسول الله ﷺ، فقالوا: إن الحكمة في أن يبدأ نومه على الشق الأيمن أن ذلك أكثر راحة لقلبه، فالرئة اليمنى التي هي أكبر من الرئة اليسرى لا تضغط على القلب في هذه الحالة. وقد أُلِّفت كتب وكُتِبَتْ مقالات من مسلمين وغير مسلمين عن الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، ولكن المسلم المحب لرسول الله ﷺ لا ينتظر ما يقوله العلم حتى يطَّبقَ هديَ المصطفى ﷺ بل يسارع ليقتدي برسول الله ﷺ ويعمل بهديهِ وإن لم يعلم الحكمة من ذلك.

باب ما جاء في عِبادةِ رسول الله ﷺ (*)

(٢٠٢) عن المُغِيرةِ بنِ شُعبةَ قال: صلَّى رسولُ الله ﷺ حتى انْتَفختْ قَدَماهُ، فقيل له: أَتَتكَلَّفُ هذا وقد غَفَرَ اللهُ لك ما تقدَّم من ذَنْبِكَ وما تأخَّر؟ قال: «**أفَلا أكونُ عبداً شَكوراً**». [أخرجه البخاري (١٠٧٨) ومسلم (٢٨١٩)].

(*) (**عبادة**) العبادة أقصى غاية الخضوع، وتعورفت في الشرع فيما جُعِل علامةً على ذلك من صلاة و صوم وغيرهما، ولذا اكتفيتُ بهذه الترجمة عن عقدِ بابٍ لصلاة الضحى، وباب لصلاة التطوع في البيت، وباب للصوم، والتحقيق أن النبيَّ ﷺ لم يتعبد قبل النبوّة بشرع أحدٍ، وتعبُّدُه بحراء إنما كان بالتفكر في مصنوعات الله.

(٢٠٢) (**انتفخَت قدماه**) أي: من طولِ قيامِه بالليل، لأن المواد تنصبُّ من أعلى البدن إلى أسفله.

(**فقيل له**) أي: قال له بعض أكابر الصحابة، وفي رواية أنه عمر (**أتتكلَّف**) أي: أتتحمل (**هذا**) الأمر الشاق.

(**وقد غفر... إلخ**) جملة حالية، وهذا من باب: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين كما تقدم.

(**أفلا أكون**) أي: أأترك المبالغة في عبادة ربي فلا أكون (**عبداً شكوراً**) لإحسانه[1]؟

---

(١) ظنَّ السائل عن سبب تكلُّفه تلك المشقة في العبادة أن سبب العبادة إنما هو خوف الذنب أو رجاء المغفرة، فأفاده ﷺ أن لها سبباً آخر، وهو تعظيمه وشكره وخدمته وبره، ومغفرة الذنب من أعظم النعم فكيف يَجمُل بالعبد إهمالها وعدم القيام بواجب =

(٢٠٣) عن الأَسْودِ بنِ يزيدَ قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ باللَّيْلِ، فقالت: كان يَنامُ أَوَّلَ الليلِ، ثم يقومُ، فإذا كان من السَّحَرِ أوتَرَ، ثم أتى فِراشَهُ، فإذا كان له حاجةٌ أَلَمَّ بأَهْلِهِ، فإذا سَمِعَ الأَذَانَ وَثَبَ، فإن كان جُنُباً أفاضَ عليه من الماءِ، وإلا توضَّأ وخرج إلى الصَّلاةِ. [أخرجه البخاري (١٠٩٥) ومسلم (٧٣٩)].

(٢٠٤) عن ابنِ عباسٍ أنه باتَ عند مَيْمونَةَ وهي خالتُهُ قال:

---

(٢٠٣) (عن صلاة رسول الله) أي: كانت في أي وقت من الليل، والمراد بها ما يشمل الوتر و التهجد.

(أوّل الليل) أي: بعد صلاة العشاء إلى تمام نصفه.

(ثم يقوم) أي: للتهجد فيستمر يصلي السدس الرابع والخامس.

(فإذا كان من السَّحَر) وهو آخر الليل **(أوتَر)** أي: صلى الوتر **(ثم أتى فراشه)** لينام السدس السادس ليقوم لصلاة الصبح بنشاط.

(فإذا كان له حاجة) أي: إلى الجماع.

(ألمّ بأهلِه) أي: قرب من زوجته ثم ينام[1].

(فإذا سَمِع الأذان) أي: للصبح.

(وثبَ) أي: قام بنهضة **(وخرج إلى الصلاة)** أي: بعد أن يصلي ركعتي الفجر.

(٢٠٤) (ميمونة): أي زوج النبي ﷺ.

= شكرها، فهي إذن من أعظم الأسباب الحاملة على العبادة، فكيف تترك العبادة لأجل المغفرة، على أن العمل شكراً أتم وأكمل من العمل رجاء الثواب أو خوف العقاب (ابن قاسم).

(١) في الحديث أن الأولى تأخير الجماع عن ابتداء النوم ليكون على طهارة، وفيه أداء العبادة قبل قضاء الشهوة (ابن قاسم).

فاضطَجعتُ في عَرْضِ الوِسادَةِ، واضْطَجعَ رسولُ الله ﷺ في طُولِها، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا انْتَصَفَ الليلُ أو قبلَهُ بِقَليلٍ أو بعدَهُ بقليلٍ، اسْتَيقظَ رسولُ الله ﷺ فجعلَ يَمْسحُ النَّومَ عن وجْهِهِ، وقَرأَ العشرَ الآياتِ الخَواتِيمَ من سورة آلِ عمرانَ، ثم قام إلى شَنٍّ معلَّقٍ فتوضأ منها فأحْسَنَ الوضوءَ، ثم قامَ يُصلِّي، فَقُمْتُ إلى جَنْبِهِ فوضَعَ رسولُ الله ﷺ يَدَهُ اليُمْنَى على رأسِي ثم أخذَ بأُذُنِي اليمنى فَفَتَلَها، فصلَّى ركْعتَيْنِ ثم ركْعَتين ثم ركْعتينِ ثم ركعتينِ ثم ركعتينِ ثم ركعتينِ . . . .

(في عَرض) بفتح العين المهملة أشهر من ضمها، أي: ووضعت رأسي على عرض الوسادة فهو متعلق بمحذوف، وكذا **(في طولها)** أي: ووضع رأسه على طولها هو وزوجته ميمونة لأنَّ عادته النوم مع زوجاتِه مراعاة لحقوقهن، وأما اعتزال المرأة في النوم فمن عادةِ الأعاجم، ويؤخذ منه حِلُّ نومِ الرجل مع أهله من غير مباشرة بحضرةِ محرمٍ لها مُمَيِّز.

(استيقظ) جواب إذا، وفي نسخة: فاستيقظ بزيادة الفاء.

(يمسح النوم) أي: أثرَهُ **(الخواتيم)** جمع خِتام بمعنى الخاتمة، وهي: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخر السورة، لأنها تزيل الكَسَل وتنشط للعبادة.

(شَنٍّ) أي: قِرْبَة باليةٍ، وإنما ذكَّر وصفه نظراً للفظه، وأنَّث ضميره في قوله: **(فتوضأ منها)** نظراً لمعناه، وهو قِربة.

(فأحسن الوضوء) أي: أتى بواجباته ومندوباته.

(فقمتُ إلى جنبه) وفي رواية: فقمتُ وتوضأتُ فقمتُ عن يساره.

(ثم أخذ) وفي رواية: فأخذ بأذني فأدارني عن يمينه، تنبيهاً على ما هو السنة من وقوف المأموم الواحد عن يمين الإمام، فإذا وقف عن يساره حوَّله ندباً بأخذ أُذُنِه وفتلِها، وقد قيل: إن المعلم إذا فتل أذُنَ المتعلِّم كان أذكى لفهمه.

ثم أوتَرَ، ثم اضْطجعَ حتى جاءَهُ المُؤذِّنُ فقام فَصَلَّى ركعتينِ خَفِفَتينِ ثم خرج فصلَّى الصُّبْحَ. [أخرجه البخاري (١٨١) ومسلم (٧٦٣)].

(٢٠٥) عن عائشةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا لم يُصَلِّ بالليلِ ـ مَنَعَهُ من ذلك النومُ أو غَلَبَتْهُ عَيْناهُ ـ صَلَّى منَ النَّهارِ ثِنْتَي عَشْرَةَ رَكعةً. [أخرجه

(ثم أوتر) أي: أفرد ركعةً وحدها فتمَّت صلاتُه ثلاثَ عشرةَ ركعةً(١).

(٢٠٥) (إذا لم يصل بالليل) جواب «إذا» قولها: **(صلى من النهار)**، أي: فيه، وأما قولها **(مَنَعَهُ من ذلك النومُ أو غلبته عيناه)** فهو بيان لسبب عدم صلاته بالليل، و«أو» للتقسيم، فالقسم الأول ما إذا أراد النوم مع إمكان تركِه اختياراً، لكن بحيث لا يتأتى معه كمالُ الخشوع، والثاني ما إذا غلبَه النومُ بحيث لا يستطيع دفعَه لأن النبيَّ قد يُسلكُ به مسالِكَ الضُّعَفَاءِ للتشريع فينام عن وِرده ليتعلَّم من نزل به ذلك من أمَّتِه كيف يفعل.

(ثنتي عشرة ركعة) وسكتت عن ركعة الوتر لأن ندبَ قضائِه معلوم

---

(١) وفي الحديث من الفوائد أن العمل القليل لا يبطل الصلاة، بل قد يسن إذا كان لمصلحة، وأن الأمر بالمعروف مشروع حتى في الصلاة، وجواز صلاة الفرض بوضوء النفل إذا قلنا: إن صلاة الليل لم تكن واجبة عليه ﷺ. وأخذ العالم بأُذُن المتعلم تنبيهاً على الفهم ولتذكر القضية ونفي النوم، وأن صلاة الصبي صحيحة، وأن المميز كبالغ جماعةً وموقفاً، وجواز النفل جماعة إذا لم يكن الجمع كثيراً، ولم يكن المكان مشتهراً (ابن قاسم).

(لطيفة) في خوفه ﷺ من ربه عز وجل: عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون أطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» رواه الترمذي (٢٣١٣) قال الإمام النووي في شرح الحديث، (أطتِ) بفتح الهمزة وتشديد الطاء و(تئط) بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة، والأطيط: صوت الرَّحل والقتب وشبهها، ومعناه: أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلها حتى أطت.

مسلم (٧٤٦)].

(٢٠٦) عن أبي هُريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا قامَ أحدُكُمْ منَ الليلِ فَلْيَفْتَتِحْ صلاتَهُ بِرَكْعَتينِ خَفِيفَتَيْنِ**» [أخرجه مسلم (٧٦٨)].

(٢٠٧) عن زيدِ بنِ خالدِ الجُهَنِيِّ أنه قال: لأَرْمُقَنَّ صلاةَ رسولِ الله ﷺ، قال: فَتَوسَّدتُّ عَتَبَتَهُ أو فُسْطاطَهُ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ ركعتَيْنِ خفيفتين ثم صلَّى ركعتين طَوِيلَتَيْنِ طويلتين طويلتين، ثم صلَّى ركعتينِ وهما دونَ اللَّتَيْنِ بالأولى من قضاءِ التهجد[1].

(٢٠٦) (من الليل) أي: فيه.

(فليفتتح... إلخ)[2] وأمره بالشيء يقتضي فعله، فناسب هذا الحديثُ البابَ.

(٢٠٧) (لأرْمُقَنَّ) أي: أنظرَنَّ وأراقِبنَّ **(فتوسدتُ عتبتَه)** أي: جعلتُها وسادة.

(أو فسطاطه) أي: عتبة فسطاطه، والمراد بها محلُّ دخوله، و«أو» للشك، والفُسطاط بضم الفاء وكسرها بيت من شَعَر، والظاهر أن ذلك كان في السفر الخالي عن الأزواج الطاهرات.

(طويلتين) ذكره ثلاث مرات للتأكيد[3].

---

(١) أو لأنه كان قدم وتره أول الليل، ولم يفته هذه المرة، والله أعلم (ابن قاسم).

(٢) الحكمة في ذلك رياضة النفس وتنشيطها حتى تستقبل قيام الليل على أتم وجوه الخشوع وأكملها، وفيه إرشاد أن من شرع في عمل فليكن عمله على التدريج حتى تتعود نفسه بالعمل، فيأتي ببقية عمله على الوجه الأكمل، وقد قال في (التوضيح): الحكمة في تقديم النوافل على الصلاة أن العبد مشتغل بأمور الدنيا فتبعد النفس بذلك عن حضور القلب، فإذا تقدمت النافلة على الفريضة أنِسَت النفس بالعبادة، وكان ذلك أقرب إلى الحضور (ابن قاسم).

(٣) قال ابن حجر: وحكمة ذلك أن أول الدخول في الصلاة يكون النشاط أقوى =

قبلَهُما، ثم صلَّى ركعتينِ وهما دُون اللتينِ قبلَهُما، ثم صلَّى ركعتين وهما دونَ اللتينِ قبلهما، ثم صلَّى ركعتينِ وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتَر، فذلك ثلاثَ عَشْرَةَ رَكْعةً. [أخرجه مسلم (٧٦٥)].

(٢٠٨) عن أبي سَلَمَة ابنِ عبدِ الرحمنِ أنه سألَ عائشةَ رضي الله عنها: كيفَ كانت صلاةُ رسولِ الله ﷺ في رَمَضانَ، فقالتْ: ما كان رسولُ الله ﷺ لِيَزيدَ في رَمضانَ ولا في غَيرهِ على إحْدى عَشْرةَ رَكعةً، يُصلِّي أَرْبَعاً لا تسألْ عن حُسْنِهِنَّ وطُولِهنَّ، ثم يصلِّي أرْبَعاً لا تسألْ عن حُسْنِهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلّي ثلاثاً، قالت عائشةُ: قُلت: يا رسولَ الله، أتَنامُ قبل أن تُوتِر؟ فقال: «**يا عائشةُ إنَّ عَيْنَيَّ تَنامانِ ولا ينامُ قَلْبِي**».

(٢٠٨) **(في رمضان)** أي: في لياليه وقتَ التهجد.

(ليزيدَ) بالنصب بتقدير «أن» بعد لام الجحود.

(إحدى عشرة ركعة) أي: غير الركعتين الخفيفتين عقِب الوضوء، أو أن هذا بحَسب ما رأت.

(يصلي أربعاً) أي: مع السلام من كل ركعتين ليوافق ما مر، وإنما جمعت الأربع لتقاربها طولاً وحسناً.

(لا تسأل عن حسنهن) أي: لأن اللسان يعجز عن بيانه.

(ثم يصلي) تشير إلى أنه حصل تراخٍ بين كلِّ أربعٍ للاستراحة.

(ثلاثاً) أي: بسلامين، وأخذ بظاهره أبو حنيفة، **(أتنام قبل أن توتر)** أي: مع كونك أمرتَ بعض أصحابك بأن يوتر قبل أن ينام.

(ولا ينام قلبي) أي: فلا أخاف فوات الوتر، فالأمر به قبل النوم لمن

والخشوع أتم، فسن التطويل لوجود مقتضيه، ومن ثم سن في الفرض تطويل الركعة الأولى على الثانية، وكذلك الثانية من الرباعية أطول من الأخيرتين (ابن قاسم).

[أخرجه البخاري (١٩٠٩) ومسلم (٧٣٨)].

(٢٠٩) عن عائشة: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يصلِّي من الليلِ إحْدى عَشْرةَ ركعةً يُوتِرُ مِنها بِواحِدَةٍ، فإذا فَرَغَ مِنْها اضْطَجعَ على شِقِّهِ الأيْمنِ. [أخرجه البخاري (١٧١) ومسلم (٧٣٦)].

(٢١٠) وعنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ يصلِّي من الليلِ تِسْعَ رَكَعاتٍ. [أخرجه المصنف في السنن (٤٤٣ـ ٤٤٤)].

(٢١١) عن حذيفةَ بنِ اليمانِ أنه صلَّى مَعَ النبيِّ ﷺ من الليلِ قال: فلما دخلَ في الصَّلاةِ قال: «**الله أكبرُ ذُو المَلَكُوتِ والجَبروتِ والكِبْرِياءِ والعَظمةِ**»، ....

خاف فواتَه بالاستغراق في النوم للفجر، ومن لم يخف فالأولى له التأخير.

(٢٠٩) (**يوتر منها بواحِدة**) أي: والبقية تهجد.

(**اضطجَعَ**) أي: لينام حتى يأتيه المؤذن.

(٢١٠) (**تِسعَ رَكَعات**) أي: في بعض الأوقات جمعاً بين الروايات.

(٢١١) (**صلى مع النبي ﷺ**) أي: جماعةً.

(**فلما دخل في الصلاة**) أي: بتكبيرة الإحرام.

(**قال**) أي: بعدها.

(**الله أكبر ذو الملكوت**) أي: الملك.

(**والجبرُوت**) أي: الجَبْر والقهر، وصيغة فَعَلوت للمبالغة، كما في رحموت ورهبُوت مبالغة في الرحمة والرهبة، وأما رواية: (**ذو الملك والملكوت**) فيفرق بينهما بأن المراد من الأوَّل ظاهر الملك، ومن الثاني باطِنَه، كما يعبر عنهما بعالم الغيب والشهادة.

(**والكبرياء**) أي: الترفّع والتنزّه عن كل نقص. (**والعظمةِ**) أي: تجاوز

ثم قرأ البَقرةَ، ثم ركعَ فكانَ رُكُوعَهُ نحواً من قِيامِهِ وكان يقول: «**سبحانَ ربِّي العظيمِ، سبحان ربيَ العظيم**»، ثم رَفَعَ رأسَهُ فكان قِيامُهُ نحواً من رُكُوعِهِ، وكان يقول: «**لِرَبِّيَ الحمدُ، لِربِّيَ الحمدُ**»، ثم سَجدَ فكانَ سُجودُهُ نحواً مِن قِيامِهِ، وكانَ يقول: «**سبحانَ ربِّيَ الأَعْلَى، سبحان رَبِّيَ الأعلى**»، ثم رفعَ رأسَهُ، فكان ما بين السَّجْدَتينِ نحواً مِنَ السُّجودِ، وكان يقولُ: «**رَبِّ اغفرْ لي، رَبِّ اغفرْ لي**»، حتى قَرأ البَقَرَة وآل عمرانَ والنِّساءَ والمائِدَةَ أو الأَنْعامَ. شُعْبةُ الذي شَكَّ في المائدَةِ والأنعامِ. [أخرجه أبو داود في السنن (٨٧٤)].

(٢١٢) عن عائشةَ قالت: قامَ رسولُ الله ﷺ . . . .

القدر عن الإحاطة به.

(ثم قرأ البقرة) أي: بعد الفاتحة.

(نحواً) أي: قريباً.

(سبحانَ ربيَ العظيم) أي: تنزيهاً له عن كلِّ ما لا يليق به، فكان يكرِّرها ما دام راكعاً، وليس المراد مرتين فقط بل المراد منهما الكثرة[1]، وكذا يقال فيما بعده، ثم إنه لم يذكرِ السجود الثاني لعلمه بالمقايسة على السجود الأول.

(حتى قرأ) أي: واستمر يطوِّلُ حتى قرأ الأربع سور في الأربع ركعات، وقد شك شعبة ـ أحد رواة الحديث ـ في السورة الرابعة هل كانت المائدة أو الأنعام.

(٢١٢) (قام) أي: صلى.

---

(١) قال ابن حجر: وهذا الذكر مطلوب في كل ركوع، وأقله مرة، وأدنى الكمال فيه ثلاث مرات، وأكمله إحدى عشرة مرة أخذاً من مجموع الأحاديث اهـ (ابن قاسم).

بآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ لَيلةً. [أخرجه المصنف في السنن (٤٤٨)].

(٢١٣) عن عبدِ اللهِ قال: صَلَّيْتُ ليلةً مع رسولِ الله ﷺ، فلم يَزَلْ قائِمَاً حتى هَمَمْتُ بأمرِ سَوْءٍ، قيل له: وما هَممتَ به؟ قال: هممتُ أن أقْعُدَ وأَدَعَ النبيَّ ﷺ. [أخرجه البخاري (١٠٨٤) ومسلم (٧٧٣)].

(٢١٤) عن عائشة: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُصَلِّي جالِسَاً فيقرأُ وهو

(بآية من القرآن) يكررها في كلِّ ركعة من ركعات تهجده بعد الفاتحة.

(ليلةً) كاملة، لما اعتراه عند قراءتها من هول ما ابتدئت به وحلاوة ما ختمت به، وهي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][1].

(٢١٣) (عبد الله) أي: ابن مسعود، لأنه المراد عند الإطلاق.

(فلم يزل قائماً) أي: أطال القيامَ جداً.

(همَمْتُ) أي: قصدت وحدَّثتُ نفسي.

(بأمر سَوء) بفتح السين وضمها، روي بإضافة أمر لسوء، وبقطعه على الوصفية.

(أن أقعد) أي: أترك الصلاة.

(وأدَعَ) أي: أترك.

(٢١٤) (كان يصلي جالساً) أي: في كِبرَ سنِّه، ومن خصائصه أنَّ تطوعه قاعداً كهو قائماً في الأجر، بخلاف غيره فعلى النصف من أجر القائم إن لم

---

(١) ويستفاد من هذه الآية: المطلوب من العاملين الاعتماد على فضله تعالى وكرمه لا على العمل، لأن مقتضى عدله تعالى أن يفعل ما شاء، ولا يبالي بأعمال العاملين، ولذلك قال في الحِكَم: (إلهي كم من طاعةٍ بنَيتُها وحالةٍ شيدتُّها هدمَ اعتمادي عليها عدلُك بل أقالني منها فضلك) اهـ. (ابن قاسم).

جالِسٌ فإذا بَقِيَ من قراءَتِهِ قَدْرُ ما يكونُ ثلاثينَ أو أربعينَ آيةً قامَ فَقرأ وهو قائمٌ، ثم رَكَعَ وسجد، ثم صَنَعَ في الركعةِ الثانيةِ مِثلَ ذلك. [أخرجه البخاري (١٠٦٨) ومسلم (٧٣١)].

(٢١٥) عن عبدِ الله بنِ شَقِيقٍ قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ عن تَطوُّعِهِ فقالت: كان يصلِّي ليلاً طَويلاً قائِماً، وليلاً طَويلاً قاعداً، فإذا قَرأ وهو قائمٌ رَكعَ وسجدَ وهو قائمٌ، وإذا قَرأ وهو جالِسٌ رَكعَ وسجد وهو جالسٌ. [أخرجه مسلم (٧٣٠)].

يكن معذوراً[١].

(بقي من قراءته) أي: مقروئه.

(قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين) الترديد بينهما للتحرز من الكذب أن المقدار المذكور مبني على التخمين، وفيه إشارة إلى أن الذي قرأه قبل هذه البقية كان أكثر.

(مثل ذلك) أي: قرأ وهو جالس ثم كمل من قيام.

(٢١٥) (عن صلاة رسول الله ﷺ) أي: عن كيفيتها.

(عن تطوعِه) بدل مما قبله بإعادة الجار، والتطوع ما يتقرب به إلى الله تبرعاً من النفس.

(ليلاً طويلاً) أي: زمناً طويلاً من الليل حال كونه قائماً.

(ركع وسجد وهو جالس) مخالف للحديث الذي قبله، فإنَّ فيه أنه إذا

---

(١) أخرج مسلم (٧٣٥) عن عبد الله بن عمر، قال: حُدِّثت أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة»، قال: فأتيته فوجدته يصلي جالساً فوضعت يدي على رأسه، فقال: «مالك يا عبد الله بن عمر»، قلت: حدثت يا رسول الله أنك قلت: «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة»، وأنت تصلي قاعداً قال: «أجل، ولكني لست كأحد منكم».

(٢١٦) عن حَفصَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ يصلِّي في سُبْحَتِهِ قاعِداً، ويقرأُ بالسُّورةِ ويُرَتِّلُها حتى تكونَ أطولَ مِن أطولَ مِنها. [أخرجه مسلم (٧٣٣)].

(٢١٧) عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَمُتْ حتى كان أكثَرُ صَلاتِهِ وهو جالسٌ. [أخرجه مسلم (٧٣٢)].

(٢١٨) عن ابن عمر قال: صَلَّيْتُ معَ رسولِ الله ﷺ رَكْعتينِ قبل الظهر وركعتين بَعْدَها، وركعتينِ بعدَ المَغْرِبِ في بَيْتِهِ وركعتينِ بعدَ العِشاءِ في بيتِهِ. [أخرجه المصنف في السنن (٤٢٥)].

(٢١٩) عن حفصَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُصلِّي ركعتينِ . . . .

قرأ وهو جالس قام فقرأ ثم ركع وسجد وهو قائم، ويُجمَع بينهما بأنه فعل هذا تارةً وذاك تارة أخرى.

(٢١٦) **(سُبحته)** بضم السين المهملة، أي: نافلته سميت بذلك لاشتمالها على التسبيح. **(بالسورة)** الباء زائدة. **(ويرتّلها)** أي: يُبين الحروف ويراعي الوقوف.

(٢١٧) **(حتى كان)** أي: وجد **(أكثر صلاته)** والحال أنه جالس، فـ: **(كان)** تامة، وجملة: **(وهو جالس)** حاليَّة وهذا في صلاة النافلة.

(٢١٨) **(في بيته)** راجعٌ لجميع ما قبله، وكرر في بيته اهتماماً بشأنه، فإنَّ التنفُّل في البيت أفضل حتى من جوف الكعبة؛ لأن ذلك أبعد عن الرياء وأقرب للإخلاص[١].

(٢١٩) **(ركعتين)** هما سنة الصبح، وكان يخففهما[٢].

---

(١) ولئلا تخلو البيوت من الصلاة (ابن قاسم).

(٢) قد صح تخفيفهما من طرق في الصحيحين وغيرهما، وفي مسلم (٧٢٤) عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر فيخفف =

حينَ يَطلُعُ الفَجرُ. [أخرجه البخاري (٥٩٣) ومسلم (٧٢٣)].

(٢٢٠) عن عاصِمِ بنِ ضَمْرَةَ قال: سألْنا عليّاً رضي الله عنه عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ مِنَ النَّهارِ، فقال: إنَّكم لا تُطِيقونَ ذلك، فقُلنا: من أطاقَ ذلك مِنَّا صلَّى فقال: كان إذا كانتِ الشَّمسُ من ههُنا كَهَيْئَتِها من ههنا عِندَ العَصْرِ صلَّى ركعتين، وإذا كانت الشمسُ من ههنا كَهيئَتِها من ههنا عندَ الظُّهْرِ صلَّى أَرَبعاً، ويُصلِّي قبلَ الظهرِ أربعاً ....

(يطلع الفجر) أي: الصادق؛ وهو الضوء الذي ينفجر ويبدوا ساطعاً مستطيراً، وأما الكاذب: فهو الذي يبدو مستطيلاً ثم يذهب.

زاد في بعض النسخ: **(وينادي المنادي)** أي: يؤذن المؤذن.

(٢٢٠) (عن صلاة رسول الله) أي: عن كيفيتها.

(فقال) أي: بعد أن فهِم أن سؤالهم عنها ليفعلوا مثلها.

(إنَّكم لا تطيقون ذلك) أي: من حيثُ الكيفيةُ، من الخشوع والخضوع وحسن الأداء والمواظبة.

(من ههنا) أي: جهة المشرق.

(كهيئتها من ههنا) أي: جهة المغرب.

(صلى ركعتين) وهما صلاة الضحى.

(وإذا كانت الشمس من ههنا) أي: جهة المشرق.

(كهيئتها من ههنا) أي: جهة المغرب[1].

= حتى إني لأقول: هل قرأ فيهما بأم القرآن؟، قال القرطبي: هذا كناية عن التخفيف، لا أنها شكت هل قرأ أم لا اهـ. وظاهر الحديث الاقتصار فيهما على الفاتحة، وهو اختيار مالك وجمهور أصحابه، وعنه وعن أحمد والشافعي استحسان القراءة بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ على ما جاء في حديث أبي هريرة عند مسلم (٧٢٦) اهـ (ابن قاسم).

(١) قال ابن حجر في آخر باب الضحى: هذه الأربع وِردٌ مستقل سببه انتصاف النهار =

وبعدَها ركعتين، وقبلَ العصرِ أربعاً يَفْصِلُ بين كلِّ ركعتينِ بالتَّسْليمِ على الملائِكَةِ المُقَرَّبِينَ والنَّبِيين ومَن تَبِعهمْ مِنَ المؤمنينَ والمسلمينَ. [أخرجه المصنف في السنن (٥٩٨) (٥٩٩)].

(٢٢١) عن مُعاذة قالت: قلت لعائِشةَ رضي الله عنها: أكانَ النبيُّ ﷺ يُصلِّي الضُّحَى؟ قالت: نَعم، أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ويزيدُ ما شاءَ اللهُ عَزَّ وجل. [أخرجه مسلم (٧١٩)].

(وبعدها ركعتين) وفي بعض الروايات: أربعاً.

(وقبل العصر أربعاً) وفي بعض الروايات ركعتين، ولا منافاة لأنه فعل الأمرين تنبيهاً على سعة الأمر فحدَّث كلٌّ بما رأى.

(بالتسليم) أي: تسليم التحليل فإنه ينبغي أن يقصد به من ذكر **(من المؤمنين والمسلمين)** أي: المؤمنات والمسلمات.

(٢٢١) **(معاذة)** أي: بنت عبد الله العدويَّة.

(أربع) أي: يصلي أربع، **(ركعاتٍ)** وهذه زيادة في الجواب محمودة، والمراد أنه كان يصليها أربعاً في غالب أحواله، لقولها: **(ويزيد ما شاء الله)** أي: وينقص، ففي كلامها اكتفاء، وقد ورد أنها تجزئ عن الصدقة التي تطلب عن مفاصل الإنسان الثلثمائة وستين مفصلاً، كل يوم تطلع فيه الشمس كما في مسلم[1]، ووقتها الشرعي: من ارتفاع الشمس قدرَ رُمحٍ إلى الزوال، وأقلُّها ركعتان وأكثرها ثنتا عشرة ركعة.

= وزوال الشمس، وعند زوالها تفتح أبواب السماء، فهو نظير النزول الإلهي المنزه عن الحركة والانتقال بعد نصف الليل، إذ كل منهما وقت قرب ورحمة اهـ. (ابن قاسم).

(١) أخرج مسلم (٧٢٠)، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

(٢٢٢) عن أنسِ بنِ مالكٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُصلِّي الضُّحَى سِتَّ رَكَعاتٍ. [انفرد به المصنف].

(٢٢٣) عن عبدِ الرحمنِ بن أبي لَيْلَى قال: ما أخبَرَنِي أحدٌ أنَّهُ رأى النبيَّ ﷺ يُصلِّي الضُّحَى إلا أمُّ هانئ رضى الله عنها، فإنَّها حَدَّثَتْ أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ بَيْتَها يومَ فَتْحِ مَكَّةَ فاغْتَسلَ فَسَبَّحَ ثَمانِي ركَعاتٍ ما رأيْتُهُ صلَّى صلاةً قطُّ أخَفَّ منها، غيرَ أنَّه كان يُتِمُّ الرُّكوعَ والسُّجودَ. [أخرجه البخاري (١١٢٢) ومسلم (٣٣٦)].

(٢٢٤) عن عبدِ اللهِ بنِ شَقيقٍ قال: قلتُ لعائِشَةَ رضي الله عنها: أكان النبيُّ ﷺ يُصلِّي الضُّحى؟ قالت: لا، إلا أن يَجِيءَ من مَغِيبِهِ. [أخرجه مسلم (٧١٧)].

(٢٢٥) عن أبي سعيد الخُدْرِيّ قال: كان النبيُّ ﷺ يصلِّي الضُّحى

---

(٢٢٢) **(ست ركعات)** أي: في بعض الأوقات.

(٢٢٣) **(فسبَّح)** أي: صلى.

(ثماني) وفي نسخة: ثمانِ بحذف الياء اكتفاءً بكسر النون.

(أخفَّ منها) أي: لاشتغاله يوم الفتح بمهماته.

(يتم الركوع والسجود) أي: لا يخففهما جداً، وإلا فهو يتم سائر الأركان مع التخفيف.

(٢٢٤) **(قالت: لا)** محمول على نفي المداومة، فلا ينافي قولها في الحديث السابق: نعم.

(من مغيبه) أي: من سفره، كما في نسخة، فإنه كان لا يقدم من سفره إلا نهاراً وقت الضحى، فيبدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين ثم يجلس فيه.

حتى نقولَ: لا يَدَعُهَا، ويَدَعُها حتى نقولَ: لا يُصلِّيها. [أخرجه المصنف في السنن (٤٧٧)].

(٢٢٦) عن أبي أيوبَ الأَنْصارِيّ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُدْمِنُ أربعَ رَكعاتٍ عندَ زوالِ الشمسِ، فقلتُ: يا رسولَ الله إنَّكَ تُدْمِنُ هذه الأربعَ ركعاتٍ عند زوالِ الشمسِ، فقال: «**إنَّ أبوابَ السماءِ تُفْتَحُ عند زوالِ الشمسِ فلا تُرْتَجُ حتى يصلَّى الظُّهرُ، فأُحِبُّ أن يَصْعَدَ لي في تِلكَ السَّاعةِ خَيْرٌ**» قلت: أفي كُلِّهنَّ قراءةٌ؟ قال: «**نعم**»، قلت: هل فِيهِنَّ

(٢٢٥) (حتى نقول) أي: في أنفسنا ولبعضنا، **(لا يدعها)** أي: لا يتركها لمواظبته عليها أياماً متوالية. **(ويدعها)** أي: يتركها أحياناً خوفاً من أن يعتقد الناسُ وجوبها.

(٢٢٦) (يُدمِن) أي: يديم.

(عند زوال الشمس) أي: عقبه(١).

(تُدمِن) أي: تديم، والقصد الاستفهام عن حكمة ذلك.

(تفتح) أي: لقبول الطاعات ونزول الرحمات.

(فلا تُرْتَجْ) بتخفيف الجيم، أي: لا تغلق.

(يصعد) أي: يقبل، فإن الصعود الحقيقي يكون بصعود الملائكة بعد صلاة العصر وبعد صلاة الصبح.

(قلت): أي: للنبي.

(قراءة) أي: قراءة سورة غير الفاتحة.

---

(١) للنهي عن الصلاة حالة الاستواء، والظاهر ما قاله ابن حجر من أن هذه الأربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار (ابن قاسم).

تَسْلِيمٌ فاصِلٌ؟ قال: «**لا**». [أخرجه أبو داود في السنن (١٢٧٠)].

(٢٢٧) عن عبدِ الله بنِ سعيدٍ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الصَّلاةِ في بَيْتِي والصلاةِ في المسجِدِ، قال: «**قد تَرى ما أقربَ بيتي من المسجدِ، فَلأَنْ أُصلّي في بيتي أَحَبُّ إليَّ من أنْ أُصَلِّيَ في المسجدِ إلَّا أن تكونَ صلاةً مَكْتُوبةً**». [أخرجه ابن ماجه (١٣٧٨)].

(٢٢٨) عن عبدِ اللهِ بن شَقيقٍ قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن صِيام رسول الله ﷺ، قالت: كان يَصومُ حتى نقولَ: قد صامَ، ويُفْطِرُ حتى نقولَ: قد أَفْطَرَ، وما صامَ رسولُ الله ﷺ شهراً كامِلاً مُنذُ قَدِمَ المَدِينةَ إلَّا رَمَضَانَ. [أخرجه مسلم (١١٥٦)].

(قال: لا) أي: ليس فيهن تسليم واجب، فلا ينافي أن الأفضل الفصل به عند غير أبي حنيفة لخبر: «**صلاةُ الليل والنهار مثنى مثنى**»(١).

(٢٢٧) **(عن الصلاة)** أي: صلاة النفل هل هي في بيتي أفضل أو في المسجد؟ **(ما أقرب)** أي: كمال قرب بيتي من المسجد.

(أحب إلي) أي: لقربها إلى الإخلاص، ولتحصل البركة للبيت وأهله، ولتنزل الملائكة فيه، وليذهب عنه الشيطان، وفي الحديث: «**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبوراً**»(٢).

(مكتوبة) أي: مفروضة، فإن إظهارها في المسجد أفضل.

(٢٢٨) **(كان يصوم)** أي: يتابع صوم النفل **(حتى نقول)** أي: في أنفسنا أو لبعضنا: **(قد صام)** أي: داوم الصوم فلا يفطر، **(ويفطر)** أي: يداوم الفطر **(حتى نقول: قد أفطر)** أي: داوم الفطر فلا يصوم. **(منذ قَدِمَ المدينة)** إنما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٩٥)، والترمذي (٥٩٧)، والنسائي (١٦٦٦)، وابن ماجه (١٣٢٢)، وأحمد (٢/٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٢)، ومسلم (٧٧٧).

(٢٢٩) عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّه سُئِلَ عن صوم النبيِّ ﷺ فقال: كان يَصومُ مِنَ الشَّهْرِ حتى نَرَى أنْ لا يُرِيدَ أن يُفْطِرَ منه، ويُفْطِرُ حتى نَرَى أن لا يُرِيدَ أن يصومَ منه شيئاً، وكنتَ لا تَشاءُ أن تراهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِيّاً إلا رأيتَهُ مصلِّياً، ولا نائِماً إلا رأيتَهُ نائماً. [أخرجه البخاري (١٨٧١) (١٨٧٢) ومسلم (١١٥٨)].

(٢٣٠) عن أُمِّ سَلَمةَ قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يصومُ شهرينِ مُتتابعَينِ إلَّا شعبانَ ورمضانَ. [أخرجه أبو داود (٢٣٣٦)].

(٢٣١) عن عائشةَ قالت: لم أرَ رسولَ الله ﷺ يَصُومُ في شهرٍ أكثَرَ من صِيامِهِ في شعبانَ كان يَصومُ شعبانَ إلا قليلاً، بل كان يَصومُهُ كُلَّهُ. [أخرجه مسلم (٧٨٢) والمصنف في السنن (٧٣٧)، وأخرج البخاري نحوه (١٨٦٩)].

قيدت بذلك؛ لأن الأحكام لم تكثر إلا حينئذ، ولم يُفرض رمضان إلا في شعبان من السنة الثانية من الهجرة. وسمي رمضان لأنه يرمِضُ الذنوب، أي: يذهبها.

(٢٢٩) (أن لا يريد) يحتمل أنَّ «أنْ» مصدرية فيكون الفعل منصوباً، ويحتمل أنها مخففة من الثقيلة فيكون مرفوعاً فيوافق ما في نسخةٍ: «أنه».

(وكنتَ... إلخ) زيادة في الجواب إشارة إلى أنه ينبغي للسائل أن يعتني بالسؤال عن الصلاة أيضاً، والمراد أن وقت تهجده لا ينضبط بل بحسب ما يتيسر له من القيام.

(٢٣٠) (إلا شعبان) يخالف ما سبق، فيجمع بين الروايات بأنه صامه في بعض السنين، وصام جُلَّه في بعضها، فحدَّث كلٌّ بما رأى.

(٢٣١) (أكثَرَ) صفة لموصوف محذوف، أي: صياماً أكثر.

(بل كان يصومه كله) أي: في بعض السنين، ولعله آثره على المحرّم مع

(٢٣٢) عن عبدِ الله قال: كان رسولُ الله ﷺ يَصومُ من غُرَّةِ كلِّ شهرٍ ثَلاثةَ أيَّامٍ، وقلَّمَا كان يُفْطِرُ يومَ الجُمُعَةِ. [أخرجه أبو داود (٢٤٥٠)].

(٢٣٣) عن عائشةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يَتَحَرَّى صومَ الاثنين والخميسِ. [أخرجه المصنف في السنن (٧٤٥)].

(٢٣٤) عن أبي هريرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**تُعْرَضُ الأعمْالُ يومَ الاثنينِ والخميس، فأُحبُّ أن يُعْرَضَ عَملِي وأنا صائم**». [أخرجه المصنف في السنن (٧٤٧)].

أن صومه أفضل بعد رمضان كما في حديث مسلم(١)، لأنه كان يعتريه عذرٌ يمنعه من إكثار الصوم فيه، أو لأن لشعبان خصوصية لم توجد في المحرم، وهي رفع أعمال السنة في ليلة نصفه.

(٢٣٢) **(عبد الله)** أي: ابن مسعود. **(من غُرَّة)** أي: من أول(٢)، **(ثلاثة أيام)** أي: لتقوم مقام صومه لأن الحسنة بعشر أمثالها، فيكون كأنه صام الدهر. **(وقلما... إلخ)** أي: وقَلَّ إفطاره يوم الجمعة، وفيه دليل لمالك القائل باستحباب صوم يوم الجمعة، وتأوَّله الشافعيةُ القائلون بكراهته بأنه كان يصومه منضماً إلى ما قبله أو إلى ما بعده؛ لأحاديثَ أُخَر نهت عن إفراده بالصوم.

(٢٣٣) **(يتحرّى)** أي: يقصِد.

(٢٣٤) **(تُعرَض الأعمال)** أي: عرضاً إجمالياً لعمل الأسبوع، فلا ينافي

---

(١) أخرج مسلم (١١٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

(٢) ويحتمل أن يكون المراد بغرة الشعر أيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (ابن قاسم).

(٢٣٥) عن عائشةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يصومُ من الشَّهرِ السبتَ والأحدَ والاثنين، ومنَ الشهرِ الآخَرِ الثَّلاثاءَ والأرْبِعاءَ والخميسَ. [أخرجه المصنف في السنن (٧٤٦)].

(٢٣٦) عن مُعاذَةَ قالت: قلتُ لعائشةَ: أكان رسولُ الله ﷺ يَصومُ ثلاثةَ أيَّام من كلِّ شهرٍ؟ قالت: نعم، قلتُ: من أيِّهِ كان يصومُ؟ قالت: كان لا يُبالِي من أيِّهِ صامَ. [أخرجه مسلم (١١٦٠)].

(٢٣٧) عن عائشةَ قالت: كان عاشُوراءُ يَوْماً تَصومُهُ قُرَيْشٌ في الجاهليَّةِ، وكان رسولُ الله ﷺ يَصومُهُ، فلمَّا قَدِمَ المَدينةَ صامَهُ وأمرَ بِصيامِهِ، فلمَّا افْتُرِضَ رَمَضَانُ كان رَمضانُ هو الفَرِيضَةَ، . . . .

أنها تعرض كلَّ يوم وليلةٍ عرضاً تفصلياً، وتعرض أيضاً عرضاً إجمالياً لعمل السنة في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر، وحِكمةُ العرض أن الله تعالى يباهي الملائكة بالطائعين[1]، وإلا فهو أعلم بعباده من الملائكة.

(٢٣٥) (الثلاثاء) بالمد وفتح المثلَّثة وتضم.

(والأربعاء) بتثليث الموحَّدَة.

(٢٣٦) (من أيه) أي: من أيامه.

(٢٣٧) (عاشوراء) بالمد وقد يُقصَر، وهو عاشر المحرَّم.

(في الجاهلية) أي: تلقياً من أهل الكتاب.

(فلما قدم المدينة) أي: ورأى اليهود تصومه وسألهم عن ذلك، فقالوا: إنه يوم نجَّى الله فيه موسى وأغرق فرعون، فصامه موسى شكراً لله، فنحن

---

(١) واستحضار هذا المعنى عند العمل يعين على الإخلاص في الأعمال، ومراعاة أحوال النفس، والتنبيه لدسائسها (ابن قاسم).

وتُرِكَ عاشُوراءُ، فَمَنْ شاءَ صامَهُ ومَنْ شاءَ تركَهُ. [أخرجه البخاري (١٨٩٧) (١٨٩٨) ومسلم (١١٢٥)].

(٢٣٨) عن عَلْقَمَةَ قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها: أكانَ رسول الله ﷺ يَخُصُّ من الأيَّام شَيئاً؟ قالت: كان عَملُهُ دِيْمَةً، وأيُّكُمْ يُطِيقُ ما كان رسولُ الله ﷺ يُطِيقُ. [أخرجه البخاري (١٩٨٧) ومسلم (١٨٢٩)].

(٢٣٩) عن عائشةَ قالت: دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ وعِنْدِي امرأةٌ فقال: «**مَن هذه؟**» قلتُ: فُلانَةُ . . . .

نصومه، فقال: نحن أحقُّ بموسى منكم، وصامه[1] بوحي من الله أو اجتهاد، وقد وردَ أنَّ صومه يكفِّر السنة الماضية[2].

(وتُرِك عاشوراء) أي: نسخ وجوبه بناء على أنه كان فرضاً أو تأكُّدُ ندبِه الشديد بناء على أنه لم يكن فرضاً.

(٢٣٨) (يخص من الأيام شيئاً) أي: يتطوع في يوم معين بعمل مخصوص فلا يفعل في غيره مثله.

(قالت: كان) وفي رواية: قالت: لا، كان **(عمله ديمة)** أي: دائماً والمراد بالدوام الغالب، وإلا فقد كان يصوم ويفطر، ويصلي الضحى ويتركها.

(٢٣٩) (فلانة) كناية عن العَلم المؤنث، فهو غير منصرف، واسمها الحولاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٧) ومسلم (١١٣٠).

(٢) أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية».

لا تَنامُ الليلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**عليكُمْ مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقونَ، فواللهِ لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا، وكان أحبُّ ذلك إلى رسولِ الله ﷺ الذي يَدُومُ عليه صاحِبُهُ**» [أخرجه البخاري (٤٣) ومسلم (٧٨٥)].

(٢٤٠) عن أبي صالحٍ قال: سألتُ عائشةَ وأمَّ سَلَمةَ: أيُّ العَملِ كان أحبَّ إلى رسولِ الله ﷺ؟ قالتَا: ما دِيمَ عليه وإنْ قَلَّ. [أخرجه المصنف في السنن (٣٠٤)].

(٢٤١) عن عوفِ بنِ مالكٍ قال: كنتُ معَ رسول الله ﷺ ليلةً فاسْتاكَ ثم تَوضَّأ ثم قام يصلِّي، ....

(**لا تنام الليل**) أي: تحييه بالعبادة.

(**عليكم**) أي: الزموا (**من الأعمال ما**) أي: العمل الذي (**تطيقون**) المداومةَ عليه، والخطاب لعموم الأمة، فغلَّبَ الذكورَ على الإناث.

(**لا يَمَل الله حتى تَمَلُّوا**) بفتح أول الفعلين وثانيهما، وفي رواية:

(**لا يسأم حتى تسأموا**)، وهي مفسِّرة للأولى، وإسناد المَلَل لله من قبيل المشاكلة اللفظية على حد: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وإلا فهو مستحيل على الله؛ لأنه فتورٌ يَعرِض للنفس من كثرة مزاولة شيء، والمراد لا يقطع ثوابَه عنكم حتى تقطعوا العبادة.

(**أحبُّ**) بالرفع اسم كان، و(**الذي**) خبرها في محل نصبٍ، أو بالنصب خبرُها مقدم، والذي اسمها في محل رفع، واسم الإشارة عائد إلى العمل.

(٢٤٠) (**ما ديم عليه**) أي: مداومةً عرفيةً؛ لأنَّ الحقيقة الشاملة لجميع الأزمنة غيرُ ممكنة.

(٢٤١) (**ليلة**) وكانت ليلةَ القدر.

(**يصلي**) أي: يريد صلاة التراويح.

فَقُمْتُ مَعهُ، فَبدَأ فاسْتَفْتَحَ البَقرَةَ فلا يَمُرُّ بآيةِ رحمةٍ إلَّا وقفَ فسألَ، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقَف فَتعوَّذَ، ثم رَكعَ فَمكثَ راكِعاً بِقدْرِ قيامِهِ، ويقولُ في رُكوعِهِ: «**سبحانَ ذي الجَبَرُوتِ والملَكُوتِ والكِبْرِياءِ والعَظَمةِ**» ثم سَجَدَ بِقَدْرِ ركُوعِهِ، ويقولُ في سُجودِهِ: «**سبحانَ ذِي الجَبرَوتِ والملكوتِ والكِبْرِياءِ والعظمةِ**»، ثم قَرَأ: آلَ عِمرانَ ......

(فقمت معه) أي: للاقتداء به.

(فبدأ) أي: شرع فيها بالنية وتكبيرة الإحرام.

(فاستفتح البقرة) أي: شرع فيها بعد قراءة الفاتحة حتى أتمَّها.

(إلا وَقَف) أي: أمسك عن القراءة.

(فسأل) أي: طلب من الله الرحمة.

(فتعوذ) أي: بالله من العذاب.

(ويقول) عبَّر بالمضارع استحضاراً لحكاية الحال الماضية.

(ذي الجبروت) أي: صاحب الجبر والقهر.

(والملكوت) أي: الملك.

(والكبرياء والعظمة) هذان الوصفان لا يوصف بهما غيره، لما ورد: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمتُه ولا أبالي**»[١] وذِكْرُ الرِّداء والإزار مجاز فإن العرب تقول: فلانٌ شِعاره الزهد، ودثاره التقوى، ولا يريدون الثوب الذي هو شعار ودثار، وإنما يريدون أنه صفته ونعته.

(ثم قرأ آل عمران) أي: في الركعة الثانية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤١٤)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٥) بلفظ: «من نازعني واحداً منهما قذفته في النار».

ثم سُورةً سورةً، يَفْعلُ مثلَ ذلِكَ. [أخرجه أبو داود (٨٧٣)].

(ثم سورة) أي: ثم قرأ سورة النساء في الثالثة.

(سورة) أي: ثم قرأ سورة المائدة في الرابعة، ففيه حذف حرف العطف.

(يفعل مثل ذلك) أي: حال كونِه يفعل مثلَ ما تقدم من السؤال والتعوذ والركوع والسجود في كل ركعة.

فَقُمْتُ مَعهُ، فَبدَأ فاسْتَفْتَحَ البَقَرَةَ فلا يَمُرُّ بآيَةِ رحمةٍ إلّا وقفَ فسأَلَ، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلّا وقَف فَتعوَّذَ، ثم رَكعَ فَمكثَ راكِعاً بِقدْرِ قيامِهِ، ويقـول في رُكـوعِهِ: «**سبحانَ ذي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرياءِ والعَظَمةِ**» ثم سَجَدَ بِقَدْرِ ركُوعِهِ، ويقولُ في سُجودِه: «**سبحانَ ذِي الجَبرَوتِ والملكوتِ والكِبْرِياءِ والعظمةِ**»، ثم قَرَأ: آلَ عِمرانَ ......

(فقمت معه) أي: للاقتداء به.

(فبدأ) أي: شرع فيها بالنية وتكبيرة الإحرام.

(فاستفتح البقرة) أي: شرع فيها بعد قراءة الفاتحة حتى أتمَّها.

(إلا وَقَف) أي: أمسك عن القراءة.

(فسأل) أي: طلب من الله الرحمة.

(فتعوذ) أي: بالله من العذاب.

(ويقول) عبَّر بالمضارع استحضاراً لحكاية الحال الماضية.

(ذي الجبروت) أي: صاحب الجبر والقهر.

(والملكوت) أي: الملك.

(والكبرياء والعظمة) هذان الوصفان لا يوصف بهما غيره، لما ورد: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمتُه ولا أبالي**»[1] وذِكْرُ الرِّداء والإزار مجاز فإن العرب تقول: فلانٌ شِعاره الزهد، ودثاره التقوى، ولا يريدون الثوب الذي هو شعار ودثار، وإنما يريدون أنه صفته ونعته.

(ثم قرأ آل عمران) أي: في الركعة الثانية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤١٤)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٥) بلفظ: «من نازعني واحداً منهما قذفته في النار».

ثم سُورةً سورةً، يَفْعلُ مثلَ ذلِكَ. [أخرجه أبو داود (٨٧٣)].

(ثم سورة) أي: ثم قرأ سورة النساء في الثالثة.

(سورة) أي: ثم قرأ سورة المائدة في الرابعة، ففيه حذف حرف العطف.

(يفعل مثل ذلك) أي: حال كونِه يفعل مثلَ ما تقدم من السؤال والتعوذ والركوع والسجود في كل ركعة.

باب ما جاء في قراءةِ رسول الله ﷺ

(٢٤٢) عن يَعْلَى بنِ مَمْلَكٍ أنه سَأَلَ أُمَّ سلمةَ عن قِرَاءةِ رسولِ الله ﷺ، فإذا هي تَنْعَتُ قِراءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفاً حرفاً. [أخرجه أبو داود (١٤٦٦)].

(٢٤٣) عن قَتادةَ قال: قُلت لأنَسِ بنِ مالكٍ: كيفَ كانت قراءةُ رسولِ الله ﷺ؟ قال: مَدّاً. [أخرجه البخاري (٤٧٥٨)].

(٢٤٤) عن أُمِّ سلمةَ قالت: كان النبيُّ ﷺ يُقَطِّعُ قراءتَهُ، يقولُ: «**الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمين**» ثم يَقِفُ، ثم يقولُ: «**الرحمن الرحيم**» ثم يقفُ، وكان يَقْرَأُ: «**مَلِكِ يومِ الدِّينِ**» [أخرجه أبو داود (٤٠٠١)].

---

(٢٤٢) (**عن قراءة رسول الله**) أي: عن صفتها.

(**تنعت**) أي: تصف بأن قالت: كان قراءته كذا وكذا، أو قرأت قراءة مرتلة مبينة، وقالت: كان يقرأ مثل هذه القراءة (**حرفاً حرفاً**) حال، أي: حال كونها مفصولة الحروف.

(٢٤٣) (**مدّاً**) أي: ممدودة أو ذات مدّ لما يستحق المد إما مطولاً أو مقصوراً أو متوسطاً، وليس المراد المبالغة في المدِّ بغير موجب.

(٢٤٤) (**يقطع قراءته**) أي: يجعلها قطعاً بأن يقفَ على رؤوس الآي[1].

(**مَلِكِ**): بلا ألف وفي أغلب نسخ الشمائل: (**مالك**)، قال القسطلاني: وأظنه سهواً من النساخ، والصواب: (**مَلِكِ**) بلا ألف كما أورده المؤلف في جامعه.

---

(١) قال البيهقي والحليمي وغيرهما: يسن الوقوف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها للاتباع اهـ. (ابن قاسم).

(٢٤٥) عن عبدِ الله بنِ أبي قَيْسٍ قال: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عنِ قِراءةِ النبيّ ﷺ: أكانَ يُسِرُّ بالقراءةِ أَمْ يَجْهَرُ؟ قالت: كلَّ ذلك قد كان يفعلُ، ربَّما أسَرَّ، وربَّما جهر، فقلتُ: الحمدُ لله الذي جعلَ في الأَمْرِ سَعَةً. [أخرجه مسلم (٣٠٧)].

(٢٤٦) عن أُمِّ هانئ قالت: كنتُ أسمعُ قراءةَ النبيِّ ﷺ بالليلِ وأنا على عَرِيشي. [أخرجه النسائي (١٠١٣)].

(٢٤٧) عن عبد اللهِ بن مُغَفّلٍ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ على ناقَتِهِ يومَ الفَتْحِ وهو يَقْرأُ: «**إنَّا فَتَحْنا لك فَتْحاً مُبيناً** ....

---

(٢٤٥) **(قراءة النبي ﷺ)** أي: بالليل.

(بالقراءة) الباء زائدة لأن **(أسرَّ)** يتعدى بنفسه، أو أنه ضَمَّن يسرّ معنى يخافتْ.

(كلَّ) بالنصب، مفعول مقدم، وبالرفع على الابتداء، والرابط محذوف، أي: يفعله، ثم فسَّرت ذلك بقولها: **(ربما أسرَّ)** أي: أحياناً.

(وربما جهر) أي: أحياناً.

(سَعَة) بفتح السين وكسرها، أي: عدم ضيق، فيجوز كل منهما، وأفضلهما ما كثر خشوعُه وبعُدَ عن الرياء.

(٢٤٦) **(قراءة النبي ﷺ)** أي: في صلاته ليلاً عند الكعبة. **(وأنا على عريشي)** أي: وأنا نائمة على سريري.

(٢٤٧) **(على ناقته)** أي: حالَ كونه راكباً على ناقته.

(يوم الفتح) أي: فتح مكة.

(إنَّا فتحنا لك) أي: السورة بتمامها.

(فتحاً مبيناً) أي: بيِّناً واضحاً، وهذا الفتح هو فتح مكة، أو فتح خيبر،

لِيغْفِرَ لَكَ ما تقدَّمَ من ذَنبِكَ وما تأخَّر»، فَقَرأ ورجَّعَ. [أخرجه البخاري (٤٠٣١) ومسلم (٧٩٤)].

(٢٤٨) عن قَتادةَ قال: ما بعثَ اللهُ نَبيّاً إلَّا حَسَنَ الوجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ، وكان نَبِيُّكُمْ ﷺ حَسَنَ الوجْهِ حَسَنَ الصَّوتِ، وكان لا يُرَجِّعُ. [انفرد به المصنف].

(٢٤٩) عن ابن عباسٍ قال: كانت قراءَةُ النبي ﷺ رُبَّما يَسْمَعُها مَن في الحُجْرةِ وهو في البَيْتِ[1] [أخرجه أبو داود (١٣٢٧)].

والأكثرون على أنه صلح الحديبية لتسبب نشر الإسلام عنه.

(ليغفر لك الله. . . .إلخ) أي: لتجتمع لك هذه الأمور الأربعة، وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. وتقدم أن المراد بالذنب ما هو من باب حسناتُ الأبرار سيئات المقربين.

(ورجع) أي: ردَّدَ صوته بالقراءة، فالمراد تحسين التلاوة، والمراد بالنفي في قوله الآتي: وكان لا يرجِّع: ترجيع الغناء، لأنه ينافي الخشوع.

(٢٤٩) (كانت) وفي نسخة: كان **(قراءة النبيِّ ﷺ)** أي: بالليل في صلاة أو غيرها.

(مَنْ في الحجرة) أي: صحن البيت من أهله.

(وهو) أي: النبي ﷺ.

---

(١) كانت هيئة صلاته ﷺ في الليل على أنواع ثلاثة:

إحداها: أنه ﷺ كان أكثر صلاته قائماً، ويدل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم (٧٣٣) عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (ما رأيت رسول الله صلى في سبحته . نافلته . قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعداً، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطولَ مِن أطولَ منها). أي حتى تكون السورة القصيرة بسبب ترتيلها أطول من سورة أطول منها خلت من الترتيل.

=

. . . .

. . . .

=

الثانية: أنه ﷺ كان يصلي قاعداً، ويركع قاعداً، كما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يصلي ليلاً طويلاً قائماً؛ وليلاً طويلاً قاعداً، وكان إذا قرأ قائماً، ركع قائماً، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد). رواه مسلم (٧٣٠).

الثالثة: أنه ﷺ كان يقرأ قاعداً، فإذا بقي يسير من قراءته، قام فركع قائماً، كما في البخاري (١٠٦٨) عن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ كان يصلي ـ أي النافلة ـ جالساً فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية، قام فقرأ وهو قائم ثم ركع وسجد...) الحديث

قال الحافظ الزرقاني: فجمع رسول الله ﷺ بين ما يطيقه من القيام والجلوس، إبقاء على نفسه، ليستديم الصلاة. اهـ. المواهب للقسطلاني وشرحها.

باب ما جاء في بكاءِ رسول الله ﷺ (*)

(٢٥٠) عنَ عبدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يُصلّي ولِجَوْفِهِ أزِيزٌ كأزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكاءِ. [أخرجه أبو داود (٩٠٤)].

(٢٥١) عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**اقْرَأْ عَليَّ**»، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أقرَأُ عليكَ وعَليكَ أُنْزِلَ؟ قال: «**إنِّي أُحِبُّ أن أسْمَعَهُ مِن غَيرِي**»، فقرأتُ سورةَ النِّساء حتى بَلغتُ...........

(*) **(بكاء)** بالمد والقصر، وبكاء النبي ﷺ تارة يكون خشيةً من الله، وتارة يكونُ اشتياقاً ومحبةً، لا سيما عند سماع القرآن، وتارة يكون خوفاً على أمّته، وتارة يكون رحمة وشفقة على الميِّت.

(٢٥٠) **(أزيز)** هو غليان البكاء في الجوف، **(المِرجل)** أي: القِدر الذي يطبخ فيه.

(٢٥١) **(قال لي: رسول الله ﷺ)** أي: وهو على المنبر.

(أقرأ عليك) استفهام محذوف الهمزة. **(أن أسمَعه من غيري)** أي: ليكون سمعي خالصاً لتعقل المعاني، بدون اشتغال بضبط الألفاظ وإعطاء الحروف حقها.

(فقرأت سورة النساء) أي: شرعت في قراءتها.

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: ٤١]، فرأيتُ عَيْنَيْ رسولِ الله ﷺ تَهْمِلانِ. [أخرجه البخاري (٤٣٠٦) ومسلم (٨٠٠)].

(٢٥٢) عن عبدِ الله بنِ عمروٍ قال: انْكَسَفَتِ الشمسُ يوماً على عَهْدِ رسولِ الله ﷺ، فقامَ رسولُ الله ﷺ يصلِّي حتى لم يَكَد يَرْكعُ، ثم ركَعَ

(وجئنا بك على هؤلاء) أي: الذين شهدوا على الأمم السابقة بقبح الأعمال[1].

(شهيداً) أي: مزكِّياً، وأول الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النِّساء: ٤١] أي: يشهد عليها وهو نبيها.

(تَهْملان) بفتح الفوقية وسكون الهاء وكسر الميم أو ضمها، أي: تسيل دموعهما لفَرْط رأفتِه؛ لأنه استحضر أهوال القيامة وشدة الحال التي يحق لها البكاء[2].

(٢٥٢) (يوماً) هو اليوم الذي مات فيه ابنه إبراهيم، سنة تسع أو عشر من الهجرة، فقال الناس: كُسِفَت الشمس لموتِ إبراهيم.

(لم يكد يركع) أي: لم يقرب من الركوع، وهو كناية عن طول القيام، وهكذا يقال فيما يأتي، وهذا الحديث صريح في أنها بركوع واحد، وبه

---

(١) ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء هذه الأمة، ويرجح هذا الوجه قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] (ابن قاسم).

(٢) في هذا الحديث البكاء عند قراءة القرآن، وهو من صفات العارفين وسمات الصالحين، وقد مدحهم الله سبحانه وتعالى بذلك في قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] وفي قوله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وطريق الوصول إلى ذلك أن ينظر إلى تقصير نفسه في ذلك كله، وعدم قيامه به فيبكي على نفسه، فإن لم يجد من نفسه ذلك لقساوة قلبه فليبكِ على ترك بكائِه (ابن قاسم).

فلم يكدْ يرفعُ رأسَهُ، ثم رفعَ رأسَهُ فلم يكدْ أن يَسْجُدَ، ثم سجدَ فلم يكدْ أن يرفَعَ رأسَه، ثم رفع رأسَه فلم يكدْ أن يسجدَ، ثم سجدَ فلم يكدْ أن يرفعَ رأسهُ، فجعلَ يَنْفُخُ ويبكِي، ويقول: «**رَبِّ ألم تَعِدْني أن لا تُعَذِّبَهم وأنا فيهم، رَبِّ ألم تعِدْني أن لا تعذّبَهُمْ وهم يَسْتغِفرونَ، ونحنُ نَسْتغفِرُكَ**» فلما صلَّى ركعتينِ انْجَلتِ الشمسُ، فقامَ فحمِدَ اللهَ تعالى وأثنى عليه ثم قال: «**إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ، لا يَنْكسِفَانِ لمَوتِ أَحدٍ ولا لحياتِه، فإذا انكَسَفا** . . . .

احتج أبو حنيفة، وذهب الشافعي ومالك إلى أنها تصلى بركوعين في كل ركعة لأدلة أخرى، واعلم أن النبيَّ ﷺ لم يصلِّ لكسوف الشمس إلا هذه المرة، وقد خسف القمر في السنة الخامسة وصلى له النبي صلاة الخسوف.

(**ينفخ ويبكي**) أي: بحيث لا يظهر من النفخ ولا من البكاء حرفان أو حرف مفهم، أو أنه كان يغلبُه ذلك بحيثُ لا يمكنه دفعه.

(**ويقول: رب**) أي: يا رب.

(**ألم تعِدْني**) أي: بقولك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وإنما قال ذلك لأن الكسوف مظنةُ العذاب، ووعد الله ربما كان مشروطاً بشرطٍ اختلَّ.

(**فقام**) أي: في محله، وقيل: رقى المنبر.

(**وأثنى عليه**) عطف تفسير.

(**آيتان**) أي: علامتان من علامات الله الدالة على تخويف العباد من سطوته، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

(**ولا لحياته**) أي: كما يزعمون عند انكسافها لحياة الحجَّاج، فهو من إعلام النبوة فإنها انكسفت في حياة الحجَّاج.

فافْزَعوا إلى ذِكْرِ اللهِ» [أخرجه أبو داود (١١٩٤)].

(٢٥٣) عن ابنِ عباسٍ قال: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ ابْنَةً له تَقْضِي فاحْتَضَنها فوضَعها بين يديْهِ فماتَتْ وهي بين يديهِ، وصاحَتْ أُمُّ أَيْمَنَ فقال ﷺ: **«أَتَبْكِينَ عند رسولِ الله؟»** فقالت: أَلَسْتُ أراكَ تَبكِي؟ قال: **«إنِّي لستُ أبكي»**، ....

(فافزعوا إلى ذكر الله) أي: بادروا إلى الصلاة.

(٢٥٣) (ابنة له) أي: بنت بنته زينب، فنسبتُها له مجازيَّة، لأن بناتِه تزوجْنَ في حياته.

(تقضِي) أي: تشرف على الموت.

(فاحتضنها) أي: حملها في حِضنه بكسر الحاء، وهو ما دون الإبط إلى الكشح.

(فماتتْ) أي: أشرفت على الموت(١)، فإنها عاشت بعده حتى تزوجها علي بن أبي طالب ومات عنها، كما اتفق عليه أهل العلم بالأخبار، وكان اسمها أمامة.

(وصاحت) أي: صرخت.

(أم أيمن) حاضنتُه التي ورثها من أبيه وأعتقها وزوَّجها لزيد مولاه.

(أتبكين) أي: بكاءً محظوراً لاقترانه بالصياح الدال على الجَزَع، وإنما قال: **(عند رسول الله)** لأنه أبلغ في الزجر من قوله: عندي.

(لست أبكي) أي: بكاءً ممتنعاً كبكائِك، بل بكائي دمع العين فقط.

---

(١) يحتمل أن يكون على حقيقته ويكون هناك وهم في قوله: (ابنة)، والصواب: ابنه، ويكون المراد أحد بنيه القاسم أو عبد الله أو إبراهيم، ويحتمل أن المراد ابن بعض بناته (ابن قاسم).

إنَّما هي رَحْمَةٌ، إنَّ المُؤْمِنَ بكلِّ خيرٍ على كل حالٍ، إنَّ نفْسَهُ تُنْزَعُ من بين جَنْبيهِ وهو يحمَدُ الله عزَّ وجلَّ» [أخرجه النسائي (١٨٤٣)].

(٢٥٤) عن عائشةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَبَّلَ عثمانَ بنَ مَظْعونٍ وهو مَيتٌ وهو يبكي، أو قال: عَيْناهُ تُهرقان. [أخرجه أبو داود (٣١٦٣)].

(٢٥٥) عن أنسِ بن مالكٍ قال: شَهِدْنا ابْنَةً لِرسولِ الله ﷺ، ورسولُ الله جالِسٌ على القَبر، فرأيتُ عَيْنيه تَدْمعانِ، فقال: **«أفيكمُ رجلٌ**

(إنما هي) أي: الدموع **(رحمة)** أي: أثر رحمة جعلها الله في قلبي، ثم بيَّنَ وجه كونها رحمة بقوله: **(إنَّ المؤمن)** أي: الكامل.

(على كل حال) أي: من نعمة أو بليّة لأنه يحمَدُ ربَّه على كل منهما، فلا يُشغِلُه نزعُ نفسِه عن الحمد، بل يرى المحنة منحة لما يترتب عليها من الثواب.

(٢٥٤) **(قبَّل عثمان)** أي: بين عينيه، وكان أخاه من الرضاعة.

(أو قال) أي: الراوي، بدل **(وهو يبكي)**، **(عيناه)** وفي رواية: **(وعيناه)** **(تُهرقان)** بضم الفوقية وفتح الهاء وسكونها مضارع مبني للمفعول، والأصل يهريقهما النبي ﷺ، أي: يصُبُّ دمعهما.

(٢٥٥) **(شهدنا)** أي: حضرنا.

(ابنة) هي أم كلثوم كان زوَّجها لعثمان بعد رقيّة التي ماتت ودفنت والنبيُّ في غزوة بدر، ولما عزّي في رقيَّة قال: **«الحمد لله، دفنُ البناتِ من المكرمات»**[(١)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٦٦)، والأوسط (٢/ ٣٧٢) قال الهيثمي: وفيه عثمان بن عطاء الخراساني، وهو ضعيف اهـ.

لم يقارِف الليلةَ» قال أبو طلحةَ: أنا، قال: «**انْزِل**» فَنَزَلَ في قَبْرِها. [أخرجه البخاري (١٢٢٥)].

(لم يُقارفْ) أي: لم يجامع، وفي رواية: **(لا يدخل القبر أحد قارفَ البارحة)**، فتنحى عثمان لكونه كان باشر تلك الليلة أمةً له، فمنعه النبي ﷺ من نزول قبرها ليلحدها معاتبة له لاشتغاله عن زوجته المحتضَرة[1].

---

(١) قال ابن حجر: وهو ظاهر إن صح ذلك، وإلا فالحكمة أنه لم يُرِد أن يكون النازل قريب العهد بمخالطة النساء لتكون نفسه مطمئنة ساكنة كالناسية للشهوة. (ابن قاسم).

باب ما جاء في فِراشِ رسول الله ﷺ (*)

(٢٥٦) عن عائشةَ قالت: إنما كان فِراشُ رسولِ الله ﷺ الذي يَنامُ عليه من أَدَمٍ، حشْوُهُ ليفٌ. [أخرجه البخاري (٦٠٩١) ومسلم (٢٠٨٢)].

(٢٥٧) عن محمدٍ الباقِرِ قال: سُئلتْ عائشةُ: ما كان فِراشُ رسولِ الله ﷺ في بَيْتِكِ؟ قالت: من أدَمٍ، حشوة ليفٌ، وسُئلتْ حفصةُ: ما كان فِراشُ رسولِ الله ﷺ في بيتِكِ؟ قالت: مِسْحاً نَثْنِيهِ ثِنيَتين فَينامُ عليه، فلما كان ذاتَ ليلةٍ قلتُ ....

(*) **(فراش)** أي: مفروش، ويقال له أيضاً: فَرْش؛ تسمية بالمصدر.

(٢٥٦) **(من أدَم)** بفتحتين، أي: مصنوعاً من أَدَم، جَمْع أديم، أي: جِلْد، **(حشوه ليف)** من ليف النخل ليقتدى به في خشونة فراشه[1].

(٢٥٧) **(عن محمد الباقر)** في هذا الحديث انقطاع فإن محمداً لم يدرك عائشة ولا حفصة، وهو لا يضر في حديث الثقات.

(مِسحاً) أي: كساء خَشِناً من صوف.

(ثِنْيَتين) بكسر المثلثة.

(فلما كان) أي: وُجِد، و**(ذات)** بالرفع فاعل، وروي بالنصب على الظرفية، ففاعل كان ضمير يعود على الوقت، وعلى كلٍّ فلفظةُ ذات مقحمَة، أو صفة لمحذوف، أي: ساعة ذات ليلة.

(قلت) أي: في نفسي، أو لبعض خَدَمي.

---

(١) ولعل هذه الخشونة تساعد على قلة النوم؛ لأن الفراش الوثير يساعد على كثرة النوم، وهذا ما يفيده الحديث الآتي.

لو ثَنَيْتُهُ أربعَ ثِنْياتٍ لكان أوْطَأَ له، فَثَنَيْناهُ له بأربَعِ ثِنْياتٍ، فلما أصبحَ قال: «**ما فَرشْتُموا لي الليلة؟**» قالت: قلنا: هو فِراشُكَ إلا أنَّا ثَنَيْنَاهُ بأربعِ ثنياتٍ، قلنا: هو أوطأُ لك، قال: «**رُدُّوهُ لِحالتِه الأولى، فإنه مَنَعْتنِي وطأَتُهُ صلاتِيَ الليلَةَ**». [انفرد به المصنف].

(**أَوْطَأ**) أي: أَلْيَن، يقال: وَطُؤَ الفِراش فهو وطيء، كقَرُبَ فهو قريب.

(**بأربع**) أي: ثنياً ملتبساً بأربع.

(**ثنيات**) أي: طبقات.

(**فإنه**) أي: الحال والشأن.

(**منعتني وطأتُه**) أي: منعني لينُه (**صلاتي**) أي: تهجدي[1] لأن كثرةَ الفراش سبب في كثرةِ النوم، وإنما قال ذلك إرشاداً للعابدين، وإلا فهو لا ينام قلبه، أو أنه قد يُسلَك به مسالك الضعفاء للتشريع، فينام عن ورده، ليتعلم من نزل به ذلك كيف يفعل كما تقدم.

---

(١) (فائدة) ينال المتهجد فضائل تجليات الرب عز وجل في الثلث الثاني والثلث الأخير، كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الفجر» قال في الفتح: زاد سعيد عن أبي هريرة: «هل من تائب فأتوب عليه» وزاد أبو جعفر عنه: «من ذا الذي يسترزقني فأرزقه، من ذا الذي يستكشف الضر فأكشف عنه».

وزاد عطاء عنه: «ألا سقيم يستشفي فيشفى».

باب ما جاء في تواضعِ رسولِ الله ﷺ (*)

(٢٥٨) عن عمرَ بنِ الخطابِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُطْروني كما أطْرتِ النَّصارى ابنَ مَريمَ إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُهُ**». [أخرجه البخاري (٣٢٦١)].

(٢٥٩) عن أنسِ بن مالكٍ: أن امرأةً جاءت إلى النبيِّ ﷺ فقالت له: إن لي إليكَ حاجةً، فقال: «**اجْلِسي في أيِّ طريقِ المَدِينةِ شئتِ**

(*) **(تواضع)** هو التذلل والخضوع لإشراق نور الشهود في القلب[1].

(٢٥٨) **(لا تُطْروني)** من الإطراء، وهو مجاوزة الحد في المدح.

(كما أطرت النصارى ابن مريم) فجعله بعضُهم إلهاً، وبعضُهم ابن الإله، ولله در البوصيري حيث قال:

دَعْ ما ادَّعَتْه النَّصارى في نبيِّهمِ ... واحكُم بما شِئْتَ مدحاً فيهِ واحتَكِمِ

(٢٥٩) **(إنَّ لي إليك حاجة)** أي: أريد إخفاءها عن غيرك.

(في أي طريق) أي: في أي جزء من أجزاء طريق المدينة.

(١) التواضع عند المحققين: أن لا يرى العبدُ لنفسه قدراً ولا قيمةً ولا مزيَّةً، ويرى الحالة التي هو فيها أعظمَ من أن يستحقَّها، وقال في الحكم: (ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوقَ ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دونَ ما صنع) ثم التواضع تارة يكون لرؤية العبد النقص من نفسه، وتارة يكون عن شهود عظمة ربه، وهذا هو التواضع الحقيقي.

أجلسْ إليْكِ». [أخرجه مسلم (٢٣٢٦)].

(٢٦٠) وعنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يَعودُ المَرضَى ويَشْهَدُ الجنَائزَ، ويركَبُ الحِمارَ، ويُجيبُ دعوةَ العبدِ، . . . .

(أجلس إليكِ) أي: معكِ، وبادر حتى جلس معها في الطريق وقضى حاجتها لبراءته من الكبر، ومحلُّ النهي عن الجلوس في الطريق إذا لزم عليه إيذاء المارة.

(٢٦٠) (يعود المرضى) أي: ولو كُفاراً يرجى إسلامهم، فقد عاد غلاماً يهودياً كان يخدُمه، وقال له: «**أسلم**» فأسلم[(١)]. وكان يدنو من المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله: كيف حالك؟ ويدعو له بما شاء[(٢)].

(ويشهد الجنائز) أي: يحضرها لتشييعها والصلاة عليها، سواء كانت لشريف أم وضيع.

(العبد) وفي رواية: المملوك؛ فيجيبه للأمر الذي يدعوه له من ضيافة أو

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

(٢) أخرج البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢١٩١) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يُعَوِّذُ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما».

وأخرج الترمذي (٢٠٨٣) وأبو داود (٣١٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض».

قال ابن حجر: وجملة آداب العيادة عشرة، ومنها ما لا يختص بالعيادة: أن لا يقابل الباب عند الاستئذان، وأن يدقَّ الباب برفق، وأن لا يُبهِم نفسه كأن يقول أنا، وأن لا يخص وقتاً يكون غير لائق بالعيادة، كوقت شرب المريض الدواء، وأن يخفف الجلوس، وأن يغضَّ البصر، وأن يقلِّلَ السؤال، وأن يظهر الرِّقة، وأن يخلص الدعاء، وأن يوسع للمريض في الأجل، وأن يشير عليه بالصبر لما فيه من جزيل الأجر، ويحذره من الجزع لما فيه من العذر اهـ (ابن قاسم).

وكان يومَ بني قُرَيظةَ على حِمارٍ مَخْطومٍ بِحبلٍ من ليفٍ، وعليه إكافٌ من ليفٍ. [أخرجه المصنف في السنن (١٠١٧)].

(٢٦١) وعنه قال: كان النبيُّ ﷺ يُدْعَى إلى خُبزِ الشَّعيرِ والإهالَةِ السَّنِخَةِ فيُجيبُ، ولقد كانت له دِرْعٌ عند يَهُودِيٍّ فما وَجَد ما يَفُكُّها حتى ماتَ. [أخرجه البخاري (١٩٦٣)].

غيرها، وروي أن الأمَة كانت تأخذ بيده، فتنطلق به في حاجتها[1].

(يوم بني قريظة) أي: في يوم الذهاب لحربهم عقِبَ الخندق.

(مخطوم) أي: مَجعُول له خِطام بكسر الخاء المعجمة، وهو الزمام.

(إكاف) أي: برذعة، ويؤخذ من الحديث أن ركوب الحمار لا يُخِل بمروءة ذلك المنصِب الشريف.

(٢٦١) **(والإهالة السَّنِخَة)** أي: الدهن المتغير الريح من طول المكث، ويقال: الزنخة بالزاي بدل السين.

(ولقد كانت) وفي نسخة: كان **(له درع)** يذكر ويؤنث.

(عند يهودي) هو أبو الشحمة، أي: رهنَها عنده على ثلاثين صاعاً من الشعير لبيان الجواز.

(فما وجد) أي: لتباعده عن الدنيا، فكانت تأتي إليه ولا يريدها، كما قال البويصري:

وراوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عن نَفْسِهِ فأراهَا أيَّمَا شَمَمِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٤) عن أنس بن مالك قال: كانت الأمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت. في رواية الإمام أحمد (٩٨/٢): فتنطلق به في حاجتها.

(٢٦٢) وعنه قال: حَجَّ رسولُ الله ﷺ على رَحْلٍ رَثٍّ وعليه قَطِيفَةٌ لا تساوي أربَعةَ دَراهمَ فقال: «**اللهمَّ اجعلهُ حَجّاً لا رِياءَ فيه ولا سُمْعَةَ**». [أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٠)].

(حتى مات) أي: وافتكّها أبو بكر بعده[١]

(٢٦٢) **(حجَّ)** أي: حَجَّة الوداع، ولم يحجَّ بعد الهجرة غيرها.

(على رَحل) أي: حال كونه راكباً على قتَب فوق ظهر الجمَل.

(رثٍّ) أي: بالٍ.

(وعليه) أي: الرحل.

(لا رياء... إلخ) الرياء أن يعمل ليراه الناس، والسمعة أن يَعمل وحده ثم يتحدث بذلك ليسمعه الناس، والنبي ﷺ معصوم منها، فدعاؤه بالبعد عنهما من التواضع، أو لتعليم الأمة[٢]، وقد أهدى النبي ﷺ في هذه الحجة مائة بدنة.

---

(١) شراؤه صلى الله عليه وسلم ورهنه من يهودي لأن اليهودي يقبض الرهن ويتقاضى الثمن دون المسلم لأنه لا يفعل شيئاً من ذلك، وفي ذلك دليل على كمال شرف نفسه ﷺ، وعلو همته، ومزيد حشمته وبراءته من الطمع، وشفقته على أصحابه بعد التضييق عليهم... ولو علم الصحابة بحاجته إلى ألوف الأرادب لحملوها إليه، وأقسموا عليه في قبولها ورأو المنَّة عليهم في قبول ذلك (ابن قاسم).

(فائدة) ومن تواضعه ﷺ وتكريمه لعباد الله المسلمين:

ما روى الإمام أحمد وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في حجة النبي ﷺ: «أن النبي ﷺ أتى السقاية فقال اسقوني» فقالوا: إنَّ هذا يخوضه الناس، ولكنا نأتيك به من البيت. فقال: «لا حاجة لي فيه، اسقوني مما يشرب الناس». الحديث فانظر في هذا التواضع العظيم، من صاحب الخلق العظيم، لم يقبل أن يؤتى بشراب خاص له ﷺ وأبى إلّا أن يشرب مما يشرب منه الناس، ولو خاضت فيه أيديهم ا هـ.

ينظر: (سيدنا محمد رسول الله) للشيخ عبد الله سراج الدين

(٢) وفيه تنبيه على أن المطلوب من العبد أن يتهم نفسه في عباداته، وإن كان ظاهر حاله

=

(٢٦٣) وعنه قال: لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسولِ الله ﷺ، وكانوا إذا رَأَوْهُ لم يَقُوموا لما يَعْلَمونَ من كَراهَتِهِ لذلك. [أخرجه المصنف في السنن (٢٧٥٥)].

(٢٦٤) عن الحسنِ بنِ عليٍّ قال: سألتُ خالِيَ هِندَ ابنَ أبي هالةَ ـ وكان وصَّافاً عن حِلْيةِ رسولِ الله ﷺ، وأنا أشْتَهي أن يَصِفَ لي منها

(٢٦٣) (إليهم) أي: إلى الصحابة[1].

(من كراهته لذلك) أي: تواضعاً وخوفاً عليهم من الفتنة إذا أفرطوا في تعظيمه، وكان لا يمنعُ قيامَهم لبعضِهم، بل قال: قومُوا لسيِّدكم، يعني: سعد بن معاذ سيِّد الأوس، لأنه حقّ لغيره.

(٢٦٤) (عن الحسَن) هو أكبر من الحسين بسنة لأنَّه وُلِد في رمضان سنة ثلاث، ومات سنة سبع وأربعين، ووُلِدَ الحسين في شعبان سنة أربع، وعاش بعد الحسن عشر سنين.

(وكان وصَّافاً) جملة حالية، أي: كثير الوصف لرسول الله ﷺ هو وعليّ بن أبي طالب، لأنَّ كلاً منهما تربى في حجره، فعمدة أحاديث الشمائل تدور عليهما.

= يقضي بكمالها، وأيضاً في ذلك إشارة إلى طلب الاجتهاد في تصحيح القصد في عبادة الحج لكثرة ما يعرض فيها من الرياء والسمعة والمباهاة والمفاخرة (ابن قاسم).

(١) هذا معلوم من حال الصحابة رضي الله عنهم، ومن ثم اختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم وأحبابهم، وقاتلوا معه آباءهم وأبناءهم حتى قتل أبو عبيدة أباه، وتعرض أبو بكر لقتل ولده عبد الله يوم بدر، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير، وقتل عمر خاله العاص بن هشام.

وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ.. (ابن قاسم).

شيئاً، فقال: كان رسولُ الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يَتلألأ وجْهُهُ تلألؤَ القَمرِ ليلةَ البدرِ، فذكَر الحديثَ بِطُولِه، قال الحسنُ: فَكَتَمْتُها الحُسيْنَ زَماناً ثم حَدَّثْتُهُ فوجدتُه قد سبقَنِي إليه، فسألَهُ عما سألْتُهُ عنه، ووجَدتُّه قد سألَ أباهُ عن مَدْخَلِه ومَخرَجِهِ وشَكلِهِ فلم يَدَعْ منه شيئاً. قال الحُسينُ: فسألتُ أبي عن دُخُولِ رسولِ الله ﷺ، فقال: كان إذا أوَى إلى مَنْزِلِهِ جَزَّأ دُخولَهُ ثلاثةَ أجْزاءٍ، جُزْءاً لله، وجُزءاً لأهْلِهِ، وجُزءاً لنفسِه، ثم جَزَّأ

(فذكر) أي: الحسن.

(الحديث) أي: المتقدمَ أول الكتاب.

(فكتَمتها الحسين) أي: عن الحسين، ولعلَّه ليختبر اجتهادَه في تحصيل العلم بحلية جدِّه، أو لينتظِرَ سؤاله عنها ليكون التعليم أثبت.

(إليه) أي: إلى خالي هند.

(أباه) وفي نسخة: أبي، أي: علي بن أبي طالب.

(عن مدخله ومخرجه) المراد عن حاله في زمن دخوله في البيت، وفي زمن خروجه منه.

(وشكله) أي: هيئته وطريقته، فيشمل السؤال عن مجلسه الآتي.

(يدع) أي: يترك.

(قال الحسين) أي: في تفصيل ما أجمله.

(أوى) أي: وصل.

(جَزَّأَ دخوله) أي: قسَّم زمن دخوله ثلاثة أقسام: **(جزءاً لله)** أي: لعبادته والتفكر في مصنوعاته.

(وجُزْءاً لأهله) أي: للمؤانسة، فإنه كان أحسنَ الناس عِشرةً.

(وجُزْءاً لنفسه) أي: لنفع نفسه فيعمل ما يعود عليها بالتكميل الدنيوي

جُزْأَهُ بينَهُ وبين الناسِ، فَيَرُدُّ ذلك بالخاصَّةِ على العامّةِ، ولا يَدَّخِرُ عنهم شيئاً، وكان من سِيرتِهِ في جُزْءِ الأُمَّةِ إيثارُ أهلِ الفضلِ بإذْنِهِ وقَسْمُهُ على قدرِ فَضْلِهِم في الدِّينِ، فمنهمْ ذو الحاجةِ، ومنهم ذو الحاجَتَينِ ومنهم ذو الحوائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بهم ويَشْغَلُهمْ فيما يُصْلِحُهمْ والأُمَّةَ من مَسْئَلتِهِمْ عنه، وإخْبارِهمْ بالذي ينبغي لهم، ويقولُ: . . . .

والأخروي، وفي الحقيقة الأجزاء كلها لله، فإن المباحات تصير بالنّية قربات.

(فيردُّ ذلك) أي: الجزء الذي جعله للناس.

(بالخاصة) أي: بسبب الخاصة الذين يدخلون عليه.

(على العامة) وهم الذين لم يعتادوا الدخول عليه.

(ولا يدَّخِر) أي: لا يخفي **(عنهم شيئاً)** من النصح والهداية.

(من سيرته) أي: عادته وطريقته.

(إيثار) أي: تقديم **(أهل الفضل بإذنه)** لهم في التقدم.

(وقَسْمُه) عطف على إيثار، أي: قسَّم ذلك الجزء **(على قدر فضلهم)** أي: زيادتهم **(في الدين)** أي: في مسائله، فالمراد بالحوائج المسائل المتعلقة بالدين.

(ويَشغلهم) بفتح أوله مضارع شَغَل كَمَنَعَ، وأمَّا بضمها من أشغل فلغة قليلة أو رديئة.

(والأُمَّة) عطف على الضمير من عطف العام على الخاص.

(من مسألتهم عنه) بيان لما، أي: من سؤالهم النبي ﷺ عما يصلحهم والأمَّة **(وإخبارهم بالذي ينبغي لهم)** أي: وإخبار النبي ﷺ إياهم بالأحكام التي تليق بهم والمعارف التي تسعها عقولهم، ومن ثَمَّ اختلفت وصاياه

«لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ منكمُ الغائبَ، وأبْلغوني حاجةَ من لا يَسْتطيعُ إبْلاغَها، فإنه مَن أبْلغَ سلطاناً حاجةَ مَن لا يستطيعُ إبلاغَها ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يومَ القيامةِ»، لا يُذكرُ عندَهُ إلا ذلك، ولا يَقْبل مِن أحدٍ غيرَهُ، يدخُلونَ رُوَّاداً، ولا يَفْترِقونَ إلا عن ذَواقٍ، ويَخْرُجُون أدِلَّةً ـ يعني: على الخير ـ قال: فسألْتُهُ عن مَخْرَجِهِ: كيف كان يصْنعُ فيه؟ قال: كان رسولُ الله ﷺ يَخزِنُ لسانَهُ إلا فيما يَعْنيهِ، ....

لأصحابه بحسب اختلاف أحوالهم، فأوصى كلاً بما يليق به.

(الشاهد) أي: الحاضر.

(الغائب) أي: عن المجلس حتى من سيوجد، وكل من بلغَه يبلغ غيره من بقية الأمَّة إلى أن تقوم الساعة.

(وأبلغوني) أي: أوصلوا إليَّ.

(سلطاناً) المراد به القادر على التنفيذ.

(ثبَّتَ الله قدميه) أي: على الصراط جزاء سعيهما في الخبر.

(لا يذكر) أي: لا يحكي **(عنده إلا ذلك)** أي: إلا ما ينفعهم في دينهم أو دنياهم.

(ولا يقبَل من أحدٍ غيره) أي: غير ما ذكر، كالتأكيد لما قبله.

(يدخلون) أي: أكابر الصحابة عنده.

(روّاداً) جمع رائد، وهو من يتقدم القوم لينظر لهم ما يحتاجونه، والمراد هنا من يتقدم ليستفيد من النبي ﷺ ما يُصلح أمرَ الأمَّة.

(ذواق) هو في الأصل المذوق من الطعام، والمراد هنا العلم والأدب.

(أدلة) أي هداة للناس.

(يخزُن) بضم الزاي وكسرها، أي: يحبس.

ويُؤَلِّفُهمْ ولا يُنَفِّرُهمْ، ويُكرِمُ كَرِيمَ كلِّ قومٍ ويُوَلِّيه عليهمْ، ويَحْذَرُ الناسَ ويَحْتَرِسُ منهمْ من غير أن يَطْوِيَ عن أحد منهمْ بِشْرَهُ وخُلُقَهُ، ويتفقَّدُ أصحابَهُ، ويَسألُ الناسَ عمَّا في الناسِ، ويُحسِّنُ الحَسَنَ ويُقَوِّيهِ، ويُقَبِّحُ القَبيحَ ويُوهِّيهِ، مُعْتدِلُ الأمْرِ غيرُ مُخْتَلفٍ، لا يَغْفُلْ . . . .

(ويؤلفهم) أي: يجعلهم آلفين له، أو يؤلِّف بينهم.

(ويوليه عليهم) أي: لأن القوم أطوع لكبيرهم.

(ويحذر الناس) أي: يحترز منهم فيأخذ بالحَزْم.

(ويحترس) أي: يتحفظ.

(من غير أن يطوِي) أي: يمنع **(بشرَه)** أي: طلاقة وجهه.

(وخلقه) الحسن.

(ويتفقَّدُ أصحابه) أي: يسأل عنهم حال غيبتهم، فإن كان أحدهم مريضاً عاده، أو مسافراً دعا له، أو ميتاً استغفر له.

(ويسأل الناس عما في الناس) أي: يسأل خواصَّه عما وقع في الناس ليكُفَّ الظالم وينصُر المظلوم، ويؤخذُ منه أنه ينبغي للحكام أن يسألوا عن أحوال الرعايا.

(ويحسِّن الحسَنَ) أي: يظهر حسنَه بمدحِه، أو مدح فاعله.

(ويقوِّيه) أي: يظهر قوّتَه بدليل.

(ويوهيه) أي: يجعله واهياً ضعيفاً بالزجْر عنه.

(معتدل الأمر غير مختلف) الرواية برفع هاتين الكلمتين، أي: هو معتدل. .إلخ، أي أن جميع أموره من الأقوال والأفعال في غاية الاعتدال لا اختلاف فيها.

(لا يغْفُل) بسكون الغين المعجمة وضم الفاء، أي: عن تذكير أصحابه وتعليمهم.

مخافةَ أن يَغْفُلُوا أو يَمِيلُوا، لكلِّ حالٍ عندَه عَتَادٌ، لا يُقَصِّرُ عن الحقِّ ولا يُجاوِزُهُ، الذينَ يَلونَهُ من الناسِ خيارُهُمْ، أَفْضلُهمْ عندهُ أَعَمُّهمْ نَصِيحَةً، وأعْظَمُهمُ عندهُ منزِلةً أحْسنُهمْ مُواساةً ومُوازَرةً، قال: فسألْتُهُ عن مَجْلِسِهِ، فقال: كان رسولُ الله ﷺ لا يقومُ ولا يجلِسُ إلا على

(مخافة أن يغْفُلوا) أي: عنِ الاستفادة.

(أو يميلوا) أي: إلى الدَّعة والراحة.

(عتَاد) كسَحَاب، أي: شيءٌ معَدٌ لهُ، فكان يُعِدّ لكل حال شكله كآلةِ الحرب للحرب وهكذا.

(لا يقصِّر عن الحق) أي: عن استيفائه لصاحبه أو عن بيانه.

(ولا يجاوزه) أي: لا يتجاوزه فلا يأخذ أكثر منه.

(الذين يلونه من الناس) أي: يقربون منه لاكتسابِ الفضائل ونشرها.
(خيارهم) لأنهم الذين يصلُحون لاستفادة العلوم، فينبغي للعالم أن يجعل خيار الطلبة بالقرب منه.

(أفضلهم) أي: الناس.

(أعمّهم) أي: أكثرهم.

(نصيحَةً) للمسلمين في الدين والدنيا، لما ورد: «**الدينُ النصيحةُ**»[1].

(مواساة) أي: إحساناً للمحتاجين.

(وموازرة) أي: معاونة لإخوانهم في مهمات الأمور، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

(إلّا على ذِكْر) أي: إلا حال كونه متلبساً بذكر، فهو سيد الذين

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

ذِكْرٍ، وإذا انتهى إلى قَوْمٍ جَلسَ حيثُ يَنتهي به المَجْلِسُ، ويَأْمُرُ بذلك، يُعْطِي كلَّ جُلَسائِهِ بِنَصِيبِهِ، لا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أنَّ أحداً أكرمُ عليه منه، مَن جالَسهُ أو فاوَضَه في حاجةٍ صابَرَهُ حتى يكونَ هو المُنْصرِفَ عنه، ومن سألهُ حاجةً لم يردَّهُ إلا بها أو بِمَيْسورٍ مِن القولِ، قد وسِعَ الناسَ بَسطُهُ وخُلقُهُ فصار لهم أباً ....

يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[١].

(ويأمر) أي: أصحابه.

(كلَّ جلسائه) أي: كل واحد منهم.

(بنصيبه) أي: نصيبه من البشْرِ والطلاقة والتعليم، فالباء زائدة للتأكيد.

(لا يحسَب) أي: لا يظن[٢].

(أو فاوضه) أي: شرع معه في الكلام في مشاورة أو مراجعة.

(صابره) أي: غلبه في الصبر على المجالسة والمكالمة.

(أو بميسور من القول) كأن يعِدَه بالعطاء إذا جاء شيء، كما وقع له مع كثيرين، وقد قال أبو بكر في خلافته وقد جاءه مال: من كان له عند رسولِ الله ﷺ عِدَة فليأتنا، فأتوه فوفَّاهم.

(وسع) أي: عَمَّ **(الناسَ)** حتى المنافقين **(بَسْطُه)** أي: بِشْرُه.

(وخلقه) أي: حسن خلقِه. وفي الحديث: «**إنكم لن تسَعُوا الناس**

(١) لامتلاء قلبه ﷺ بجلال الله وتعظيمه ومحبته، فكان مولعاً بذكره وتمجيده وتعظيمه وحسن الثناء عليه، بدلالة الخلق عليه وترغيبهم في طاعته وتعريفهم بقدره، فلا حديث له إلا عنه، ولا تعريج له إلا عليه. (ابن قاسم).

(٢) وسيأتي في باب خُلُق رسول الله ﷺ قول عمرو بن العاص: كان يقبل بوجهه وحديثه عَلَيَّ حتى ظننت أني خير القوم.

وصاروا عنده في الحقِ سواءً، مجلِسُهُ مجلسُ حِلْمٍ وحياءٍ، وأمانةٍ وصبرٍ، لا تُرفعُ فيه الأصواتُ، ولا تُؤبَنُ فيه الحُرمُ، ولا تُنْثَى فَلَتاتُهُ مُتَعادِلينَ، بل كانوا يَتَفاضَلونَ فيه بالتَّقْوى، مُتَواضِعين، يوقِّرونَ فيه

بأموالِكم فسَعُوهم بأخلاقِكم»[(١)].

(سواء) أي: فيوصل لكل واحد منهم ما يستحِقُّه.

(حِلْمٍ) وفي نسخة: عِلم.

(وحياء) لأن أصحابه كانوا يجلسون بين يديه كأنما على رؤوسهم الطير.

(وأمانةٍ) أي: على ما يقع في المجلس من الأسرار.

(وصبرٍ) أي: منه على جُفاتِهم.

(لا ترفع فيه الأصوات) أي: لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحُجرَات: ٢].

(ولا تؤبن) أي: لا تعاب.

(الحُرَم) بضم المهملة وفتح الراء وبضمها جمع حرمة؛ وهي ما يحترم من أهل الرجل، فلا قذفَ فيه ولا غيبة.

(ولا تنثى) أي: لا تذاع **(فلتاته)** أي: هفواته، والضمير للمجلس، فإذا حصل من بعض حاضريه هفوة لا تشاع.

(متعادلين) خبر لـ: «كان» مقدرة، أي: كانوا متساوين فلا يتكبر بعضُهم على بعض، ولا يفتخِر عليه بحسَبٍ أو نسَبٍ.

(يتفاضلون) أي: يفضُل بعضُهم على بعض **(فيه)** أي: في مجلسه.

(متواضعين) حال من فاعل يتفاضلون.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٢١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم وليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

الكَبِيرَ ويَرحمونَ فيه الصَّغيرَ، ويُؤْثرونَ ذا الحاجةِ ويَحْفظونَ الغَرِيبَ. [أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٨٦)].

(٢٦٥) عن أنسِ بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لو أُهْدِيَ إليَّ كُراعٌ لَقِبلْتُ، ولو دُعِيتُ إليه لأجَبتُ**» [أخرجه المصنف في السنن (١٣٣٨)].

(٢٦٦) عن جابر قال: جاءني رسولُ الله ﷺ ليس بِراكبِ بَغلٍ ولا بِرْذَوْنٍ. [أخرجه البخاري (٥٣٤٠)].

(٢٦٧) عن يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سَلامٍ قال: سَمّاني رسولُ الله ﷺ

(الصَّغير) بفتح الصاد وكسرها.

(ويؤثرون) أي: يقدِّمون **(ذا الحاجة)** على أنفسِهم في تقريبه للنبي ﷺ ليقضي حاجته منه.

(الغريب) أي: مِن الناس فيكرمونه ويحفظون حقَّه.

(٢٦٥) **(كُراعٍ)** هو مستدَقُّ الساقِ من الغنم والبقر، يذكَّر ويؤنَّث.

(لقَبِلتُ) أي: ليحصل التحابب(١).

(إليه) وفي نسخ عليه، فعلى بمعنى إلى.

(٢٦٦) **(ليس براكب)** بل كان ماشياً هو وأبو بكر لعيادته.

(ولا برذون) وهو الفرس العجمي(٢).

---

(١) وتواضعاً وتعظيماً لنعمة الله....، فمن الخلق الجميل قبول القليل والجزاء بالجزيل، ولأن الهدية على قدر المهدي لا على قدر المهدى إليه. (ابن قاسم).

(٢) سمي بذلك لثقله، و أصل البرذنة: الثقل (ابن قاسم).

يوسفَ، وأقْعَدنِي في حِجْرِهِ، ومسحَ على رَأسِي[١]. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٣٥)].

(٢٦٨) عن عَمْرَةَ قالت: قيل لعائشةَ، ماذا كان يَعمَلُ رسولُ الله ﷺ في بَيْتِهِ؟ قالت: كان بَشراً من البَشَرِ: يَفْلي ثوبَه، ويحلِبُ شاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَه. [أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٦٧٥)].

---

(٢٦٧) **(حَجْره)** بفتح الحاء المهملة وكسرها، وهو مقدم الثوب[٢].

(٢٦٨) **(عَمْرة)** أي: بنت عبد الرحمن.

(كان بشراً من البشر) ذكرتْه تمهيداً لما تذكره الذي هو محطُّ الجواب.

(يَفْلي ثوبَه) أي: يفتشه ليلتقط ما عَلِقَ به من نحو شوك، لا نحو قملٍ، لأنهم نصُّوا على أنه لم يكن فيه قمل[٣]، ولم يقع عليه ذبابٌ قطُّ.

(ويحلِبُ) بضم اللام وكسرها.

(ويخدُم) بضم الدال المهملة وتكسر، وفي رواية يرقع ثوبه ويعمل ما يعمل الرجالُ في بيوتهم، وأكثر ما يعملُ الخياطة[٤].

---

(١) وقوله: ومسح على رأسي أي: مسح النبي ﷺ بيده على رأسي تبريكاً عليه. زاد الطبراني: ودعا لي بالبركة.
فيسن لمن يتبرك به تسمية أولاد أصحابه وتحسين أسمائهم، ووضع الصغير في الحجر كما فعل المصطفى ﷺ من كمال تواضعه وحسن خلقه. اهـ.
حاشية البيجوري على الشمائل.

(٢) في المُغْرِب: هو الحُضن، وهو ما دون الإبط إلى الكشح. (ابن قاسم).

(٣) لأن أصل القمل من العفونة ولا عفونة فيه، وأكثره من العرق وعرقه ﷺ طيب. اهـ. شرح البيجوري على الشمائل.

(٤) في ذلك أنه ينبغي للرجل أن يكون في بيته متواضعاً، فلا يترب على أهله ويكون عندهم كالأمير عليهم. (ابن قاسم).

باب ما جاء في خُلُقِ رسول الله ﷺ وحيائِهِ(*)

(٢٦٩) عن خارِجَةَ بنِ زيدِ بن ثابتٍ قال: دخل نَفَرٌ على زيدِ بنِ ثابتٍ فقالوا له: حدِّثنا أحادِيثَ رسولِ الله ﷺ، قال: ماذا أُحَدِّثُكُمْ؟ كنتُ جارَهُ، فكان إذا نَزَل عليهِ الوحيُ بعثَ إليَّ فَكَتَبْتُهُ له، فَكُنَّا إذا ذَكَرنا الدُّنْيا ذكَرها مَعنا، . . . .

(*) **(في خُلُق)** بضم المعجمة واللام وتسكَّن، وهو الطبع والسجية، وقد بلَغَ النبيُّ ﷺ من حسن الخُلُق ما لم يصل إليه أحدٌ بشهادة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤]. وما ألطف قول ابن الفارض:

أرَى كلَّ مَدْحٍ في النبيّ مُقَصِّراً ... وإن بالَغَ المثْنِي عليهِ وأكْثَرَا

إذا اللهُ أَثنَى بالذي هُوَ أهْلُهُ ... عليه فما مِقْدَارُ ما تَمدحَ الوَرَى

(وحيائِه) هو خلق يبعث على فعل المليح وترك القبيح.

(٢٦٩) (نَفَر) هو اسم جمع لجماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، لا واحد له من لفظه، بل من معناه وهو رجل.

(فقالوا له) أي: لزيد لأنه كان من جُملة كَتَبَةِ الوحي لرسول الله ﷺ.

(حدثنا) أي: أحاديث الشمائل.

(ماذا أحدثكم) أي: أيَّ شيء أُحدثُكم به من كون شمائله لا تحصى، ثم حدثهم ببعضها بقوله: كنت جاره. . . إلخ.

(ذكرها معنا) أي: ذكر الدنيا المعينة على أمر الآخرة كالجهاد وما يتعلق به من المشاورة في أموره.

وإذا ذَكرْنا الآخِرَةَ ذكَرها مَعنا، وإذا ذَكرنا الطَّعامَ ذكرهُ معنا، فكلٌّ هذا أُحدِّثُكمْ عن رسولِ الله ﷺ. [أخرجه الطبراني في الكبير (٤٨٨٢)].

(٢٧٠) عن عمرو بنِ العاص قال: كان رسولُ الله ﷺ يُقبِلُ بِوَجهِهِ وحديثِهِ على أشرِّ القومِ يتألَّفُهم بذلِكَ، فكان يُقبِل بِوَجهِهِ وحَديثِهِ عليَّ حتى ظَنَنْتُ أنِّي خيرُ القومِ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أنا خيرٌ أو أبو بكرٍ؟ فقال: أبو بكرٍ، فقلتُ: يا رسولَ الله، أنا خيرٌ أو عمرُ؟ فقال: عمرُ، فقلتُ: يا رسول الله، أنا خيرٌ أو عثمانُ، فقال: عثمانُ، فلمَّا سألتُ

(ذكرها معنا) أي: ذكر تفاصيل أحوالها.

(ذكره معنا) أي: ذكر أنواعه وأفاد ما في كلٍّ من منفعةٍ أو مضرةٍ كما يعلم من الطب النبوي[1]

(فكلٌّ) بالرفع على الابتداء والرابط محذوف، أي: أحدِّثُكم به، وبالنصب على أنه مفعول مقدم.

(٢٧٠) **(العاصي)** بالياء وحذفها.

(أشَرِّ) بالهمز وهو لغة قليلة، و الكثير حذفها.

(يتألَّفُهم) أي: أشر القوم، وإنما أتى بضمير الجمع لأنه جمع في المعنى.

(حتى ظَنَنْتُ) أي: لأنه لم يعرف أن قصده بالإقبال عليه التألف فقط.

---

(١) كان ﷺ مع كمال شرفه وعلو درجته ورفعة منصبه وفخامة قدره، كان على غاية من التواضع، وحسن خلقه مع أصحابه كي لا يدهشوا، ويتكلمون في مجلسه بما يشاؤون، وكان من شدة تلطفه بأصحابه وحسن عشرته معهم يتكلم في سائر ما يتكلمون فيه، ولا يأنف من الكلام في الدنيا والطعام ونحو ذلك من الأمور العادية، وحكمة ذلك أن يزيد إقبالهم عليه واستفادتهم منه، ولولا ذلك لما قدر أحد منهم أن يقعد معه ولا أن يسمع كلامه لما رزقه الله تعالى من الجلالة والمهابة والعظمة في القلوب. (ابن قاسم).

رسولَ الله صَدَقَنِي، فَلَوَدِدْتُ أنِّي لم أكنْ سألتُه. [انفرد به المصنف].

(٢٧١) عن أنسٍ بن مالكٍ قال: خَدَمتُ رسولَ الله ﷺ عشْرَ سِنينَ فما قال لي: أُفٍّ قَطُّ، وما قال لي لشيءٍ صَنعْتُهُ، لِمَ صَنعتَهُ، ولا لِشيءٍ تَركتُهُ: لم تركتَهُ، ....

(صدقني) أي: أجابني بالصدق، وفي نسخ: فصدقني، بزيادة الفاء.

(فلودِدت) بلام القسَم وكسر الدال المهملة، أي: تمنيت، ويؤخذ من الحديث جواز الإقبال على الأشْرار لاتقاء شَرِّهم، وأما الثناء عليهم فلا يجوز لأنه كذب صريح[1].

(٢٧١) (عشر سنين) وكانَ ابنَ عشْرٍ[2].

(أُفٍّ) بضم الهمزة وتشديد الفاء مكسورة بلا تنوين، وبه، ومفتوحة بلا تنوين، وفيها لغات أخر، وهي كلمة تبرُّم ومَلال يخاطب بها الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وأصل الـ: أفّ وسَخُ الظُّفُرِ والأذُن.

(قطُّ) ظرف للزمن الماضي.

(لم تركتَه) زاد في رواية: ولكن يقول: قدّر الله وما شاء فعل، ولو قدّر الله كان، وهذا يقتضي أن أنساً لم ينتهك من محارم الله شيئاً في مدة خدمته[3].

---

(١) وفيه إشارة إلى أن المؤمن الضعيف أحوج إلى الإرشاد والهداية من غيره، فالشفقة عليه أكثر. (ابن قاسم).

(٢) قال في الإصابة: جاءت به أمه أم سليم حين قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين وقالت له: يا رسول الله، هذا ابني غلام كيّس يخدمك، فقَبِلَهُ وكنَّاه أبا حمزة. اهـ. (ابن قاسم).

(٣) إذ لا يسعه ﷺ السكوت عليها، لأنها من قبيل الأمر بالمعروف، وفي ذلك فضيلة لأنس، وكان ذلك ببركة خدمة النبي ﷺ وصحبته (ابن قاسم.

وكان رسولُ الله ﷺ من أحْسنِ الناس خُلُقاً، ولامَسِسْتُ خَزّاً ولا حَرِيراً ولا شيئاً كان ألْيَنَ من كَفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمِمْتُ مِسْكاً قَطُّ ولا عِطْراً كان أطيبَ من عَرَقِ النبيِّ ﷺ. [أخرجه مسلم (٢٣٣٠)].

(٢٧٢) وعنه: أنَّهُ كان عندَ رسولِ الله ﷺ رجلٌ به أثَرُ صُفْرَةٍ، وكان رسولُ الله ﷺ لا يَكادُ يُواجِهُ أحداً بشيءٍ يَكرَهُهُ، . . . .

(من أحسن) أي: أحسن **(الناس خُلُقاً)** أي: مع عُموم الناس، لا مَعَ خصوصِ أنس.

(مَسِست) بكسر السين الأولى أفصح من فتحها. أي: لَمَسْت.

(خَزّاً) أي: ثوباً مركباً من حرير وغيره.

(ولا حريراً) أي: خالصاً.

(شَمِمت) بكسر الميم الأولى وفتحها من بابي تعِبَ ونَصَرَ.

(مسكاً) أصله دم يتجمد في خارج سرة الظبية ثم ينقلب طِيباً، وهو طاهر إجماعاً.

(ولا عطراً) تعميم بعد تخصيص.

(من عرق النبي ﷺ) أي: إنَّ عرقَه أطيبُ مما شَمَّه، وإنما كان النبي ﷺ يتطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحِه، وللاقتداء به في التطيب.

(٢٧٢) (به أثر صفرة) أي: عليه بقية صُفرة من زعفران.

(بشيء) أي: من أمر أو نهي.

(يكرهه) أي: ذلك الأحد إذا لم يكن مرتكباً محرَّماً، وهذا محمول على غالب أحواله، فلا ينافي أنه قال لعبد الله بن عمرو حين رأى عليه ثوبين معصفرين: **«إن هذين من ثياب الكفار فلا تلبسهما»**[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٧٧).

فلما قامَ قال للقومِ: «**لو قُلْتمْ له يَدَعُ هذه الصُّفرة**». [أخرجه أبو داود (٤١٨٢)].

(٢٧٣) عن عائشةَ أنها قالت: لم يكُنْ رسولُ الله ﷺ فاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً، ولا صَخاباً في الأسواقِ، ولا يَجْزِي بالسَّيئةِ السَّيئةَ، ولكنْ يَعْفو ويَصْفَحُ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٠١٧)].

(**لو قلتم**) يحتمل أنَّ «لو» للتمني فلا جواب لها، وأنها شرطية فجوابها محذوف، أي: لكان أحسن.

(٢٧٣) (**فاحشاً**) أي: ذا فُحشٍ بالطبع في أقواله وأفعاله وصفاته وإن كان استعماله في القول أكثر، وهو ما خرج عن مقداره حتى يستقبح.

(**ولا متفحِّشاً**) أي: متكلفاً للفحش.

(**ولا صخاباً**) بالصاد أو السين المهملتين، أي: صياحاً، فإن الصَّخَبَ ـ محرّكاً ـ شِدَّةُ الصوت، وليست هذه الصيغة للمبالغة، بل هي هنا للنسب كتمَّار، فالنفي للصخب من أصله.

(**في الأسواق**) جمع سُوق مؤنثة، سميت بذلك لسوق الأرزاق إليها.

(**ولا يجزي**) كيرمي، أي: لا يكافئ، وتسمية ما يجازى به المسيء سيئة من باب المشاكلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] إشارة إلى أن الأولى العفو، ولذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

(**يعفو**) أي: عن الجاني.

(**ويصفح**) أي: يظهر له أنه لم يطلع على شيء مما فعله، وأصله من الإعراض بصفحة العنق عن الشيء كأنه لم يره.

(٢٧٤) وعنها قالت: ما ضَربَ رسولُ الله ﷺ بيدِهِ شيئاً قَطُّ إلَّا أن يُجاهِدَ في سبيلِ الله، ولا ضَربَ خادماً ولا امرأةً. [أخرجه مسلم (٢٣٢٨)].

(٢٧٥) وعنها قالت: ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ مُنْتصِراً من مَظْلَمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ ما لم يُنْتَهَك من محارمِ اللهِ شيء فإذا انتُهِكَ من محارم الله

---

(٢٧٤) (ما ضرب. . .إلخ) وأما وكزُه بعيرَ جابر حتى سبق القافلة بعدما كان بعيداً عنها فمن قبيل المعجزة، ويؤخذ منه أن الأولى للإمام التنزُّه عن إقامة الحدود والتعازير بنفسه بل يقيم لها من يستوفيها.

(إلا أن يجاهد) أي: فإنه قتل أبيَّ بن خلف بيده في غزوةِ أحد، ولم يقتل بيدِه أحداً غيره.

(٢٧٥) (ما رأيت) أي: ما علمت.

(منتصِراً) أي: منتقماً.

(من) أجل.

(مظلَمة) بفتح اللام مصدر وبكسرها اسم لما نيل من معصوم غدراً.

(ظُلِمها) بالبناء للمفعول، أي: ظلم بها فلا ينتقم ممن ظلمه بل يعفو عنه، ولما جذبه الأعرابيُّ بردائه حتى أثر في عنقه الشريف وقال له: إنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك؛ ضحك وأمر له بعطاء[1].

(ما لم ينتهك) أي: يرتكب.

(من محارم الله شيء) حرَّمه الله، وهذا كالاستثناء المنقطع لأنَّه في هذه الحال ينتصِر لله لا لنفسه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٢) ومسلم (١٠٥٧).

شيءٌ كان من أشَدِّهِمْ في ذلك غَضَباً، وما خُيرَ بين أمْرينِ إلَّا اخْتارَ أيْسَرهُما ما لم يكنْ مَأثَماً. [أخرجه البخاري (٣٣٦٧) ومسلم (٢٣٢٧)].

(٢٧٦) وعنها قالت: اسْتأذَنَ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ وأنا عندهُ، فقال: «**بئسَ ابنُ العَشيرةِ أو أخُو العشيرةِ**» ثم أذِنَ له فلما دخلَ ألَانَ له القولَ، فلما خرجَ قلتُ: يا رسولَ الله، قلتَ ما قلتَ ثم ألَنْتَ له القولَ!

(كان من أشدِّهم) أي: كان أشدَّهم، فمن زائدة.

(في ذلك) أي: لأجل ذلك.

(أيسَرَهُما) أي: أسهَلَهما.

(ما لم يكن مأثماً) بالفتح، أي: مُفضياً إلى الإثم، وإلا اختار الأشد.

(٢٧٦) (رجل) هو عيينة بن حصن الفِزاري، وكان إذ ذاك مضمرَ النفاق، فلذا قال فيه النبي ﷺ ما قال ليتقى شرُّه، فهو ليس بغيبة بل نصيحة للأمَّة، وقد أظهر الرِّدة في زمن أبي بكر، لكنَّه أسلم وحضر بعض الفتوحات في زمن عُمر.

(أو أخو العشيرة) شك من الراوي، والعشيرة القبيلة، أي: بئس هذا الرجل من هذه القبيلة، فهو كإضافة أخ إلى العرب في قولهم: يا أخا العرب، لواحدٍ منهم، **(ألان له القول)** أي: لَطَّفه ليتألفه ليسلم قومُه لأنه كان رئيسَهم، ويؤخذ من هذا جواز المداراة وهي: الملاطفَة وبذل الدنيا لإصلاح الدين أو الدنيا أو هما. وفي الحديث: «**من عاش مدارياً مات شهيداً**».

بخلاف المداهنة وهي: بذل الدين لإصلاح الدنيا، كأن يترُك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكون مرتكِب ذلك يعطيه شيئاً من الدنيا فإنها حرام.

(قلتَ ما قلتَ ثم ألنت) أي: ما السبب في عدم التسوية بين الحالين،

فقال: «**يا عائشةُ إنَّ مِن شَرِّ الناسِ مَن تَرَكَهُ الناسُ أو وَدَعهُ الناسُ اتّقاءَ فُحْشِه**». [أخرجه البخاري (٥٧٨٠) ومسلم (٢٥٩١)].

(٢٧٧) عن الحَسَنِ بنِ عليٍّ قال: قال الحُسَينُ: سألتُ أبي عن سِيْرَةِ النبيِّ ﷺ في جُلَسائِهِ، فقال: كان رسولُ الله ﷺ دائِمَ البِشْرِ، سَهلَ الخُلُقِ، لَيِّنَ الجانِبِ، ليس بِفَظٍّ، ولا غَلِيظٍ، ولا صَخَّابٍ، ولا فَحَّاشٍ، ولا عَيَّابٍ، ولا مُشَاحٍّ يَتَغَافَلُ عمَّا لا يَشْتَهِي، ولا يُؤْيِسُ مِنه

فأجابها بقوله: (**إن من شرٍّ. . .إلخ**) أي: إنما ألنتُ له الكلام في حال الحضور لاتقاء فحشه؛ لأنه من جفاة الأعراب، وربما أفسد حال عشيرته وزيَّن لهم العصيان، فإلانة القول له من السياسة الشرعية.

(**أو ودعه**) بمعنى تركه، فـ «أو» للشك من الراوي.

(٢٧٧) (**عن سيرة النبي ﷺ**) أي: طريقتِه ودأبِهِ.

(**في**) أي: مع.

(**البِشرِ**) أي: طلاقة الوجه.

(**لَيِّنَ الجانب**) أي: سريعَ العطف كثيرَ اللطف.

(**ليس بفظٍّ ولا غليظٍ**) أي: ليس بسَيِّءٍ الخلق ولا غليظ القلب.

(**ولا صخاب**) أي: ذي صَخب فهو صيغة نسب كاللتين بعدها.

(**ولا مُشاحٍّ**) اسم فاعل من المشاحة وهي عدم المساهلة في الأشياء شُحّاً بها.

(**يتغافل عما لا يشتهي**) أي: يظهر الغفلة عما لا يستحسنه من الأقوال والأفعال تلطفاً بالصادرة منه.

(**ولا يؤيس منه**) أي: من نفسه.

راجِيه، ولا يُخَيِّبُ فيه، قد ترك نَفْسَه من ثَلاثٍ: المِرَاءِ والإكْثارِ وما لا يَعْنيهِ، وتَركَ الناسَ من ثلاثٍ: كان لا يَذُمُّ أحداً ولا يَعِيبُه ولا يَطلُبُ عَوْرَتَه، ....

(راجيه) فالضمير للنبي ﷺ أي: لا يجعل راجيه آيساً من كرَمِه.

(ولا يخيب) أي: الراجي.

(فيه) أي: النبي ﷺ بل يحصل له مطلوبه.

(قد ترك نفسه) أي: منعها.

(من ثلاث) من الخصال المذمومة.

(المِراء) بدل من ثلاث، وهو الجدال إلا بالتي هي أحسن.

(والإكثار) أي: من الكلام، أو من المال[1].

(وما لا يعنيه) أي: يهمُّه، لما في الحديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[2].

(وترك الناس) أي: ترك ذِكْرَهم.

(من ثلاث) أي: متعلقة بأحوالهم، وإلا فهي مما ترك نفسه منه أيضاً.

(كان لا يذمُّ أحداً) أي: في وجهه.

(ولا يعيبه) أي: في غيبته.

(ولا يطلبُ عورتَه) أي: لا يتجسَّسُ على ما يُستحيَا منه إذا ظهر، وأما ما سبق من أنه كان يسأل الناس عما في الناس فذلك في الأمور الظاهرة التي تناط بها الأحكام.

---

(١) في نسخة: (والإكبار) بالباء، أي: استعظام نفسه في جلوسه ومشيه ومعاشرته مع الناس (ابن قاسم).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٢٣١٧).

ولا يَتَكلَّمُ إلا فيما رَجا ثوابَهُ، وإذا تَكَلَّم أطْرقَ جُلَساؤُهُ كأنَّما على رُؤوسِهِمُ الطَّيْرُ، فإذا سكتَ تكلَّموا، لا يَتَنَازَعُونَ عندهُ الحديثَ، ومن تكلَّم عندهُ أنْصَتُوا له حتى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ عندَهُ حديثُ أوَّلِهِمْ، يَضْحَكُ مما يَضْحكونَ منه، ويَتَعَجَّبُ مما يَتَعَجَّبونَ منه، ويصبرُ للغَرِيبِ على الجَفْوةِ في مَنْطِقِهِ ومَسْأَلَتِهِ حتى إنْ كان أصحابُه لَيَسْتَجْلِبونهم، ويقولُ:

(**ولا يتكلم**) أي: لا ينطِق (**إلا فيما**) أي: في الشيء الذي (**رجا ثوابَه**) لكونه مطلوباً شرعاً.

(**أطرق جلساؤه**) أي: لاستماع كلامِه.

(**كأنما على رؤوسهم الطير**) مبالغة في وصفهم بالسكون والسكوت، فإن الطيرَ لا يقع إلا على ساكن ساكت.

(**لا يتنازعون عنده الحديث**) أي: لا يختصمون عنده في الحديث، وما بعده كالتفسير له.

(**حديثُهم عنده حديثُ أوَّلهم**) أي: لا يتحدث عنده إلا من جاء أوّلاً، ثم مَن بعدَه وهكذا على الترتيب.

(**يضحك... إلخ**) أي: موافقة لهم وجبراً لقلوبهم.

(**الجفوة**) أي: الغِلظة وسوء الأدب، وقد ورد: «**أن المؤمن الذي يخالطُ الناسَ ويصبرُ على أذاهم أفضل ممن يعتزلهم**»[1].

(**حتى إن**) مخففة من الثقيلة، واسمها ضميرُ الشأن، أي: إنه، (**كان أصحابه ليستجلبونهم**) أي: الغُرباء إلى مجلسه ليستفيدوا من أسئلتِهم ما لا يستفيدونه عند عدم وجودهم، لأنهم يهابون سؤالَه، والغرباء لا يهابون، ويصبر على مبالغَتِهم في السؤال.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٢)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢) بنحوه.

«**إذا رَأيْتُم طالِبَ حاجةٍ يَطْلُبُها فأرْفِدُوهُ**»، ولا يَقبلُ الثَّناءَ إلَّا مِن مُكافِئٍ، ولا يقطعُ على أحدٍ حديثَهُ حتى يجوزَ فيقطعُه بِنَهيٍ أو قيامٍ. [أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٨٦)].

(٢٧٨) عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قَطُّ فقال: لا. [أخرجه البخاري (٥٦٨٧) ومسلم (٢٣١١)].

(٢٧٩) عن ابنِ عباسٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ بالخيرِ، ....

(**فأرْفِدُوه**) بقطع الهمزة فتكسر الفاء، ووصلها فتضم، يقال: رفده وأرفده، أي: فأعينوه على حاجته حتى يصل إليها.

(**ولا يقبل الثناء**) أي: المدح.

(**إلا من مكافِئ**) على إنعام وصل من النبيِّ ﷺ إليه، تباعداً من صفة الذين يحبُّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، ولا شكَّ أن كلَّ أحد من المسلمين وصلَ إليه إنعامُه.

(**يجوز**) أي: يتجاوز الحد.

(**فيقطعه بنهي**) له عن الحديث (**أو قيام**) من المجلس إن لم يفد النهي.

(٢٧٨) (**فقال: لا**) أي: منعاً للإعطاء فلا ينافي أنه قالها اعتذاراً كما في قوله: (**لا أجِدُ ما أحملُكم عليه**)، أو تأديباً للسائل إن لم يَلِقْ به الاعتذار، كما في قوله للأشعريين: «**والله لا أحملكم**» فإنهم سألوه ما ليس عنده مع تحقُّقِهم ذلك، ثم إنه حملهم بعد أن تيسر ما يحملهم عليه وكفَّر عن يمينه.

(٢٧٩) (**بالخير**) أي: بكل خيرٍ من خيرَي الدنيا والآخرة، ومن جُوده العظيم أنه أعطى رجلاً غنماً، فملأت ما بين الجبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا، فإن محمداً يُعطي عطاءَ من لا يخاف الفقر، وأعطى مائةً من الإبل

وكان أَجودَ ما يكونُ في شهرِ رمضانَ حتى يَنْسلِخَ فَيأتيهِ جِبريلُ فيَعرِضُ عليه القرآنَ، فإذا لَقِيَهُ جبريلُ كان رسولُ الله ﷺ أجودَ بالخيرِ من الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. [أخرجه البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٨)].

لكلٍّ واحد من جماعة من الصحابة، وأعطى حكيم بن حزام مائة ثم مائة، وجاءه تسعونَ ألف درهم، فوضعت على حصير في المسجد وقسَّمها حتى فرغت، فكان يعطي عطاءَ الملوك، ويعيش عيش الفقراء(١).

(أجود) بالرفع اسم كان، وما مصدرية، والخبر محذوف، أي: وكان أجودُ أكوانه حاصلاً في رمضان، وروي بنصب **(أجود)** على أنه خبر كان، واسمها ضمير يعود على النبي، وما مصدرية ظرفية، والمعنى وكان النبيُّ مدةَ كونه في شهر رمضان أجودَ من نفسه في غيره؛ لأنه موسم الخيرات.

(ينسلخ) أي: يفرغ. **(فيعرِضُ)** أي: النبيُّ ﷺ بمعنى يقرأ.

(عليه) أي: على جبريل.

(القرآن) من حفظه كل ليلة من رمضان، وفي العام الأخير قرأه عليه مرتين. وتارة يكون العرض من جبريل بدليل رواية: **(فيدارسه القرآن)**، وفيه إطلاق القرآن على بعضِه.

(المرسلة) أي: بالمطر لأنها تنشرُ السحاب فيعمُّ المطرُ الأرضَ(٢).

---

(١) قال ابن المبارك: صدرت عنه ﷺ نفائس في السخاء لم يسمع بمثلها المشهور بالكرم قط، وذلك لأن مصدر كرمه عن الوثوقِ بالله والغنى بملكه والإنفاق على الكون لوقته من خزائنه تعالى التي لا نفاذ لها، ومن كان هكذا فلا نهاية لجوده.

وقال بعض المحققين: لم يكمل وصف الإيثار إلا في سيد الأكوان، فإن كل واحد في القيامة يقول: نفسي، وهو يقول: أمتي أمتي، فكرمه ﷺ خارق للعادة في الدنيا والآخرة، وهداية سائر الخَلق من إنسٍ وجانٍّ وصديقٍ وعدوٍّ وقريبٍ وبعيدٍ بالمال والعلوم والأحوال والأخلاق والمقامات وبنفسه، حتى قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٣] (ابن قاسم).

(٢) وفي الكلام ترقٍّ، لأنه فضَّل أولاً جوده على جود جميع أفراد الإنسان، وثانياً جوده =

(٢٨٠) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان النبيُّ ﷺ لا يَدَّخِرُ شيئاً لِغَدٍ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٣٦٣)].

(٢٨١) عن عمرَ بنِ الخطَّابِ: أن رجلاً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فسألَهُ أن يُعْطِيَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما عِنْدي شيءٌ، ولكن ابْتَعْ عليَّ فإذا جاءني شيءٌ قَضَيتُهُ**»، فقال عُمَرُ: يا رسولَ اللهِ، قد أعطَيتَهُ فما كَلَّفَكَ اللهُ ما لا تَقْدِرُ عليه، فَكَرِه ﷺ قولَ عمرَ، فقال رجلٌ مِنَ الأنْصارِ: يا رسولَ الله، أنْفِقْ ولا تخفْ من ذِي العَرْشِ إقْلالاً، فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ وعُرِفَ في

---

(٢٨٠) (**لا يدّخِر... إلخ**) أي: لكمال توكُّلِهِ، وهذا بالنسبة لنفسه، فلا ينافي أنه كان يدَّخِر لعياله قوتَ سنةٍ[1]، ومع ذلك كان يؤثِر عليهم المحتاجين فيصرِفُ لهُمْ ما ادخرَه، فادخاره لم يكن لخشيةِ العدم بل لكثرة الكرم.

(٢٨١) (**ابتع عليّ**) أي: اشتر ما تحتاجه بدين يكون عليَّ أداؤه.

(**فقال عمر**): فيه التفات، لأن مقتضى الظاهر فقلت.

(**قد أعطيتَه**) أي: قبل هذه المرَّة أو الميسور من القول، وهو قولُكَ: ما عندي شيء. (**فما كلفك**) الفاء لتعليل ما يستفاد من قوله: قد أعطيته، أي: لا تفعل خلاف ذلك لأنه ما كلَّفك الله... إلخ.

(**من الأنصار**) أي: الذين غلبَ عليهم حُبُّ الإيثار.

(**أنفق**) أي: ولو بالعِدَة لأنها التزامُ للنفعة.

(**إقلالاً**) أي: افتقاراً.

= في رمضان على جوده في سائر الأزمان، وثالثاً عند لقاء جبريل ومعارضة القرآن فإنه حينئذ كان أجود من كل ما يتصور في الأذهان، وما ذلك إلا لإتيان أفضل ملائكة الرحمن إلى أفضل الخلق بأفضل كلام من أفضل متكلم في أفضل زمان، وفيه أن صحبة الصالحين مؤثرة في دين الرجل وعلمه، وسبب في عمارة قلبه (ابن قاسم).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٢)، ومسلم (١٧٥٧).

وجْهِهِ البِشْرُ لِقولِ الأَنْصارِيِّ ثم قال: «**بهذا أُمِرْتُ**». [انفرد به المصنف].

(٢٨٢) عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ كان يَقبلُ الهَدِيَّةَ ويُثِيبُ عليها. [أخرجه البخاري (٢٤٤٥)].

(٢٨٣) عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ أشدَّ حَياءً من العَذْراءِ في خِدْرِها، وكان إذا كَرِه شيئاً عُرِفَ في وَجْهِه. [أخرجه البخاري (٥٧٦٨) ومسلم (٢٣٢٠)].

(٢٨٤) عن عائشةَ قالت: ما نَظَرتُ إلى فرجِ رسولِ الله ﷺ، أو قالت: ما رأيتُ فرجَ رسولِ الله ﷺ قَطُّ. [أخرجه ابن ماجه (٦٦٢)].

(**البِشْرَ**) أي: الطلاقَةَ والبشاشةَ.

(٢٨٢) (**ويثيب**) أي: يجازي.

(٢٨٣) (**مِن العذراء**) أي: البكر. (**في خدرِها**) أي: سِترها الذي يجعل لها بجنب البيت إذا شبَّت لتنفرد فيه، فإنها حينئذ تكون أشد حياءً عند الدخول عليها منها في حال مخالطة الناس. (**عرف في وجهه**) أي: ولا يصرح بكراهته له لشدَّةِ حيائه.

(٢٨٤) (**ما نظرت. . .إلخ**) المراد أنه من شدة حيائه لا يمكنها النظرَ إلى فرجه مع احتياطه بفعل ما يوجب امتناع الرؤية.

(**أو قالت: ما رأيت**) أي: بدل ما نظرت، فالشك من الراوي في ذلك، وأما لفظةُ «قَطُّ» فهي في الروايتين.

باب ما جاء في حِجامةِ رسول الله ﷺ (*)

(٢٨٥) عن حُميدٍ قال: سُئِلَ أنسُ بنُ مالكٍ عن كسْبِ الحَجَّامِ، فقال: احْتَجَمَ رسولُ الله ﷺ، حَجمَهُ أبو طَيْبَةَ، فأمَرَ له بِصاعَيْنِ من طعامٍ، وكلَّم أهلَهُ فوضَعوا عنه من خَراجِهِ، وقال: «**إن أفْضلَ ما تَداوَيْتُمْ به الحِجَامةُ**»، أو: «**إنَّ من أَمْثَل ما تداويتُم به الحِجَامةَ**» [أخرجه البخاري (٥٣٧١) ومسلم (١٥٧٧)].

(*) **(حجامَة)** هي شرط الجلد وإخراج الدَّمِ بالمحجمة بكسر الميم، وهي ما يحجم به، وقد فعلها النبي ﷺ لكثرة فوائِدها إشارة إلى أن تدبير البدَن مشروعٌ غيرُ منافٍ للتوكُّل؛ لأنه الثِّقة بالله ولو مع مباشرةِ الأسباب من غيرِ اعتمادٍ عليها.

(٢٨٥) **(عن كسبِ الحجام)** أي: أهو حلال أم حرام؟ فأجاب السائِلَ بأن النبي ﷺ أمر له بصاعين من طعام، زاد في رواية: من تمر، فعلم أنه حلال إذ لو كان حراماً لم يُعطِه.

(أبو طَيْبة) كان قِنّاً لبني حارثة، وكانوا جعلوا عليه خراجاً كلَّ يوم ثلاثة آصُع من تمرٍ.

(أهله) أي: مواليه.

(فوضعوا عنه) أي: صاعاً.

(أو إنَّ من أمثَل) شك من الراوي، أي: أنفع.

(ما تداويتم به) الخطاب لأهل الحجاز ومَن ماثلهم من أهل البلاد الحارة، وأما أهل البلاد الباردة فالفصد لهم أولى إذا هاج الدم واضطروا لإخراجه.

(٢٨٦) عن ابنِ عمرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ دَعَا حَجَّاماً فَحجَمَهُ، وسألَهُ: «**كم خَراجُكَ**»، فقال: ثلاثةُ آصُعٍ، فوضعَ عنه صاعاً وأعْطاهُ أجْرَهُ. [أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٦٦)].

(٢٨٧) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يَحْتَجِمُ في الأخْدَعَينِ والكاهِلِ، وكان يحتجمُ لِسَبعَ عَشْرَةَ، وتِسعَ عشْرةَ، وإحْدَى وعِشْرِينَ. [أخرجه أبو داود (٣٨٦٠)].

(٢٨٨) وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ احْتَجَمَ وهو مُحْرِمٌ بِمَلَلٍ على ظَهْرِ القَدَمِ. [أخرجه أبو داود (١٨٣٧)].

---

(٢٨٦) **(حجَّاماً)** هو أبو طَيْبة. **(فوضَع)** أي: تسبب في الوضع عنه بكلامه مع سيده.

(أجره) أي: الصاعين.

(٢٨٧) **(في الأخدعين)** هما عرقان في جَانبي العُنق.

(والكاهل) هو أعلى الظهر مما يلي العنق، وفي رواية: وبين الكتفين.

(لسبع عشرة) أي: ليلة خلت من الشهر، لأن الدَّم في أول الشهر وآخره يسكن، وبعد وسطه يتزايد ويهيج.

(٢٨٨) **(بمَلَلٍ)** محل بين مكة والمدينة.

(على ظهر القدم) وروي أنه احتجم في وسط رأسِه من شقيقة كانت به، أي: وجعٍ جانب الرأس في مُقدَّمه.

باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ (*)

(٢٨٩) عن جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ لي أسْماءً؛ أنَا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحِي الذي يَمْحُوا اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمَيَّ، وأنا العاقِبُ، والعاقبُ الذي ليس بعدَهُ نَبِيٌّ**». [أخرجه البخاري (٣٣٣٩) ومسلم (٢٣٥٤)].

(*) (**في أسماء رسول الله**) أي: الألفاظ التي تطلق عليه سواء كانت علماً أم صفة، وقد نقل عن بعضهم أن لله تعالى ألف اسم وللنبي ألف اسم، وفي دلائل الخيرات منها مائتان وواحد انظرها وانظر ما كتبناه عليها.

(٢٨٩) (**أسماء**) أي: كثيرة، وكثرةُ الأسماء تدل على شرف المسمَّى[1].

(**محمَّد**) سماه به جدُّه عبد المطلب بإلهام من الله، رجاءَ أن يُحمَد في السماء والأرض، وقد حقق الله رجاءه.

(**أحمد**) فيه إشارة لكونه أحمدَ الحامدين لربه.

(**يمحو الله به الكفر**) أي: يدحضه.

(**على قدمي**) رُوي مثنى ومفرداً، أي: على أثري، وقد ورد أنه أول من

---

(١) (فائدة): من جملة تعظيم الله تعالى لرسوله ﷺ أن سماه بكثير من أسمائه الحسنى فمن أسمائه تعالى: (الرؤوف الرحيم) وقد سمى بها نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ومن أسمائه تعالى (النور) وقد سمى نبيه ﷺ: نوراً فقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] ومن أسمائه تعالى (الشهيد) وقد سمى رسوله محمداً بذلك فقال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

(٢٩٠) عن حُذيفةَ قال: لَقِيتُ النبيَّ ﷺ في بعضِ طُرُقِ المَدينةِ فقال: «**أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا نَبيُّ الرَّحْمةِ، ونَبِيُّ التَّوْبةِ، وأنا المُقَفّي، وأنا الحاشِرُ، ونبيُّ المَلاحِمِ**». [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٠٥)].

تنشق عنه الأرض فيتقدم الناس في المحشر(١).

(٢٩٠) **(نبي الرحمة)** أي: سببها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ويجمع بينه وبين نبيّ الملاحم بأن الملاحم رحمة بالمكذبين؛ لأنها أسهل من استئصالهم بالعذاب العاجل كما وقع للأمم السابقة.

(ونبي التوبة) أي: الآمر بها(٢)، وهي: الإقلاع عن الذنب مع الندم، والعزم على عدم العود.

(المقفِّي) بصيغة اسم الفاعل، أي: الذي قفَّا آثارَ من سبقه من الأنبياء، في أصل التوحيد ومكارم الأخلاق، أو بصيغة اسم المفعول: أي الذي قُفِّيَ به على آثار الأنبياء وختم به الرسالة.

(الملاحم) جمع ملحمة، وهي الحرب لكثرة حروبه(٣).

---

(١) في البخاري (٢٢٨١): «فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش»، وفي الترمذي (٣٦٩٢) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين».

(٢) فظهرت التوبة على يديه ﷺ أكثر مما ظهرت على يد غيره.

(٣) وقد ألف جلال الدين السيوطي رسالة أسماها: (البهجة السنية في الأسماء النبوية) أوصل الأسماء إلى الخمسمائة.

باب ما جاء في عَيشِ رسول الله ﷺ (*)

(٢٩١) عن عائشةَ قالت: كُنَّا آلَ محمدٍ نَمكُثُ شهراً ما نَسْتَوقِدُ بِنارٍ، إنْ هو إلا التَّمرُ والماءُ. [أخرجه البخاري (٢٤٢٨) ومسلم (٢٩٧٢)].

(٢٩٢) عن أبي طلْحةَ قال: شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ الجُوعَ، ورَفَعْنا عن بُطونِنا عن حَجَرٍ حجرٍ، فَرفعَ رسولُ الله ﷺ عن بَطنِهِ عن حَجرَينِ. [أخرجه المصنف في السنن (٢٣٧٢)].

(*) **(في عيش رسول الله ﷺ)** أي: كيفية معيشته ليقتدى به.

(٢٩١) (آل) بالنصب على تقدير أعني: مثلاً، وجملةُ **(نمكث)** في محل نصبِ خبر كان.

(ما نستوقد بنار) أي: ما نوقد ناراً، فالسين والتاء زائدتان، وكذا الباء.

(إن هو) أي: ما هو، أي: طعامُنا، فإن النبيَّ لم يرضَ الدنيا لنفسِه ولا لأهله بعد أن عرضت عليه مفاتيح كنوزها[1].

(٢٩٢) (شكونا) أي: يوم حفر الخندق حول المدينة؛ ليكون حاجزاً بينهم وبين المحاربين.

(ورفَعنا) أي: كشفنا ثيابنا.

(عن بطوننا) كشفاً صادراً **(عن حجر حجر)** المراد أن كلَّ واحدٍ شدَّ على بطنه حجراً ليشتدَّ بطنُه وظهرُه وتسهُل عليه الحركة.

---

(١) لذلك فإن جوعه ﷺ في بعض الأحيان كان اختياراً منه، وطلباً للأجر، وموافقة لأصحابه في حالهم تسلية لهم أو لغير ذلك من الفوائد (ابن قاسم).

(٢٩٣) عن أبي هريرةَ قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ في ساعَةٍ لا يَخرُجُ فيها ولا يَلْقاهُ فيها أحدٌ، فأتاهُ أبو بكرٍ فقال: «**ما جاء بِك يا أبا بكرٍ**»؟ قال: خَرجتُ أَلْقَى رسولَ الله ﷺ وأَنْظُرُ في وجْهِهِ، والتَّسلِيمَ عليه، فلم يَلْبَثْ أنْ جاءَ عُمرُ، فقال: «**ما جاءَ بك يا عُمرُ**»؟ قال: الجُوعُ يا رسولَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: «**وأنا قد وَجدتُّ بعضَ ذلك**»، فانْطَلقوا إلى مَنزِلِ أبي الهَيثَمِ بنِ التَّيِّهانِ الأَنْصارِيّ وكان رَجُلاً كثيرَ النَّخلِ والشَّاءِ، ولم يكن له خَدَمٌ فلم يَجِدُوه، فقالوا لامْرَأته: أيْنَ صاحِبُكِ؟ . . . . . .

---

(٢٩٣) **(خرج رسول الله)** أي: من بيته.

(ولا يلقاه فيها أحد) أي: بالدخول عليه في حجرته.

(ما جاء بك) أي: ما الذي أحضرك، فالباء للتعدية.

(ألقى) أي: حال كوني أريد أن ألقَى رسول الله.

(والتسليم) أي: وأريد التسليم عليه، وغرضُه أن يتسلى بذلك عن الجوع.

(أن جاء عُمَر) في تأويل مصدر فاعل «يلبث»، أي: فلم يتأخر مجيء عمر، بل حصل سريعاً.

(الجوع) أي: فكأنه جاء ليتسلى عنه بالنظر إلى وجهه الكريم، وكثرة الفتوحات التي حصلت، لا تنافي ضيقَ الحال في بعض الأوقات، لا سيما بعد أن تصدق أبو بكر بماله، فإنهم كانوا يبذلون ما يُسألون.

(أبي الهيثم) بالمثلثة[1]، **(والشاء)** جمع شاة.

(أين صاحبُك) أي: زوجك.

---

(١) واسمه عمرو بن الحارث، وقيل: عتيك بن عمرو، وفي الحديث منقبة عظيمة له إذ كانت فيه أهلية لمجيء النبي ﷺ ومن معه إليه (ابن قاسم).

فقالت: انْطلقَ يَسْتَعْذِبُ لَنا الماءَ، فلم يَلْبَثوا أن جاءَ أبو الهَيْثَم بِقرْبَةٍ يَزْعَبُها فَوَضَعَها، ثم جاءَ يَلْتَزِمُ النبيَّ ﷺ ويُفَدِّيهِ بِأبيهِ وأُمِّهِ، ثم انْطلقَ بهم إلى حَدِيقَتِهِ، فَبَسطَ لهم بِساطاً، ثم انْطلقَ إلى نَخْلَةٍ فجاءَ بِقنْوٍ فَوَضَعهُ فقال النبيُّ ﷺ: «**أفلا تَنَقَّيتَ لنا من رُطَبِهِ**» فقال: يا رسولَ الله، إنّي أَرَدْتُ أن تَخْتارُوا ـ أو تَخَيَّرُوا ـ من رُطبِهِ وبُسرِه، فأكَلُوا وشَرِبُوا من ذلك الماءِ، فقال ﷺ: «**هذا والذي نَفْسي بيدِه من النَّعيمِ الذي** . . . . .

(**يستعذب لنا الماء**) أي: يأتي لنا بماء عذب من بئر[1]

(**فلم يلبثوا أن جاء**) أي: فلم يمكثوا زمناً طويلاً إلى أن جاءَ، بل مكثوا زمناً يسيراً في بيتِه الذي أنزلتهم فيه امرأته بعد أن قالت: مرحباً وأهلاً، لعلمها برضاه، (**يزْعَبُها**) بالزاي والعين المهملة، أي: يحملها ممتلئةً، ويؤخذ منه أنَّ خدمة الإنسان لأهله لا تنافي المروءة، بل هي من الكمال.

(**يلتزم النبي ﷺ**) أي: يلصق صدره به ويعانقه تبركاً به.

(**ويُفدِّيه**) أي: يقول له: فِداكَ أبي وأمي يا رسول الله.

(**حديقَتِه**) أي: بستانِه لأنهم يجعلون عليه حائطاً.

(**يُحدِق**) أي: يحيط به غالباً.

(**بقِنْوٍ**) أي: عِذقٍ، وهو المسمى بالعُرجُون؛ ليتفكّهوا منه قبل الطعام.

(**أفلا تنقيت**) أي: تخيَّرت.

(**أو تخيَّروا**) بحذفِ إحدى التاءين، والأصل: تتخيروا، و«أو» للشك من الراوي (**وبُسرِه**) هو ما لم يترطَّب.

(**والذي**) أي: وحق الذي (**نفسي**) أي: روحي (**بيده**) أي: قدرته

---

(١) وفيه جواز الميل إلى المستطاب طبعاً من ماء وغيره، وأن ذلك لا ينافي الزهد، وقد قال الشافعي رحمه الله: إن شرب الماء البارد الحلو يخلص الحمد لله (ابن قاسم).

تُسأَلُونَ عنه يومَ القِيامةِ؛ ظِلٌّ باردٌ، ورُطَبٌ طَيِّبٌ، وماءٌ باردٌ» فانطلقَ أبو الهيثَم لِيصْنَع لهم طَعاماً، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تَذبَحَنَّ لنا ذاتَ دَرٍّ**»، فَذَبح لهم عَنَاقاً أو جَدْياً، فأتاهُمْ بها، فأكَلُوا، فقال ﷺ: «**هل لك خادِمٌ؟**» قال: لا، قال: «**فإذا أتَانا سَبْيٌ فأتنا**» فأُتِيَ ﷺ بِرأسَيْنِ ليس معَهُما ثالِثٌ، فأتاه أبو الهَيْثَمِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اخْتَرْ منهما**»، فقال: يا

يتصرف فيها كيف يشاء.

(**تُسألون عنه**) أي: سؤال امتنان وتعداد للنعم، لا سؤال توبيخ، وفيه تنبيه على شكر المنعم الحقيقي[1].

(**ظِلٌّ**) خبر لمبتدأ محذوف.

(**فقال النبي ﷺ**) أي: بعد أن رآه أخذ المدْيَة.

(**ذاتَ دَرٍّ**) أي: شاة ذات لبن، وقصدُه الشفقة عليهم؛ لأنهم ينتفعون باللبن مع حصول المقصود بغيرها.

(**عَناقاً**) بفتح العين المهملة أُنثى المعز ما لم تبلغ سنة.

(**أو جَدْياً**) ذَكَرُ المعْزِ ما لم يبلغ سنة، والشك من الراوي.

(**بها**) أي: بالعناق، وهذا ظاهِرٌ على الشق الأول من الشك.

(**هل لك خادم**) أي: غائب.

(**فأتِنا**) أي: لنعطِيك خادِماً، مكافأة لك على ما أجراه الله على يدكَ من الإحسان إلينا، (**برأسين**) أي: أسيرين.

---

(١) قال ابن القيم: إن كل واحد يُسأل عن نعيمه الذي كان فيه، هل ناله من حله ووجهه، أولا!، فإذا خلص من هذا يُسأل: هل قام بالشكر واستعان به على الطاعة، أولا!، فيكون ممن استعان بنعمة الله على معصية الله. فالأول سؤال عن سبب استخراجه، والثاني عن محل صرفه.

رسول الله، اخْتَرْ لي، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ المُسْتَشارَ مُؤْتَمَنٌ، خذْ هذا، فإنّي رَأيتُهُ يُصلّي واسْتَوصِ به مَعْروفاً**» فانطلقَ أبو الهَيثمِ إلى امْرأتِهِ فأخَبَرَها بِقَولِ رسولِ الله ﷺ، فقالت امْرأتُهُ: ما أنتَ بِبالِغٍ حَقَّ ما قال فيه النبيُّ ﷺ إلا بأنْ تُعْتِقَهُ، قال: فهو عَتِيقٌ، فقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ لم يَبْعثْ نبيّاً ولا خَلِيفةً إلَّا وله بِطانَتَانِ بِطانةٌ تَأمُرُه بالمَعْرُوفِ وتَنْهاهُ عن المُنْكَرِ، وبِطَانَةٌ لا تَألُوهُ خَبالاً، ومَنْ يُوقَ بِطانَةَ السُّوءِ فقد وُقِيَ**».
[أخرجه المصنف في السنن (٢٣٧٠)].

(**مؤتمن**) أي: جعله المستشير أميناً، فيلزمه رعايةُ المصلحة له وإلا كان خائناً.

(**يصلّي**) أي: والصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر.

(**واستَوصِ**) ضمَّنَه معنى افعل، فنصب به (**معروفاً**).

(**حق ما قال**) أي: حق المعروف الذي وصاك به النبي ﷺ.

(**فهو عتيق**) أي: معتق فتسببت في عتقه ليحصل لها ثوابُه، وقد صحَّ «**الدالُّ على الخير كفاعله**»(١).

(**فقال**) أي: لمّا أُخبر بما حصل من المرأة، فهي بطانَة خيرٍ.

(**ولا خليفة**) أي: من العلماء والأمراء.

(**بطانتان**) تثنيَة بطانة، وبطانة الرجل صاحبُ سرِّه الذي يستشيره في أموره تشبيهاً له ببطانة الثوب.

(**لا تألُوه خبالاً**) أي: لا تقصِّرُ في إفساد حاله، فالألو التقصير، وقد تضمن معنى المنع فعدّي إلى مفعولين، والخبال الفساد.

(**ومن يُوقَ بطانة السَوء**) بفتح السين المهملة وضمها، أي: يحفظ منها.

(**فقد وُقِي**) أي: حُفِظ من الفساد ومن جميع الأسواء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠).

(٢٩٤) عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قال: إنِّي لأوَّلُ رجلٍ أهراق دماً في سبيل الله، وإني لأول رجل رَمَى بِسَهْمٍ في سبيلِ الله، لقد رأيتُني أغْزُو في العِصَابَةِ من أصْحابِ محمدٍ ﷺ ما نأكُلُ إلَّا وَرَقَ الشَّجرِ والحُبْلَةَ، حتى تَقَرَّحتْ أشْدَاقُنَا، وإنَّ أحَدَنا ليَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ والبَعِيْرُ، وأصبحَتْ بنُو أسدٍ يُعَزِّرُونَني في الدِّينِ، . . . .

(٢٩٤) (أهراقَ) أي: أراقَ وصبَّ.

(دماً في سبيل الله) من شجَّةٍ شجَّها لمشركٍ عاب الصلاة[١].

(رَمَى بسهم) أي: في سريَّةِ عبيد بن الحارث[٢].

(العصابة) أي: الجماعة، وكان النبي ﷺ معهم.

(والحُبْلة) بضم المهملة وسكون الموحدة، ثَمَرُ شجرةٍ لها شوك.

(حتى تقرَّحت) أي: صارت ذاتَ قروح.

(لَيَضَع) أي: فضْلة يابسةً لعدم الغذاء المألوف للمعِدَة.

(وأصبحت) أي: صارت.

(بنو أسد) قبيلة قريبةُ عهدٍ بالإسلام.

(يعزِّرونني) أي: يوبخونني **(في الدين)** أي: في الصلاة فإنها عماد

(١) روى ابن اسحق: أن الصحابة كانوا إذا صلوا في أول الإسلام ذهبوا في الشعاب وأخفوا صلاتهم، فبينما سعد في نفر منهم في شعب إذ طلع نفر من المشركين وهم يصلون فعابوا عليهم، واشتد الشقاق بينهم حتى تقاتلوا فضرب سعد رجلاً منهم بلَحْي بَعيرٍ فشجَّه فكان أول دم أريق في الإسلام (ابن قاسم).

(٢) روى ابن عائذ في مغازيه من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما بلغ الأبواء ـ وهي أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ ـ بعث عبيدة بن الحارث وعقد له النبي ﷺ لواء ـ وهو أول لواء عقده في ستين رجلاً من المهاجرين ـ فلقوا جمعاً كثيراً من قريش ـ قيل: أميرهم أبو سفيان ـ فتراموا بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاص بسهم فكان أول من رمى بسهم في سبيل الله (ابن قاسم).

لقد خِبْتُ وخَسِرْتُ إذاً وضَلّ عَمَلي. [أخرجه البخاري (٣٥٢٢) ومسلم (٢٩٦٦)].

(٢٩٥) عن خالِدِ بنِ عُمَيرٍ وشُوَيسٍ أَبِي الرُّقادِ قالا: بَعَثَ عُمَرُ ابنُ الخطَّابِ عُتْبَةَ بنَ غَزْوانَ، وقال: انْطَلِقْ أنتَ ومَنْ مَعكَ حتى إذا كُنْتُم في أقْصَى بِلادِ العَربِ وأدْنَى بلادِ العَجَم، فأقْبَلُوا حتى إذا كانُوا بالمِرْبَدِ وجَدُوا هذا الكَذَّانَ . . . .

الدين.

(لقد خِبتُ) من الخيبة، وهي الحرمان من الخير.

(وخسِرتُ) من الخسران؛ وهو الهلاك.

(إذاً) أي: إذا كنتُ كما زعموا من أني لا أحسِنُ الصلاةَ.

(وضلَّ عملي) أي: ضاع، وسببُ هذا القول أنه كان أميراً بالبصرة من قِبَل عمر، وكان وقافاً مع الحق، فلِعَدلِه كرِهَه الناس وشكوَه لعمر، وقالوا: إنه لا يُحسِن الصلاة، كذباً منهم.

(٢٩٥) (بعث عمر) أي: في آخر خلافته.

(ومن معك) أي: من العسكر، وكانوا ثلثمائة.

(حتى إذا كنتم) أي: إلى وقت كونكم **(في أقصى بلاد العرب)** أي: أبعدها.

(وأدنى بلاد العجم) أي: أقربها إلى أرض العرب، فيكون هذا آخِر سيرِكم فانزلوا هناك لترابطوا وتمنعوا العجم عن بلاد العرب.

(فأقبلوا) بصيغة الفعل الماضي، أي: توجَّهوا **(حتى إذا كانوا بالمِرْبَد)** كمِنْبَر، أي: مربد البصرة، وهو الموضع الذي يجمع فيه الرطب حتى يَجف.

(وجدُوا هذا الكَذَّان) وهو حجارة رخوةٌ بيضٌ.

فقالوا: ما هذِهِ قال: هذهِ البَصرَةُ، فسارُوا حتى بَلَغوا حِيالَ الجِسْرِ الصَّغيرِ. فقالوا: ههنا أُمِرْتُمْ، فَنَزلَوُا، فَذَكَرُوا الحدِيثَ بِطُولِهِ فقال عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ: لقد رأيتُني وإنِّي لَسابعُ سَبْعَةٍ مَعَ رسولِ الله ﷺ، ما لَنا طَعامٌ إلَّا وَرَقُ الشَّجرِ حتى تَقرَّحَتْ أشْداقُنا، فالتَقَطتُ . . . .

(فقالوا) أي: لبعضهم.

(ما هذه) أي: ما اسم هذه الحجارة.

(قال) أي: بعضهم.

(هذه البصرة) أي: هذه الحجارة تسمى بالبصرة، لأن البصرة اسم للحجارة الرِّخوة المائلة للبياض.

(حيال) أي: مقابلة.

(الجسر) الذي على نهر الدِّجلة.

(فذكروا) الجمع لما فوق الواحد، وفي نسخة: **(فذكرا الحديث بطوله)** وهو أنهم لما نزلوا هناك أرسل عتبة لأهل خراسان فجاء منهم جيشٌ عظيم، فاستخفُّوا بعتبة ومن معه فقاتلوه، فنصره الله عليهم، ثم اختط البصرة وبناها لتسهل المرابطة فيها.

(لقد رأيتُني) أي: أبصرتُ نفسي.

(وإني لسَابع سبعةٍ) جملة حالية، أي: لم يُسلم قبله إلا ستةً، فهو من السابقين الأولين.

(إلا وَرَقُ) بالرفع على البدلية.

(حتى تقرَّحَت أشداقُنا) جمع شِدق بكسر الشين المعجمة وفتحها، أي: ظهر في جوانبها قروح من خشونةِ ذلك الورقِ وحرارتِه.

(فالتقطتُ) أي: أخذت من الأرض.

بُرِدَةً فَقسَمْتُها بينِي وبينَ سَعْدٍ، فما مِنَّا من أولِئِكَ السَّبعَةِ أحَدٌ إلَّا وهو أميرُ مصرٍ مِنَ الأمْصارِ، وسَتُجرِّبُونَ الأُمَراءَ بَعْدَنا. [أخرج مسلم كلام عتبة بن غزوان في خطبته (٢٩٦٧)].

(٢٩٦) عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد أُخِفْتُ في اللهِ وما يَخافُ أَحَدٌ، ولقد أُوذِيتُ في اللهِ وما يُؤْذَى أحَدٌ، ولقد أتتْ عليَّ ثَلاثُونَ منْ بينِ ليلةٍ ويومٍ** ....

(بردةً) وجدتها.

(فقسَمْتُها بيني وبين سعد) أي: ابن مالك، فاتَّزر كلٌ منَّا بنصفِها.

(أمير مِصرٍ) وهذا جزاء الأبرار في هذه الدار، وهو خير وأبقى في دارِ القرار[1].

(وستجرِّبون الأمراء) أي: ستجدونهم ليسوا مثلنا في الديانة والإعراض عن الدنيا اقتداءً بسيِّد الخلق، وكان الأمر كذلك، فهو من الكرامات الظاهرة.

(٢٩٦) (أُخِفت) أي: أخافني المشركون بالتهديد.

(في الله) أي: بسبب إظهاري لدينه، فـ: «في» سببية.

(وما يخاف أحد) أي: غيري من هذه الجهَة لأني كنت فريداً في ذلك، وكذا يقال في الجملة بعدها.

(من بين ليلة ويومٍ) تأكيد للشمول، أي: ثلاثون متواليات لا ينقص منها شيء.

(١) وفيه إشارة إلى أنهم لصبرهم في طاعة الله وصدقهم في نصرة دينه نصرهم الله تعالى على أعدائهم، ومكنهم من رقابهم وأموالهم وبلادهم وصاروا أئمة أمراء بعد أن كانوا ضعفاء فقراء (ابن قاسم).

ما لي ولِبلالٍ طَعامٌ يأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلَّا شيءٌ يُوارِيه إبْطُ بِلالٍ». [أخرجه المصنف في السنن (٥٤٧٤)].

(٢٩٧) وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يَجْتمعْ عندهُ غَداءٌ ولا عَشَاءٌ من خُبْزٍ ولحمٍ إلا على ضَفَفٍ. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٧٠)].

(٢٩٨) عن نَوْفَلِ بنِ إياسٍ الهُذَلِيِّ قال: كان عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ لنا جَلِيساً، وكان نِعْمَ الجَلِيسُ، وإنه انْقَلَبَ بِنا ذاتَ يومٍ، حتى إذا دَخَلْنا بيتَهُ دَخَل فاغْتَسلَ ثم خَرجَ، وأُتِينا بِصَحْفةٍ فيها خُبْزٌ ولحمٌ، فلما وُضِعَتْ بَكى عبدُ الرَّحمنِ، فقلتُ له: يا أبا محمدٍ ما يُبْكِيكَ؟ فقال: هَلَكَ

(ذو) أي: صاحب.

(كَبد) وهو الحيوان.

(يواريه) أي يستُرُه ليسارته[1]، والإبْطُ بسكون الموحدة وكسرِها ما تحت الجناح، يذكَّر ويؤنَّث.

(٢٩٧) (إلا على ضَفَف) أي: إلا لأجل أضيافه[2].

(٢٩٨) (جليساً) أي: مجالساً.

(انقلَبَ بنا) أي: توجَّهَ معنا.

(ذاتَ يوم) أي: في يوم من الأيام.

(هلك) أي: مات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: ٨٨]، والأولى التعبير بنحو: فارق الدنيا.

---

(١) يحتمل أن يكون هذا كان وقت الحصار في الشعب مع بني هاشم (ابن قاسم).

(٢) في القاموس: (الضَّفَف ـ محركاً ـ كثرة العيال، أو التناول مع الناس، أو كثرة الأيدي على الطعام، أو الضيق والشدة، أو يكون الأكلة أكثر من الطعام. اهـ (ابن قاسم).

رسولُ الله ﷺ ولم يَشْبَعْ هو وأهلُ بيْتِهِ من خُبْزِ الشَّعيرِ، فلا أُرانا أُخِّرْنا لما هو خيرٌ لنَا. [أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٩٩ـ ١٠٠)].

(٢٩٩) عن محمدِ بن سِيرينَ قال: كُنا عندَ أبي هريرةَ وعليهِ ثَوْبانِ مُمْشَّقانِ من كَتَّانٍ، فَتَمَخَّطَ في أَحَدِهما فقال: بَخٍ بَخٍ، يَتمخَّطُ أبو هريرةَ في الكَتَّانِ، لقد رأيتُني وإنِّي لأخِرُّ فيما بينَ مِنْبرِ رسولِ الله ﷺ وحُجْرَةِ

(**ولم يشبَعِ**) أي: يومين متواليين.

(**فلا أُرانا**) بضم الهمزة، أي: لا أظنُّنا.

(**أُخِّرنا**) أي: أُبقينا موسَّعاً علينا (**لما هو خيرٌ لنا**)، لأنّ من وُسِّع عليه يخاف أن تكون عُجِّلت له طيباتُه في حياته الدنيا.

(**٢٩٩**) (**سيرين**) ممنوع من الصرف للعلميَّة والعجمة.

(**مُمَشَّقَان**) أي: مصبوغان بالمِشْق ـ بكسر فسكون ـ وهو المَغْرة؛ بفتح الميم والغين المعجمة، وتسكن تخفيفاً، أي: الطين الأحمر.

(**بَخٍ بَخٍ**) كلمة تقال عند الإعجاب بالشيء، وتكرر للمبالغة، وهي مبنية على السكون، فإن وُصِلت بُنيت على الكسر وتنون، وربَّما شددت.

(**يتمخَّط**) على تقدير همزة الاستفهام التعجُّبي، ثم بيَّنَ وجه التعجب بقوله: (**لقد رأيتُني**) واللام في جواب قَسمٍ مقدر، أي: والله لقد علمتُني.

(**وإني لأخِرُّ**) أي: أسقطُ، جملة حالية من مفعول رأيت.

(**فيما بين. . . إلخ**) إشارة إلى أن ذلك كان في موضع الأحباب من غير خفاء ولا احتجاب، فلو كان عندهم ما يدفع به الجوع لبادروا به إليه، خصوصاً وشفقة النبي ﷺ بأُمَّتِه توجب الإقبال لو كان هنالك شيء عليه، فإنه كان من فقراء الصُّفة الملازمين لمسجده الشريف، المنتظرين لما يفيئه الله على جنابه المنيف، فدلَّ هذا الحديث على كيفية عيشه عليه الصلاة والسلام، وأنه كان يقلِّل من الدنيا ولا يرتضيها لأحبابه ليفوزوا بدار السلام.

عائشةَ رضي الله عنها مَغْشيًّاً عليَّ، فيجيءُ الجائي فيضَعُ رجلَهُ على عُنُقي، يُرَى أن بي جُنوناً وما بي جُنونٌ، وما هو إلا الجوعُ. [أخرجه البخاري (٦٨٩٣)].

(٣٠٠) عن مالكِ بنِ دينارٍ قال: ما شَبِعَ رسولُ الله ﷺ من خُبْزٍ قَطُّ ولا لحمٍ إلَّا على ضَفَفٍ. [انفرد به المصنف].

(مغشيّاً) أي: مستولياً عليّ الغَشْيُ بفتح الغين المعجمة، وهو تعطيل قُوى الحواس.

(فيجيء الجائي) أي: فيأتي الواحد من الناس.

(فيضع رجلَه على عُنُقِي) وكانت عادتهم أن يفعلوا ذلك بالمجنون حتى يفيق.

(يُرى) بصيغة المبني للمجهول، أي: يَظُنُّ ذلك الجائي.

(وما هو) أي: الغَشْيُ الذي اعتراني.

(إلا الجوع) أي: غشيُه، لا غشي الجنون الذي كان يظنُّه بي.

(٣٠٠) (عن مالك) هو من التابعين فالحديث مرسل.

(ضفف) هو التناول مع الناس، فلا يشبع إلا إذا نزل به ضيوفٌ لضرورة الإيناس والمجابرة، وأما لغير هذه الضرورة فكان لا يشبع بل يُؤْثر الغيرَ بالطعام[1].

---

(١) أخرج مسلم (٢٩٧٧) والترمذي (٢٣٧٢) عن النعمان بن البشير رضي الله عنه قال: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقَل ما يملأ بطنه.
وفي رواية لمسلم عن النعمان رضي الله عنه قال: ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناسُ من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه، وأخرج أبو نعيم في الحلية والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يصلي جالساً، فقلت: يا رسول الله، أراك تصلي جالساً فما أصابك؟ قال: «الجوع، يا أبا هريرة» فبكيت. فقال: «لا تبك يا أبا هريرة فإن شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا».

باب ما جاء في سِنِّ رسولِ الله ﷺ (*)

(٣٠١) عن ابنِ عباسٍ قال: مكثَ النبيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ثلاثَ عشْرةَ سَنةً يُوحَى إليه، وبالمَدينةِ عَشْراً، وتُوفِّيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّينَ. [أخرجه البخاري (٣٦٨٩) ومسلم (٢٣٥١)].

(٣٠٢) عن مُعاويةَ قال: ماتَ رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ وأبو بكرٍ وعمرُ، وأنا ابنُ ثلاثٍ وستينَ. [أخرجه مسلم (٢٣٥٢) والمصنف (٣٦٥٤)].

(٣٠٣) عن ابنِ عباسٍ قال: تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وستِّينَ. [أخرجه مسلم (٢٢٥٣)].

(*) **(في سنَّ رسول الله ﷺ)** أي: مقدار عُمُره.

(٣٠١) **(يوحَى إليه)** أي: باعتبار مجموعها؛ لأن مدة فترةِ الوحي ـ وهي ثلاث سنين، أو سنتان ونصف ـ من جملتها.

(عشْراً) أي: باتفاق، كما اتفقوا على أنه أقام بمكة قبل البعثة أربعين، وإنما الخلاف في قدر إقامته بمكة بعد البعثة، والصحيح أنه ثلاث عشرة سنة.

(وتوفي) بالبناء للمجهول، أي: توفاه الله.

(٣٠٢) **(عن معاوية)** أي: ابن أبي سفيان.

(وأبو بكر وعمر) أي: كذلك، فالخبر محذوف.

(وأنا ابن ثلاثٍ وستين) أي: وقت التكلم بهذا، ولم يمُتْ حتى بلغ الثمانين أو أكثر.

(٣٠٣) **(خمس وستين)** أي: بحساب سنتي الولادة والوفاة.

باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ

(٣٠٤) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: آخِرُ نَظْرَةٍ نَظَرْتُها إلى رسولِ الله ﷺ كَشَفَ السِّتارَةَ يومَ الاثنينِ، فنَظَرْتُ إلى وجْهِهِ كأنَّه ورقَةُ مُصْحفٍ والناسُ خَلْفَ أبي بكرٍ، فكادَ الناسُ أنْ يَضْطَرِبُوا، فأشارَ إلى الناسِ أنِ اثْبُتُوا، وأبو بكرٍ يَؤُمُّهُمْ، وألقَى السِّجْفَ، وتُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ من آخِرِ ذلك اليومِ. [أخرجه البخاري (٦٤٨) ومسلم (٤١٩)].

---

(٣٠٤) **(آخر نظرة)** مبتدأ محذوف الخبر، أي: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله نظرةً إلى وجهِه حال كونِه قد **(كشف السِّتارَة)** أي: أمر بكشفها، وكان من عادتهم تعليقُ السُّتُور على بيوتِهم.

(كأنه ورقةُ مُصحف) أي: في الحُسْن والإشراق الحسِّي والمعنوي.

(خلفَ أبي بكر) أي: قد اقتدوا به في صلاة الصبح بأمر النبي ﷺ.

(فكاد) أي: قرب.

(الناس أن يضطربُوا) أي: من الفرح حتى أرادوا أن يقطعوا الصلاةَ لظنِّهم شفاءَه والصلاة خلفه.

(أنِ اثبتُوا) أي: مكانَكم، وأنْ تفسيريَّة لمعنى الإشارة.

(السِّجْفَ) بكسر السين المهملة وفتحها، أي: السِّتر الذي عبر عنه أوّلاً بالسِّتارة.

(من آخر) أي: في آخر، كما في نسخة.

(ذلك اليوم) هو يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، والمراد أنه تحقق موتُه للناس في آخره، فلا ينافي أنه مات ضحى.

(٣٠٥) عن عائشةَ قالت: كُنتُ مُسْنِدَةً النبيَّ ﷺ إلى صَدْرِي ـ أو قالت: إلى حِجْرِي ـ فدَعا بِطَسْتٍ لِيَبُول فيه، ثم بالَ فَماتَ [أخرجه البخاري (٤١٩٠) ومسلم (١٦٣٦)].

(٣٠٦) وعنها قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو بالمَوْتِ، وعِنْدَهُ قَدَحٌ فيه ماءٌ، وهو يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ ثم يَمْسَحُ وجْهَهُ بالماءِ، ثم يقولُ: «**اللهمَّ أعِنّي على مُنْكَراتِ المَوْتِ**» أو قال: «**سَكَراتِ المَوْتِ**» [أخرجه المصنف في السنن (٩٧٨)].

(٣٠٧) وعنها قالتْ: لا أغْبِطُ أحَداً بِهَونِ مَوْتٍ بعدَ الذي رأيتُ من شِدَّةِ موتِ رسولِ الله ﷺ. [أخرجه المصنف في السنن (٩٧٩)].

(٣٠٨) وعنها قالت: لَمَّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ اخْتلَفُوا في دَفْنِهِ،

---

(٣٠٥) **(أو قالت إلى حَجري)** شك من الراوي، وهو بفتح الحاء وكسرها، أي حِضني بكسرِ الحاء، ما دون الإبط إلى الكشح.

(بطَسْت) يؤنث ويذكَّر، ولذا قالت: ليبول فيه.

(٣٠٦) **(وهو بالموت)** أي: متلبِّس به.

(منكرات الموتِ) أي: شدائده، فإنها أمور مُنكرة لا يألَفُها الطبعُ.

(أو قال) شكٌّ من الراوي.

(سكراتِ الموت) أي: استغراقاته، فإنه كان يُغمى عليه أحياناً لرفع الدرجات والرقيّ إلى أعلى المقامات.

(٣٠٧) **(لا أغبط)** الغِبطة: هي تمني مثلِ ما للغير من غير أن يزول عنه.

(بهونِ موتٍ) أي: سهولتِه، فلا عبرة بما في النفوسِ من تمني سهولة الموت، فإنَّ شدتّه ربما كانت لرفع الدرجات.

(٣٠٨) **(في دفنِه)** أي: في أصله، هل يدفن أو لا؟ وفي محله؛ هل

فقال أبو بكرٍ: سمعتُ من رسولِ الله ﷺ شيئاً ما نَسِيتُهُ، قال: «**ما قَبَضَ الله نَبيَّاً إلَّا في المَوْضِعِ الذي يُحِبُّ أن يُدْفَنَ فيه**»، ادْفِنُوهُ في مَوضِعِ فِراشِه. [أخرجه المصنف في السنن (١٠١٨)].

(٣٠٩) عن ابنِ عباسٍ وعائشةَ: أنَّ أبا بكرٍ قَبَّلَ النبيَّ ﷺ بعدَما ماتَ. [أخرجه البخاري (٤١٨٨) (٤١٨٩)].

(٣١٠) عن عائشةَ: أنَّ أبا بكرٍ دخَلَ على النبيِّ ﷺ بعدَ وَفاتِهِ فَوَضَعَ فَمَهُ بينَ عَيْنَيهِ ووضَع يَديْهِ على ساعِدَيْهِ وقال: وانَبِيَّاه، واصَفِيَّاه، واخَلِيلاه. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٣١)].

(٣١١) عن أنسٍ قال: لما كان اليومُ الذي دَخَلَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ، أضاءَ مِنها كلُّ شيءٍ، فلما كان اليومُ الذي ماتَ فيه أظْلَمَ منها كلُّ شيءٍ، وما نَفَضْنا أيدِيَنَا مِنَ التُرابِ ـ وإنَّا لَفِي دفْنِهِ ـ حتى أنْكَرْنا

يدفن في مسجده، أو في البقيع، أو في مكة، أو في الشام عند أبيه إبراهيم؟

(٣٠٩) (**قبل النبي ﷺ**) أي: في جبهتِه تبرّكاً واقتداءً به حيث قبل عثمانَ بن مظغونٍ[١].

(٣١٠) (**فوضع فمَه**) أي: وقبّله (**على ساعديه**) الأقرب رواية: على صُدغيه.

(**وقال**): أي بخفض صوت بدون انزعاج ولا فَزَع (**وانبيَّاه**) بهاء السكت في الثلاثة، وهذا يدل على جواز عدِّ أوصاف الميِّت بلا نَوح.

(٣١١) (**أظلمُ منها كلُّ شيء**) أي: لفقد نور الأنوار والسراج الوهاج.

(**من التراب**) أي: تراب قبره الشريف. (**أنكرنَا قلوبَنا**) أي: أنكرنا حالها كأنها أظلمت لفقدِ ما كان يغشاها من إمداداته العليّة وأنواره السنيّة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٨٩)، والحاكم (١/ ٥١٤).

قُلُوبَنَا. [أخرجه المصنف (٣٦٢٢)].

(٣١٢) عن محمدٍ الباقِرِ قال: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ يومَ الاثنينِ، فَمَكَثَ ذلك اليومَ وليلَةَ الثُّلاثاءِ، ودُفِنَ مِنَ اللَّيْلِ. [انفرد به المصنف].

(٣١٣) عن أبي سلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ قال: تُوفِّيَ رسول الله ﷺ يومَ الاثْنينِ، ودُفِنَ يومَ الثلاثاءِ. [انفرد به المصنف].

(٣١٤) عن سالمِ بنِ عُبَيْدٍ وكانت له صُحْبةٌ قال: أُغْمِيَ على رسول الله ﷺ في مَرَضِهِ فأفاقَ، فقال: «**حَضَرتِ الصلاة؟**» فقالوا:

---

(٣١٢) **(محمد الباقر)** هو من التابعين، فالحديث مرسل.

(ويوم الثلاثاء) كذا في بعض النسخ، وسقط من بعضها.

(ودفن من الليل) أي: في آخِر ليلة الأربعاء، وأما غسله وتكفينُه والصلاة عليه ففعلت يوم الثلاثاء.

(٣١٣) **(ودفن)** أي: ابتدىء في مقدمات دفنه.

(يوم الثلاثاء) فلا ينافي أنه فُرِغَ من دفنِه ليلةَ الأربعاء، وإنما أخروا دفنه مع أن السنة التعجيل لاختلافهم في دفنه، ودهشتهم واشتغالهم بنصب الإمام الذي يتولى مصالح المسلمين.

(٣١٤) **(أُغمِيَ على رسول الله)** أي: لشدَّة الضعف وفتور الأعضاء، والإغماء جائز على الأنبياء؛ لأنه إنما يسترُ حواسَّهم الظاهرة دون قلوبهم.

(حَضَرت الصلاة) أي: أَحضرَ وقتُ صلاة العشاء الأخيرة؟ **(للناس)** أي: إماماً لهم[1].

---

(١) وفي تكرار الأمر بإمامة أبي بكر إشارة إلى أن أولى الناس بالخلافة بعده ﷺ أبو بكر رضي الله عنه (ابن قاسم).

نَعم. فقال: «**مُرُوا بِلالاً فَلْيُؤَذِّنْ، ومُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ للناسِ**»، أو قال «**بالناسِ**»، ثم أُغْمِيَ عليه، فأفاقَ، فقال: «**حَضَرت الصلاةُ؟**» فقالُوا: نعم، فقال: «**مُرُوا بِلالاً فَلْيُؤَذِّنْ، ومُروا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالناسِ**»، فقالت عائشةُ: إنَّ أبي رجلٌ أَسِيفٌ إذا قامَ ذلك المَقامَ بَكَى فلا يَسْتَطِيعُ، فلو أَمَرْتَ غيرَهُ. ثم أُغْمِيَ عليه فأفاق، فقال: «**مُرُوا بِلالاً فليؤذِّن، ومُروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ فإنَّكُنَّ صَواحِبُ أو صَواحِباتُ يوسُفَ**»، فأُمِرَ بلالٌ فأذَّنَ، وأُمِر أبو بكرٍ فصلَّى بالناسِ، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ وَجَدَ خِفَّةً فقال: «**انْظُرُوا لي مَنْ أتَّكِئُ عليه**»، . . . .

(أو قال: بالناس) شك من الراوي، أي جماعة بهم.

(أَسِيف) أي: يغلب عليه الحزن.

(المقام) أي: مقام الإمامة في محلك.

(فلا يستطيع) أي: الصلاةَ بالناس لغلبَة البكاءِ عليه.

(فلو أمرت غيرَه) أي: لكان أحسن، ويحتمل أن «لو» للتمني فلا جواب لها.

(فإنكنَّ) بلفظ الجمع والمراد به عائشة، وكذلك الجمع في **(صواحب)** الذي هو جمع صاحِبَة.

(أو صواحِبَات) على الشك من الراوي الذي هو جمع صواحب، المراد به زَليخا امرأة العزيز، فهو من التشبيه البليغ، ووجه الشبه أن زَليخا استدعت النسوة وأظهرت لهنّ الإكرام بالضيافة، وأضمرتْ أنهنّ ينظرن إلى حسن يوسف فيعذِرنَها في حبه، وعائشة أظهرت أن سبب محبتها، صرف الإمامة عن أبيها أنه رجل أسيف، وأضمرت زيادةً عن ذلك أن لا يتشاءَم الناس به.

(فصلى بالناس) أي: سبع عشرة صلاة، أولاها عشاء ليلة الجمعة، وآخرها صبح يوم الاثنين.

فَجاءت بَرِيرَةُ ورجلٌ آخَرُ فاتَّكَأَ عليهما، فلما رآهُ أبو بكرٍ ذَهَبَ لِيَنْكِصَ، فأوْمَأَ إليه أنْ يَثْبُتَ مكانَهُ حتى قَضَى أبو بكرٍ صلاتَهُ، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ، فقال عُمَرُ: واللهِ لا أسْمَعُ أحداً يذْكُرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ إلَّا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هذا، وكان الناسُ أُمِّيِّين لَمْ يَكنْ فيهمْ نَبيٌّ قبله، فأمْسَكَ الناسُ، فقالُوا: يا سالمُ، انْطَلِقْ إلى صاحبِ رسولِ الله ﷺ فادْعُهْ، فأتَيْتُ أبا بكرٍ وهو في المسْجِدِ فأتَيْتُه . . . .

(بَريرة) مولاة عائشة.

(لينكص) بكسر الكاف وضمها، أي: ليرجع القَهقرى.

(فأومَأ) أي: أشار **(إليه أن يثبت مكانه)** أي: ليبقى على إمامته.

(حتى قضى) غاية لمحذوف، أي: فثبَت أبو بكر مكانَه حتى قضى، أي: أتمّ صلاته، وظاهر ذلك أن النبي اقتدى بأبي بكر، وبه صرحت رواية البيهقي.

(فقال عمر) أي: لظنِّه أن الذي حصل له غشْيٌ تامّ.

(أميِّين) هم في الأصل الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، والمراد بهم هنا من لم يحضُروا موتَ نبيٍّ قبله، فالجملة بعده تفسيرية.

(فأمسَكَ الناس) أي: ألسنتَهم عن النطق بقولهم: مات.

(صاحب رسول الله ﷺ) أي: أبي بكر، فإنه متى أُطلقَ انصرف إليه(١).

(في المسجد) أي: في مسجد محلته، وهي بأدنى عوالي المدينة، وكان النبي ﷺ أذِنَ له في الذهاب إليها لضرورةٍ اقتضت ذلك.

(فأتيته) كرره للتأكيد.

---

(١) لأن الله تعالى وصفه به في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

أبْكِي دَهِشاً، فلما رآني قال: أقُبِضَ رسولُ الله ﷺ؟ قلتُ: إنَّ عُمَرَ يقولُ: لا أسْمَعُ أحداً يذكُرُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ إلا ضَرَبْتُهُ بسيفِي هذا، فقال لي: انْطَلِقْ، فانطَلَقْتُ معه، فجاءَ والناسُ قد دَخَلُوا على رسولِ الله ﷺ. فقال: يا أيُّها الناسُ أفْرِجُوا لي، فأفْرَجُوا له، فجاءَ حتى أكبَّ عليه ومَسَّهُ، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، ثم قالوا: يا صاحِبَ رسولِ الله أَقُبِضَ رسُولُ الله ﷺ؟ قال: نَعم، فَعَلِمُوا أنْ قد صَدَقَ، قالوا: يا صاحِبَ رسولِ الله، أَيُصَلَّى على رسولِ اللهِ؟ قال: نعم، قالوا: وكَيْفَ؟ قال: يَدخُلُ قومٌ فَيكَبِّرُونَ ويُصَلُّونَ ويَدْعُونَ ثم يَخْرُجُونَ، ثم يَدْخُلُ قومٌ فَيكَبِّرُون ويُصلُّونَ ويَدْعُونَ ثم يَخْرُجُونَ، حتى يَدْخُلَ الناسُ، قالوا يا صاحِبَ رسولِ اللهِ، أَيُدْفَنُ رسولُ الله ﷺ؟

(دَهِشاً) أي: متحيِّراً.

(أفرجوا) أي: وسِّعوا.

(حتى أَكَبَّ عليه) أي: وهو مسجَّىً بِبُرد حِبَرة، فكشف عن وجهه الشريف وقبَّله وبكى، وقال: بأبي أنت وأمي، طِبت حيّاً وميتاً.

(فقال) أي: قرأ استدلالاً على موته.

(أن) أي: أنه **(قد صدق)** وكانوا ذاهِلينَ عن الآية التي استدلَّ بها.

(أيصلى على رسول الله ﷺ) سألوه عن ذلك لعلمهم أنه مغفورٌ له، فتوهَّموا أنه لا حاجة له إلى الصلاة المقصود منها الدُّعاء.

(فيكبِّرون) أي: أربع تكبيرات.

(ويصلُّون) أي: على النبي.

(أيدفن) أي: أو يُترك بلا دَفنٍ لسلامته من التغيرُّ أو لانتظار رفعه إلى السماء.

قال: نعم، قالوا: أَيْنَ؟ قال: في المَكانِ الذي قَبَضَ اللهُ فيه رُوحَهُ، فإنَّ اللهَ لم يَقْبِضْ روحَهُ إلا في مَكانٍ طَيِّبٍ، فَعَلِمُوا أن قد صدَقَ، ثم أَمَرَهُمْ أن يُغَسِّلَهُ بَنُو أبيهِ، واجْتَمَعَ المُهَاجِرونَ يَتَشاوَرُونَ، فقالوا: انْطَلِقْ بِنا إلى إخْوانِنا مِنَ الأنْصارِ نُدْخِلْهُم مَعَنا في هذا الأمْرِ، فقالت الأنْصارُ: مِنَّا أَمِيرٌ ومِنْكُمْ أميرٌ، فقال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: مَنْ له مِثْلُ هذه الثلاثةِ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠] مَنْ هُمَا؟ ....

(**ثم أمرهم**) أي: أمر الناس أن يمكنوا بني أبيه ـ أي: عصبته ـ من غَسله ولا ينازعوهم فيه، فغسَّلَه عليٌّ، وكان العباس وابنه الفضل يعينانه، وقُثَم وأسامة وشُقران يصبُّون الماء من وراء الستر، وأعينُهم معصوبةٌ، وكُفِّن في ثلاثة أثواب بيض من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة، وحُنِّط ومُسِّك، وحَفَر أبو طلحة زيدُ بن سهل لحْدَه الشريف، في موضع فراشه حيث قُبض.

(**يتشاورون**) أي: في أمر الخلافة.

(**فقالوا**) أي: المهاجرون لأبي بكر.

(**فقالت الأنصار**) مرتَّب على محذوف، أي: فانطلقوا إليهم وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعده فتكاملوا معهم، فقال قائلهم الحباب بن المنذر: (**منا أميرٌ ومنكم أمير**) على عادتهم في الجاهلية قبل تقرر الأحكام الإسلامية، فإنه كان لكل قبيلة شيخ.

(**الثلاثة**) أي: الفضائل الثلاثة التي ثبتت لأبي بكر في هذه الآية، فإنه كان ثاني اثنين، أي: هو مع رسول الله ﷺ وثبتت له الصحبة التي من ينكِرُها يكفر لمعارضته القرآن، وثبتت له المعيَّة.

(**من هما**) أي: من هذان الاثنان المذكوران في هذه الآية، والاستفهام للتعظيم، أي: فهو أحق بالخلافة.

ثم بَسَطَ يَدَهُ فَبايَعَهُ، وبايعَهُ الناسُ بَيْعَةً حَسَنةً جَمِيلةً. [أخرجه النسائي (٧١١٩)].

(٣١٥) عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: لَمَّا وَجدَ رسولُ الله ﷺ منْ كَرْبِ المَوتِ ما وَجدَ، قالت فاطِمَةُ رضي الله عنها: واكَرْباه، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا كَرْبَ على أبيكِ بَعْدَ اليومِ، إنه قد حَضَرَ مِنْ أبيكِ ما ليسَ بِتارِكٍ منه أحَداً، المُوافاةُ يومَ القِيامةِ**»[1]. [أخرجه البخاري (١٩٣)].

(ثم بسَطَ) أي: مد عمرُ **(يدَه فبايعه)** أي: بايع أبا بكر.

(حسنةً) أي: لوقوعها من أهل الحل والعقد، ولم يحضر هذه البيعة عليّ والزبير لفَرْط الدهشة، وإنما حضرا في ثاني يوم، وهو يوم الثلاثاء مع جمٍّ غفير من الناس في المسجد النبوي، وبايعوه بيعةً عامةً بعد بيعة السقيفة، ثم اشتغلوا بتجهيز النبي ﷺ.

(٣١٥) (واكربَاه) بهاء ساكنةٍ في آخره، فإنه حصلَ لها تألُّمٌ شديدٌ فسلاهَا النبي ﷺ بقوله: «**لا كربَ على أبيك بعد اليوم**» فإن مِحنَ الدنيا فانية، ومنَحَ الآخرة باقية.

(إنه قد حضر من أ بيك) أي: نزل به **(ما ليس بتارك منه أحداً)** يعني الموتَ، والمصيبةُ إن عمَّت هانت، ولذا قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً:

ولـولا كَـثْـرَةُ الـبَـاكِـيـن حَـوْلـي ... عـلـى مَـوتـاَهُـم لـقَـتَـلْـتُ نَـفْـسِـي

ومـا يَـبـكُـونَ مِـثْـلَ أخِـي ولـكِـن ... أُعـزِّي الـنَّـفـسَ مِـنْـهُ بـالـتَّـأسِّـي

(الموافاة) أي: الملاقاة.

---

(١) فلما دفن ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها: أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب.

=

(٣١٦) عن ابن عباسٍ قال: سِمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ كان له فَرَطانِ منْ أُمَّتي أدْخَلهُ الله بهما الجنَّةَ**»، فقالت عائشةُ رضي الله عنها: فمنْ كان له فَرَط منْ أُمَّتِك؟ قال: «**وَمَنْ كان له فرَطٌ يا مُوَفَّقَةُ**» قالت: فمنْ لم يكنْ له فَرطٌ منْ أُمّتكَ؟ قال: «**فأنَا فَرَطٌ لأُمَّتِي، لَنْ يُصابُوا بِمثْلِي**» [أخرجه المصنف في السنن (١٠٦٢)].

---

(٣١٦) **(فَرَطان)** أي: ولدان صغيران يموتان قبله، فإنهما في يوم القيامة يهيئان له ما يحتاج إليه، لأن الفرط في الأصل السابق من القوم المسافرين ليُهيِّئ لهم ما يحتاجونه من ماءٍ وغيرهِ

(ومن كان له فَرَطٌ) أي: يدخله الله الجنَّة بسببه.

(يا موفَّقة) أي: لاستكشاف المسائِل الدينيَّة.

(لأمُتي) أي: أمّةِ الإجابة، فهو سابق مهيِّئ لمصالِح أُمَّته.

(لن يصابوا بمثلي) تعليل لما قبله، فإن مصيبتَهم به أشدُّ عليهم من المصيبة بالولد والوالد وغيرهما.

= ومما يروى عنها في رثاء أبيها ﷺ:

ماذا على من شَمَّ تُربة أحمدٍ ... ألّا يشمَّ مدى الزمانِ غَواليا

صُبتْ عليَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبتْ على الأيامِ عُدنَ لياليا

ويروى عنها أيضاً:

إنَّا فقدناكَ فَقَد الأرضِ وابلها ... وَغابَ مُذْ غبتَ عَنا الوحيُ والكُتبُ

فليتَ قبلكَ كانَ الموتُ صَادَفنا ... لمّا نُعيتَ وحَالتْ دونكَ الكتبُ

باب ما جاء في ميراثِ رسولِ الله ﷺ (*)

(٣١٧) عنْ عَمرِو بنِ الحارثِ قال: ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ إلَّا سِلاحَهُ وبَغْلتَهُ وأرْضاً جَعَلَها صَدقةً. [أخرجه البخاري (٢٧١٨)].

(٣١٨) عن أبي هريرةَ قال: جاءتْ فاطِمَةُ إلى أبي بكرٍ فقالت: مَنْ يَرِثُكَ؟ فقال: أهْلي وولَدِي، فقالت: مالي لا أرِثُ أبي؟ فقال أبو بكرٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لا نُورَثُ**»، ....

(*) (**في ميراث رسول الله ﷺ**) أي: فيما خلَّفه من المال وإن لم يُوْرَث.

(٣١٧) (**إلا سلاحَه.. إلخ**) الحصر في هذه الثلاثة إضافيّ، وإلا فقد ترك ثيابَه وأمتعةَ بيتِه، لكنها لم تُذكر لكونِها يسيرة بالنسبة للمذكورات.

(**وبغلتَه**) أي: البيضاء، واسمُها دُلدُل بضم الدَّالَين.

(**وأرضاً**) لم يضِفْها له لعدم اختصاصها به، لأن غلَّتها كانت عامةً له ولعيالِه ولفقراءِ المسلمين، ولذا قال: (**جعلها صدقةً**) أي: في حياته، وهي نصفُ أرض فَدَك، وثلث أرض وادي القُرى، وسهمُه من خُمس خيبر، وثُلثُ أرضِ بني النَّضِير.

(٣١٨) (**أهلي وولدي**) أي: زوجتي وأولادي.

(**فقالت: مالي لا أرِث أبي**) أي: أيّ شيء ثبت لي حال كوني لا أرث أبي، ولعلها لم يبلغها الحديث حتى رواه لها أبو بكر.

(**لا نُورَث**) أي: نحن معاشرَ الأنبياء، والحكمة في عدم الإرث منهم أن

ولكنّي أعُولُ من كان رسولُ اللهِ ﷺ يَعولُه، وأُنْفِقُ على مَن كان رسولُ الله ﷺ يُنْفِقُ عليه. [أخرجه المصنف في السنن (١٦٠٨)].

(٣١٩) عن عائشةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا فهو صَدقةٌ**». [أخرجه البخاري (٣٨١٠)].

(٣٢٠) عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يَقْسِمُ وَرَثَتِي دِيناراً ولا دِرْهَماً، ما تَرَكْتُ بعد نَفَقَةِ نِسائي ومُؤْنَةِ عامِلِي فهو صَدقةٌ**». [أخرجه البخاري (٢٦٢٤) ومسلم (١٧٦٠)].

(٣٢١) عن مالكِ بنِ أوْسِ بنِ الحَدثانِ قال: دخلتُ على عُمر فَدخلَ عليهِ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ وطلْحةُ وسعدٌ، وجاءَ عليٌّ والعباسُ يَخْتَصِمَانِ، ....

لا يتمنى بعض الورثة موتَهم فيهلك، وأن لا يظنَّ بهم أنهم راغبون في جمع الدنيا لورثتِهم.

(**أعول**) أي: أُنفِقُ، فما بعده تفسيرٌ له.

(٣١٩) (**ما تركنا**) أي: الذي تركناه.

(**فهو صدقة**) دخلت الفاء في الخبر لأن المبتدأ يشبِه الشرط في العموم.

(٣٢٠) (**ورثتي**) أي: من يصلحُ لوارثتي لو كنت أُورث.

(**ديناراً ولا دِرهماً**) أي: ولا ما دونهما ولا ما فوقهما.

(**بعد نفقةِ نسائي**) أي: مدة حياتهنَّ لحرمَةِ نكاحِهن.

(**ومؤنة عاملي**) أي: الخليفة بعدي، ويؤخذ منه أن المشغول بعمل يعود نفعُه على المسلمين كالقاضي والمؤّذن والعالم له أخذ كفايته من بيت المال.

(٣٢١) (**على عمر**) أي: في أيام خلافتِه.

(**يختصمان**) أي يتنازعان في أرض بني النضير، التي تركها النبي ﷺ

فقال لهم عُمَر: أنْشُدُكُمْ بالذي بإذْنِهِ تقومُ السماءُ والأرْضُ، أتَعْلَمُون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تَرَكْنَاهُ صَدقةٌ**»؟ فقالوا: اللهمَّ نَعم. [أخرجه البخاري (٣٧٢٩) ومسلم (٣٣٠٢)].

(٣٢٢) عن عائشةَ قالت: ما تَرَكَ رسولُ الله ﷺ دِيناراً ولا دِرْهَماً ولا شاةً ولا بعيراً، قال: وأشُكُّ في العَبْدِ والأمَةِ. [أخرجه مسلم (١٦٣٥)].

وجعلها عمر تحتَ أيديهما بشرط أن ينفق كلٌّ منهما على نفسه وأهله، ثم يجعل ما بقي لمصالِح المسلمين.

(**أنشُدكم**) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة، أي: أسألكم بالله وأقسم عليكم به، من النَّشْدِ، وهو رفعُ الصوت.

(**بإذنه**) أي: بإرادته.

(**تقومُ السماء والأرض**) أي: تثبت ولا تزول.

(**اللهم نعم**) أي: نعم ذلك، وصدَّروا بالاسم الشريف في مقام الشهادة إشهاداً على الأداء، فإن الميم بدلٌ من حرفِ النداء.

(**٣٢٢**) (**قال**) أي: الراوي عن عائشة.

(**وأشُكُّ في العبد والأمة**) هل ذكرتهما أو لا، وفي رواية البخاري: (**ولا عبداً ولا أمة**) أي: باقِيين على الرِّق.

باب ما جاء في رؤية رسول الله ﷺ في المنام (*)

(٣٢٣) عن عبدِ اللهِ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «**مَن رآني في المَنامِ فقد رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَمَثَّل بِي**». [أخرجه المصنف في السنن (٢٢٧٧)].

(**رؤية**) هي بالتاء تشمل رؤية البصر ورؤية القلب، لذا قيدها بقوله: (**في المنام**)، وأما الرؤيا بالألف فخاصة بالقلب، وقد تستعمل في رؤية البصر، وحقيقة الرؤيا: مثالٌ يلقيه الله في قلب النائم[(١)].

(**٣٢٣**) (**عن عبد الله**) أي: ابن مسعود.

(**فقد رآني**) أي: فكأنما رآني في اليقظة، فإن المراد رؤيةُ مثاله، سواءٌ رآه على صورته المعروفة أم غيرها، فإن ذلك يختلف باختلاف حال الرائي لأنَّه كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها ما يقابُلها، وقيل لبعضهم: كيف يراه الراؤون المتعدِّدون في آن واحد؟ فقال:

كالشَّمسِ في كَبدِ السَّماءِ ونورُها   يغشَى البلادَ مشَارِقَاً ومغَارِباً

(**لا يتمثَّل بي**) أي: لا يقدِر أن يتصوَّر بصورتي لِئَلا يلتبسَ الأمر.

---

(١) ختم المصنف تراجم الكتاب بترجمة الرؤية في المنام إشارة إلى أن من ثمرات الاشتغال بمعرفة سيره وشمائله الفوز برؤيته والقرب منه ﷺ لأن الاشتغال بذلك يستدعي كثرة الاستحضار لصورته الكريمة وتعلق القلب برؤية محاسنه الفخيمة، وذلك من أقوى أسباب رؤيته ﷺ، وقد نقل في الحلية عن المثنى بن سعيد أنه قال: سمعت مالكاً يقول: ما بت ليلة إلا رأيت رسول الله ﷺ (ابن قاسم).

(٣٢٤) عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن رآني في المنامِ فقد رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتصوّرُ ـ أو قال: لا يَتَشبَّهُ بي.**» [أخرجه البخاري (١١٠) ومسلم (٢٢٦٦)].

(٣٢٥) عن يزيدَ الفارِسيّ ـ وكان يكتُبُ المَصاحِفَ ـ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنامِ زَمَنَ ابنِ عباسٍ، فقلتُ لابنِ عباسٍ: إنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النَّوْمِ، فقال ابنُ عباسٍ: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقولُ: «**إنَّ الشَّيْطانَ لا يَسْتَطِيعُ أن يَتَشبَّهَ بي، فَمَنْ رآني في النَّومِ فقد رآني**». هل تستطيعُ أن تَنْعَتَ هذا الرجلَ الذي رأيتَهُ في النومِ؟ قال: نعم، أَنْعَتُ لك رجلاً بين الرجُلَيْنِ جِسْمُهُ ولحمهُ، أَسْمَرَ إلى البَياضِ أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ، حَسَنَ الضَّحِكِ، جَميلَ دَوائِرِ الوجْهِ، . . . .

---

(٣٢٤) **(أو قال)** شك من الراوي، والتصوُّر قريبٌ من التشبُّه والتمثُّل.

(٣٢٥) **(يكتب المصاحف)** إشارةً إلى بركة عمله، ولذا رأى النبي ﷺ في صورةٍ حسنةٍ؛ لأنها تدلُّ على حُسن دينِ الرائي ـ وبضدها تتميز الأشياءُ ـ ولذلك لا يختص برؤيتِه الصالحون.

(تنعت) أي: تَصِف.

(رجلاً) بالنصب مفعول أنعت.

(بين الرَّجلين) خبر مقدَّم، و**(جسمه ولحمه)** مبتدأ مؤخر، والجملة صفة «رجلاً»، أي: متوسِّطاً في الطول والسِّمَن.

(أسمَر) أي: أحمر مائلاً.

(إلى البياض) فبياضه مُشرَب بحُمْرة.

(أكْحَل) من الكَحَلِ بفتحتين، وهو سوادُ العين خِلْقَةً.

(حَسَنَ الضَّحِك) أي: ضَحِكه التبسم.

(جميلُ دوائِر الوجه) أي: أطرافه، وإلا فالوجه له دائرة واحدة.

مَلأتْ لحيتُه ما بين هذه إلى هذه، قد مَلأتْ نَحْرَهُ ـ قال عوف: ولا أدري ما كان مع هذا النعت ـ، فقال ابنُ عباسٍ: لو رَأَيْتَهُ في اليَقَظَةِ ما اسْتَطَعْتَ أن تَنْعَتَهُ فَوْقَ هذا. [أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٦١ـ ٣٦٢)].

(٣٢٦) عن أنسٍ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من رآني في المنامِ فقد رآني، فإن الشَّيطانَ لا يَتَخَيَّلُ بي**». . . . .

(ما بين هذه) أي: الأذن.

(إلى هذه) أي: الأذن الأخرى، أي: كانت لحيته عريضة، وكان الأظهر أن يقول: ما بين هذه وهذه، لأنَّ «بين» لا تضاف إلا إلى متعدد، أو يقول: من هذه إلى هذه.

(ملأت نحرَه) أي: كانت مسترسِلة إلى صدره.

(٣٢٦) (لا يتخيل) أي: لا يتصوَّر.

(لطيفة في نعت رسول الله)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأنورهم لوناً، لم يصفه واصفٌ قطُّ إلا شبَّه وجهه بالقمر ليلة البدر، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ، وأطيب من المسلك الأذفر. رواه أبو نعيم.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصِفُ نعلَه، فجعل جبينُه يعرق، وجعل عرقه يتولد نوراً، فبهتُّ، فقال «**مالكِ بُهتِّ**»؟ قلت: جعل جبينك يعرق، وجعل عرقك يتولد نوراً لو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك بِشعره أولى حيث يقول:

ومُبَرَّأ من كل غُبرِ محيضةٍ وفسادِ مرضعةٍ وداءٍ مغيلِ[(١)]

وإذا نظرتَ إلى أسِرَّة وجهه بَرقت بُروق العارض المتهلِّلِ

رواه ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب البغدادي.

(١) أي: لم تحمل به في بقية حيض، ولا حملت بغيره حالة رضاعه فيفسد رضاعه.

وقال: «**رُؤْيا المُؤْمِنِ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وأرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ**». [أخرجه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٢٦٣) (٢٢٦٤)].

(٣٢٧) عن عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ قال: إذا ابْتُلِيتَ بالقضاءِ فعليْكَ بالأَثَرِ. [انفرد به المصنف].

(وقال) أي: النبي ﷺ

(رؤيا المؤمن) أي: الصالح، والمؤمنة مثله، والمراد غالب رؤياه وإلا فقد تكون أضغاث ـ أي: أخلاط ـ أحلام، فلا يصح تأويلها لاختِلاطها.

(من ستة وأربعين) أي: لأن زمنَ الوحي ثلاث وعشرون سنة، وكان بالرؤيا الصالحة ستة أشهر منها، ولكن اختلاف الروايات في العدد يدل على أن المراد التكثير لا التحديد، والمراد أن الرؤيا جزئ من أجزاء عِلم النبوَّة؛ لأنها يُعلم بها بعض الغيوب، وفي الحديث: «**لم يبق من النبوَّة إلا المبشرات**» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له**»[1]، والتعبير بالمبشرات للغالب وإلا فقد تكون من المنذرات.

(٣٢٧) (عن عبد الله بن المبارك) ختم المصنف كتابه بهذا الأثر والذي بعدَه للحثِّ على العمل بالحديث وانتقاءِ مَن يؤخذ عنه.

(ابتُليتَ) أي: امتُحنتَ **(بالقضاء)** بين الناس، وجعله ابتلاءً لشدة خطَرِه.

(فعليك) أي: الزم، فهو اسم فعل، وتزاد الباء في معموله كثيراً، ولذا قال: **(بالأثر)**: وهو المنقول عن النبي ﷺ أو أصحابه في أقضيتِهم، فالأثر يعُمُّ المرفوعَ إلى النبي ﷺ، والموقوفَ على الصحابي كالحديثِ والخبر، وبعضهم خص الأثر بالموقوف على الصحابي والخبرَ بالمرفوع إلى النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٠).

(٣٢٨) عن ابنِ سِيرِينَ قال: هذا الحديثُ دينٌ فانْظُرُوا عَمَّنْ تأخُذُونَ دِينَكُمْ. [أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه].

---

(٣٢٨) (دِين) أي: مُتديَّنٌ به؛ لأنه جاء به النبي ﷺ لتعليم أمته.

أسأل الله أن يعلمنا وينفعنا بما علمنا.

(تم بحمد الله مختصر الشمائل المحمدية)

وكان الفراغ من تبييض هذا الشرح بالجامع الأزهر يومَ الأحد ختامَ العام السابعَ عشرَ بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من خَلَقَه الله تعالى على أكمل وصف، سيدنا محمد سيدِ الأولين والآخرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ما لاح بدر التمام، وفاحَ مِسْكُ الختام.

المحتويات

